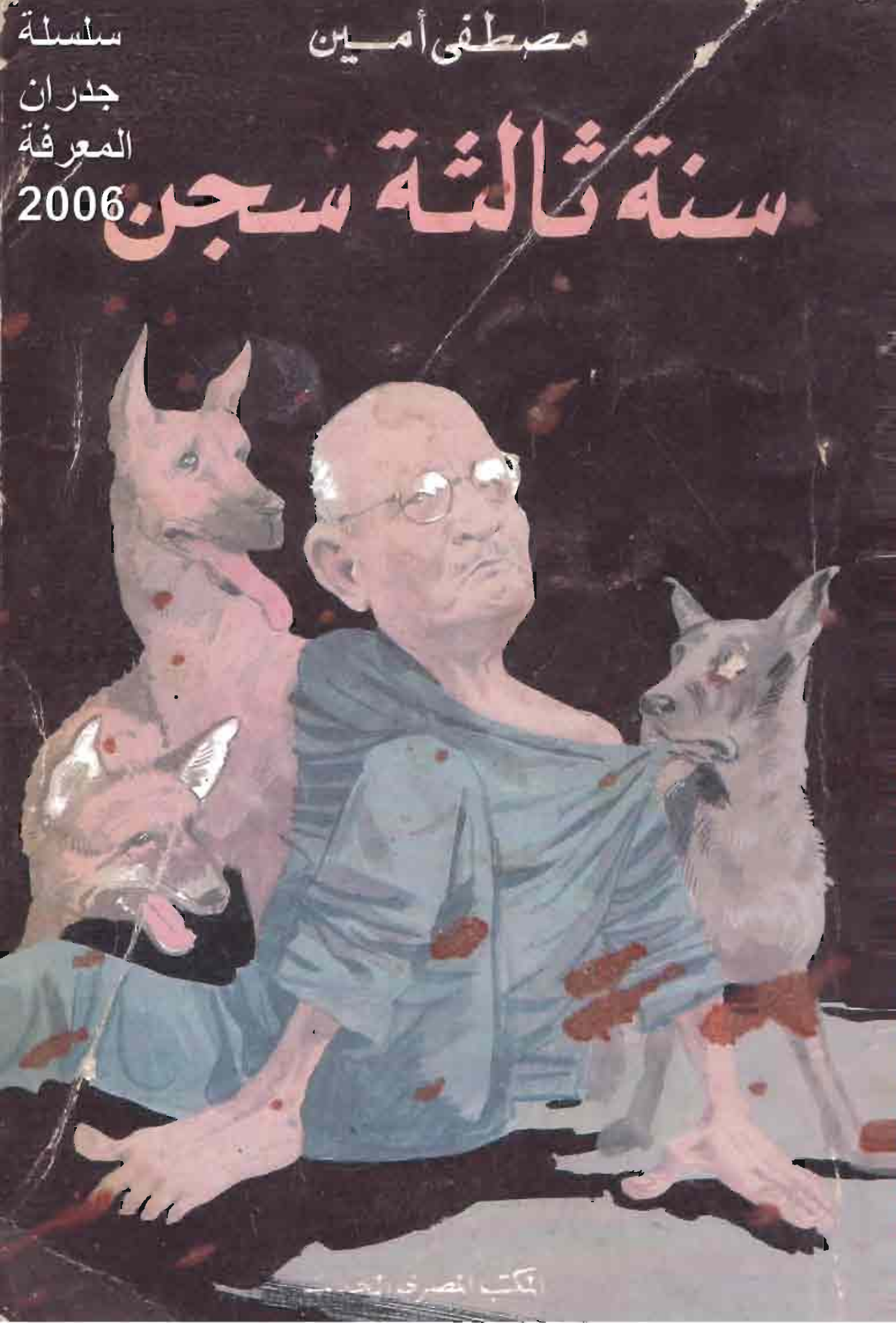
مصطفى أمين
سلسلة
جدران
المعرفة
2006
سنة ثالثة سجن
المكتب المصري

" بحثآ عن عالم أفضل " .

* يمكنكم التعرف على فهرس السلسلة الاولى فى اخر صفحة فى هذا الكتاب .
كما أننا ننصح بقراءة الكتاب بنظم full screen عن طريق الضغط على { ctrl +
L }
وتقريب الصفحة zoom in
{ ctrl + m }
حتى لا تؤذى عينيك .

وقد ارفقنا فى كل كتاب فهرس للكتب bookmarks لتقليب الكتاب فى سهولة ويسر
..
انظر فى اعلى الشمال .

مع تحيات

J&m

Theknowledge_walls@yahoo.com

الهـزيمة .. فى سنه أولى !

هـذه سـنة ثالثة سجن ، بدأت عقب الايام التالية للهزيمة ، أعصاب الحـكام مشدودة . أرواحهم محطمة . شعاراتهم ممزقة وملقاة فى صحراء سيناء مع الجثث المشوهة والاسـلحة المبعثرة . البطش يشتد داخل السجن ، كأن الحكام المهزومين لم يستطيعوا ان يهزموا عـدوهم الحقيقى فاستداروا الى خصـومهم يقهرونهم وينتصرون عليهم بلا معـركة . ويعتبرون المسجونين السياسيين أسرى .. أسروهم فى لا حرب ، ويعتبرون زنازينهم قلاعا استولوا عليها بلا معارك !

كل شبح يحسبونه رجلا ، وكل صفقة باب يتوهمونها فرقعة قنبلة . وكل همسة مسجون يسمعونها زئير أسد ، وكل كلمة حق يخافون أن تكون مقدمة مؤامرة لقلب نظـام الحكم . تشعر وانت داخل السجن بأن كل شىء خائف يهتز . الاوامر تجىء كل يوم الى السـجن بأن يزيد تبضته على المسجونين السياسيين . يراقب خطواتهم . يستمع الى همساتهم . يفتش جيوبهم . يقلق منامهم . أوامر متوالية تحض على العنف والشـدة والبطش والقمع وهذه دائما هى لغة الخائفين لا لغة الواثقين .

هذا الرعب يظهر بجلاء فى منعهم للزيارات الا من السلك ، فى تأخيرهم لتسليمنا خطاباتنا ، فى تلكئهم فى الموافقة على ارسـال خطابات لأهلنا . فى منعهم السجائر والأطعمة . كأن علبة السجائر هى منشورات تحرض على الثورة ، وكأن طعام المسجونين هو قنابل وديناميت !

واطاعة الاوامر الظالمة هى نوع من رياضة النفس ، وامتحـان لقدرة المرء على الاحتمال . وكلما وجد المسجون السياسى نفسه قادرا على احتمال ما لا يحتمل شعر بسعادة غريبة . فليست القوة أن

يصرخ الانسان عندما يشعر بمطرقة تنهال على راسه ، وانما القوة ان يحتمل الضربة ولا يكف عن الابتسام . وعندما يصبح الانسان قادرا على أن يحتمل الضربة الضخمة تصبح الضربات التالية نوعا من الدعابة والهزار ! وفى هذه السنة كثرت الضربات فوق رؤوسنا ولم تكن ضربات قاتلة لان المطارق كانت فى أيد مهزوزة خائفة مهزومة . الهزيمة البشعة ، وما حدث للطغاة الصغار من شلة المشير عبد الحكيم عامر جعل بقايا الفراعين الصغار تضرب وهى خائفة .. تبطش وهى ترتعش رعبا ، ترتدى أثواب الجبابرة وتطل من داخلها الفئران !

هذه الرسائل كتبتها وهربتها فى السنة الاولى للهزيمة ، وقد تميزت هذه السنة بأن الحكام بداوا يمشون فى طريق الضعف والهزال ، والشعب يمشى فى طريق الشجاعة . أصبح الناس أكثر جراة مما كانوا وأقل خوفا وهلعا . سقط الديكور الذى كان يغطى خرائب الحكم ولا يظهر الا الألوان الزاهية البراقة . اصبحنا لأول مرة نسمع الجنود والضباط ينتقدون الحكام علنا ، يهاجمونهم ، يسخرون منهم ، ينقلون الينا النكت والنوادر التى تقال عنهم ، يهملون فى تنفيذ الأوامر الصارمة اليومية التى كانت تطالب بالبطش بنا وتنكيد الحياة علينا !

ولقد زاد عدد الذين يشاركوننى فى تهريب هذه الرسائل ، الى خارج السجن ، ثم الى خارج الحدود فتسلم الى على أمين فى لندن .. وتضاعف عدد الذين يتشجعون ويحملون الى رسائل من جميع انحاء العالم ، ويقتحمون الحصار المفروض ..

وكنا نلعب مع حراسنا كل يوم لعبة عسكر وحرامية !

ولا اعرف من كانوا العسكر ومن كانوا الحرامية .

كل الذى اعرفه انهم لم يمسكوا خطابا واحدا !

مصطفى امين

عبد الناصر ساعة الهزيمة

ليمان طره ٢٤ يوليو سنة ١٩٦٧

يا عزيزتى ..

ان أصدقائى وتلاميذى خارج السجن يريدون ان أشعر وأنا فى زنزانتى اننى مازلت فى مكتبى رئيس تحرير اخبار اليوم . أعرف كل ما يجرى من أحداث واسرار . وهم يتبارون فى تهريب الرسائل لى عما يدور وراء الكواليس ، وكأنهم يبحثون عن خبطات صحفية تنشر فى صدر الصفحة الاولى فى مانشيتات !

وللأسف فانني لا أستطيع ان انشر كل ما يصلنى ، فأنا الآن القارىء الوحيد !

كتب لى أحد أصدقائى يقول : قابلت السيد عبد اللطيف بغدادى فترة طويلة . قال لى انه لما احس ان ازمة سحب البوليس الدولى من شرم الشيخ واحتلالها سوف يؤدى الى حرب ، كتب مع حسن ابراهيم مذكرة « تقدير موقف » أرسلها الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وحذره من عواقب اشتراك الجيش المصرى فى معركة مع اسرائيل ، واقترح عليه أن تتحرك بعض قوات الطيران وحدها دون باقى الجيش . وأبدى الاثنان استعدادهما لوضع نفسيهما تحت تصرف القوات المسلحة او فى اى مكان يعتقد عبد الناصر انهما يستطيعان فيه خدمة بلدهما .

وحدث ان قابل الدكتور عبد الرحمن البزاز ، السياسى العراقى الكبير ، بعد ذلك الرئيس عبد الناصر ، فأشاد الرئيس أمامه بموقف بغدادى وحسن ابراهيم ، وشكا من ان كمال الدين حسين لم يبد أى استعداد للمساهمة فى المعركة .

وذهب الدكتور عبد الرحمن البزاز الى كمـــال الدين حسين ، وروى له حديثه مع عبد الناصر ، فكتب كمال الدين حسين خطابا الى عبد الناصر يرجو فيه اعادته الى الجيش ، واسناد أى عمل له حتى يساهم فى المعركة .

واستدعى عبد الناصر الثلاثة ..

ولاحظ بغدادى أن عبد الناصر يتطلع طويلا الى رأسه فسأله :

ـ لماذا تتطلع الى رأسى ؟ هل أدهشك المشيب الذى علاه ؟

قال عبد الناصر : نعم ..

قال بغدادى : عجزنا .

قال عبد الناصر : أنا لسه ماعجزتش .

قال بغدادى : انا أصلى « خرع » زى ايدن (وكان هـــذا هو الوصف الذى أطلقه عبد الناصر على ايدن رئيس الوزارة البريطانية فى عدوان ١٩٥٦) .

وضحك عبد الناصر طويلا ، وشكرهم على موقفهم ، وقال انه لم يدهش لهذا الموقف ، لانه يعرف وطنيتهم وحبهم لبلادهم .

وهنا سأله بغدادى : أحب أن أعرف ماهى معلوماتك عن دخول اسرائيل الحرب ؟

فقال عبد الناصر : المعلومات المؤكدة التى عندنا هى أن اسرائيل لا تفكر فى الهجوم ، وانها لا تستطيعه قبل ٨ أشهر على الاقل .

وسأل بغدادى : وما هو موقف روسيا ؟

قال عبد الناصر : ان شمس بدران وزير الحربية عاد منذ يومين من موسكو ، وقد أكد له الروس انهم سيؤيدوننا على طول الخط ، ولو أدى ذلك قيام الحرب العالمية الثالثة .

واستطرد السيد عبد اللطيف بغدادى يقول :

ـ ثم بدأت المعركة فى ٥ يونيو .

وكنت مع الرئيس عبد النـــاصر فى مركز القيـــادة ، وأبلغنا عبد الحكيم عامر أن اسرائيل حطمت كل الطائرات المصرية .

والتفت الى عبد الناصر وقلت له :

ـ وما هو موقف الروس اليوم ؟

فأجاب عبد النــاصر : انهم فى فزع من أمريكا ! ولا يريدون أن يقوموا بأى عمل يعرضهم للاشتباك مع الامريكان .

وقلت لعبد النــاصر : ولكنهم قالوا لشمس بدران انهــم سيؤيدوننا على طول الخط ، حتى ولو أدى ذلك الى قيام الحرب العالمية الثالثة .

وسكت عبد الناصر ولم يرد .

وهنا سألت الرئيس عبد الناصر : ولماذا لم يرسل الروس لنا طائرات بدل الطائرات التى فقدناها ؟

قال عبد الناصر : قالوا انهم يخشون من الاسطول الســادس ولذلك لا يستطيعون ارســال الطائرات الى مصر . واقترحوا أن يسلموها لنا فى يوغوسلافيا ، بشرط أن يوافق تيتو ، فأبرقنا الى تيتو الذى وافق على هبوط الطائرات فى بلاده . واستدعى السفيرين المصرى والروسى فى بلغراد معـا وأبلغهما هـذا القرار .. ولكن روسيا عادت وخافت وقالت أنهـا تريد أن تسلمنا الطائرات فى الجزائر ! ومعنى ذلك أننا لن نستلم الطائرات الا بعد أشهر .

وقال بغــدادى : انه من الممكن أن ترسل روســيا الى مصر الطائرات الحربية داخل طائرات اليوشان ، وان كل طائرة اليوشان تتسع لأربع طائرات ميج .

فسأل عبد الناصر : وكم يستغرق تركيب كل طائرة ؟

فأجاب بغدادى : ٨ ســاعات . واذا ارسلوا لنا عشر طائرات اليوشان محملة بالطائرات كل يوم فسيصبح عندنا ٤٠ طائرة كل يوم و٤٠٠ طائرة فى ظرف عشرة أيام .. اننــا نستطيع بهذه الطائرات أن نقلب المعركة على رأس اسرائيل .

فأجاب عبد الناصر : ان الروس يرتعشون من الأمريكان .

وذكر لى بغدادى بالحرف الواحد :

ـ بعد ان تأكدت الهزيمة لاحظت أن عبد الحكيم عامر كان يتطلع بكراهية وحقد نحو عبد الناصر . وكانت نظراته تقول له : انت الذى أوصلتنا الى هذه الكارثة !

وبقى عبد الناصر فى مركز القيادة فترة طويلة ، ومع ذلك لم ينتقل اليه عبد الحكيم عامر مرة واحدة ، تظاهر طول الوقت بأنه مشغول . كان يتلقى تليفونيا أنباء الهزيمة ولا يهتم بابلاغها الى الرئيس عبد الناصر الذى كان يجلس معه فى الغرفة .

وكان عبد الناصر يضطر الى سؤال الضباط الموجودين حول عبد الحكيم عامر عن آخر الاخبار .

وحدث ان سمع عبد الناصر أن الجنود المصريين فقدوا كل بنادقهم فى المعركة ولم يبق عند الجيش المصرى سوى ٢٥٠٠ بندقية ..

فسأله بغدادى : ولماذا لم نطلب بنادق من الروس ؟

وأجاب زكريا محيى الدين : الروس أرسلوا لنا سفينة عليها ٦٠ الف بندقية ، ولكنها راسية خارج ميناء الاسكندرية وترفض أن تدخل الميناء خشية أن تضربها الطائرات .

وكان اليأس يملأ وجه عبد الناصر فى هذه اللحظات .

وفجأة وقف وقال : ليس لنا مكان هنا .. لقد ضاع كل شىء . فقد الجيش كل شىء . تعال نخرج !

وخرجنا من مركز القيادة ، ولم يتحرك عبد الحكيم من مكانه لوداعنا ..

وقال عبد الناصر وهو يودع بغدادى :

ـ مفيش فايده .. فقد الجيش المصرى كل أسلحته !

★★★

وقال عبد اللطيف بغدادى :

ـ اننى سألت عبد الناصر أيام كنا معا فى مركز القيادة لماذا لم نوافق على وقف القتال فى يوم ٥ يونيو كما اقترح مجلس الامن ، وعدت بعد يوم ووافقت ، وافقت بدون قيد ولا شرط .

فأجاب عبد الناصر : فى يوم ٥ يونيو تلقيت معلومات أن الجيش المصرى يجمع قواته ، وأنه لم ينهزم . ولكن بعد ٢٤ ساعة علمت ان هـــذه المعلومات كاذبة وأن الجيش المصرى فقـــد كل أسلحته فوافقت على اقتراح وقف القتال .

وذكر عبد الناصر أن محمـــود رياض وزير الخارجية اتصل تليفونيا يوم ٥ يونيو بالسفير محمـد القونى مندوب مصر فى الامم المتحدة ، وقال له أن الجيش المصرى مسيطر على الموقف ، وأمره بأن يرفض وقف القتال . وأعد السفير محمد القونى خطابه على أساس تعليمات وزير الخارجيـة ، وقبل أن يلقى خطابه بنصف ساعة اتصل به محمود رياض تليفونيا من القـاهرة للمرة الثانية وطلب منه أن يوافق على وقف القتال !

ولما أبلغ القونى هذه المحادثة الى رؤساء الوفود العربية فى الامم المتحدة ثاروا ، وقالوا أن محمود رياض دسيسة ، وطلبوا من السفير القونى أن يتصـل بالرئيس شخصيا بالتليفون ليسأله هل هو موافق على وقف القتال .

وطلب القونى الرئيس عبد الناصر فى التليفون .

ورد عليه سامى شرف

وقال الســـفير القونى انه يريد أن يتحـــدث مع الرئيس عبد الناصر شخصيا ليسأله : هل هو موافق على وقف القتال ؟

فسأله سامى شرف : ماذا قال لك محمود رياض ؟

اجاب القونى : قال لى أن أعلن موافقة مصر على وقف القتال .

قال سامى شرف : نفذ تعليمات محمود رياض !

ولما سمع رؤساء الوفود العربية بهذه المحادثة التليفونية اغرقوا فى البكاء !

هل يعيش الحب فى الزنزانة ؟

ليمان طره فى ٢٨ يوليو ١٩٦٧ .

عزيزتى ..

عرفت هنا مسجونا اسمه فرحات . قص على قصته العجيبة . انه محكوم عليه بأنه قاتل وهو لم يقتل أحدا ! ان المثل الذى يقول « ياما فى السجن مظاليم » هو حقيقة واقعة أكثر مما هو مثل شعبى ولنبدأ القصة من أولها ..

كان أبو على يعمل خفيرا لزراعة أحد الاعيان . وكان يملك فدانا واحدا ، يزرعه فى وقت فراغه بمساعدة ابنه عويس . واختلف عويس مع جيرانه فى الارض على الرى . وحاول الحاج موسى جاره فى الارض أن يشتريها من عويس ، لكى يتخلص منه . ولكى يستطيع أن يقطع الماء على من يشاء من الفلاحين دون حسيب أو رقيب . ولكن عويس كان شابا مفتول الذراعين . جريئا فى الحق لا يخاف الاقوياء . كان يحب الارض ويرفض أن يبيع حبه لمخلوق .. وكان يجد متعة فى تحدى الظالمين . وطالما قال له أبوه أبو على « واحنا مالنا ياعويس» . وكان عويس يرد قائلا : «وما قيمة الحياة يا أبى اذا لم ندافع عن المظلومين » .

وكان أهل القرية يعجبون بشجاعة عويس وبطولته ، ويشيدون بفروسيته ، ويحمدون الله أن ظهر من بينهم شاب يقاوم طغيان الحاج موسى واستبداده .

وتضاعفت مرارة الحاج موسى عندما تقدم الى الشيخ عليوه مأذون القرية يطلب يد ابنته شلبيه ، وليجعلها الزوجة الرابعة الى جانب زوجاته الثلاث . وأبت شلبيه أن تتزوج ، وقالت انها تحب

الشاب عويس بطل القرية ، ولا ترضى بزوج سواه .. والح المأذون على ابنته شلبية أن تتزوج الحاج موسى ، وتساءل كيف. ترفض ابنته هذا الشرف الرفيع • كيف ترفض الزواج من الحاج موسى صاحب الجبروت فى القرية ، والذى يخافه الفلاحون ويحسبون له الف حساب . كيف ترفض رجلا يملك عشرين فدانا من أجل ابن خفير يملك هو واسرته كلهـــا فدانا واحدا ! وهددها بقطع رقبتها فقالت شلبية انها تفضل الموت على أن تتزوج الحاج موسى الجبار !

وجن جنون الحاج موسى . كيف تجرؤ هـــذه الابنة العاقة على مخالفة أبيها ؟ كيف تهزأ القرية بالعريس المرفوض الذى كان يعتقد أن كل فلاحة فى القرية تحلم به وتتمناه ؟ وعندما عرف أن الشاب عويس هو العقبة التى فى طريقه قرر أن يزيل هـــذه العقبة من الطريق . ودبر مؤامرة مع معاونيه لقتل البطل الشاب . ورفض أن يقتله أحد معاونيه ، فصمم أن يقتله بيده ليشفى غليله من دم خصمه العنيد ، واختبأ الحاج موسى فى زراعات الذرة وانتظر حتى مر عويس واطلق عليه ثلاث رصاصات وسقط عويس قتيلا .

وخرج شهود يدعون أنهم رأوا القاتل بعيونهم التى سيأكلها الدود ، ويقسمون إن القاتل هو الشـــاب فرحات ، زميل عويس وصديقه الحميم ، وأحد الذين كان يعتمد عليهم عويس فى صراعه مع الحاج موسى وعصابته من الاشرار !

وجاءت الشرطة والنيـــابة ، واكتشفت أن البندقية التى قتلت عويس مدفونه فى أرض حـــديقة فرحات . الادلة كاملة . عشرة شهود رأوا القاتل . ســــلاح الجريمة موجود . كل شىء يؤكد أن القاتل فرحات ..

ولكن الأب ابو على لم يصدق ان القـــاتل فرحات . كان يعرف القاتل . كان واثقا أن الحاج موسى هو الذى قتل ابنه الحبيب . انه يذكر أن الحاج موسى هـــدد ابنه ونصحه أن يترك القرية كلها « والا فلن يحصل طيب » وسخر عويس من تهديد الحاج موسى وقال له « ان ورائى رجالا » ! ها هو ذا أخرجه من الحياة كلها ، تخلص منه لينفرد بالارض وبشلبية !

وتشجع الاب ابوعلى ، وذهب الى عمدة القرية وقال له انه يتهم الحاج موسى بقتل ابنه . وسخر منه العمدة وطرده !

وذهب الى ضابط النقطة وقدم اليه البلاغ ، فهاج فيه الضابط وقال له : لقد شكرنى الحكمدار لأننى أمسكت بالقاتل ، فكيف تجيء الآن لكى تنسف خطاب شكر سيادة الحكمدار ؟!

ولجأ الاب الى وكيل النيابة ، فاستدعى الحاج موسى ، الذى احضر شهودا يقسمون على المصحف بأنه كان فى قرية أخرى عندما وقعت الجناية ، وأقسم شهود آخرون بأن الحاج موسى امتلأت عيناه بالدموع عندما سمع بمصرع عويس !

واصر الاب على ان القاتل الحقيقى هو الحاج موسى ..

وبدأ التحقيق من جديد .. واذا بالاب يفاجأ بأن الشاب فرحات صديق ابنه الحميم قد أعترف بأنه القاتل ! وانه قتله لأنه كان ينافسه على حب شلبية ! ولم يكن الأب يصدق هذا الاعتراف ..

وجاءوا له بفرحات امامه فاذا به يقول فى مواجهته أنه فعلا قتل عويس ، لأنه نافسه على قلب شلبية !

ولكن قلب الاب لم يصدق هذا الاعتراف الصريح . قلبه يحدثه أن فرحات برىء ، شلبية نفسها قالت له ان فرحات كاذب ، وأنه على العكس كان يبارك هذا الحب ويؤيده ويشجعه ويتستر عليه .

وتصور الأب ان اهل القرية الذين طالما وقف الى جوارهم عويس ودافع عن حقوقهم سوف يقفون معه ضد القاتل الحقيقى .

ولكنه فوجىء بهم جميعا يتخلون عنه .. لقد غربت شمس عويس . لم يعد فى استطاعته ان يهب لنجدتهم . أن يحارب معاركهم . أن يمنع الحاج موسى من أن يقطع عنهم المياه . انهم عادوا كما كانوا قبل ظهور عويس . يرهبون الحاج موسى . يخشون طغيانه . يرتعدون من جبروته . وهم بينهم وبين أنفسهم يرفضون أن يعترفوا بأنهم جبناء يخافون من بطش الحاج عويس ، وانما يوهمون انفسهم ان الحاج موسى مظلوم ، وأن الاب أبو على مجنون .. ان الكارثة هى التى جعلت الاب يفقد عقله ، وهو لهذا يريد أن يبرىء القاتل الحقيقى فرحات ، ويتهم الحاج موسى البرىء الطيب الذى حج الى بيت الله الحرام !

وأصبح أبو على يتطلع فى وجوه أهل القرية فى دهشة وذهول !

هل يمكن أن يكون هؤلاء الذين كان يراهم كل يوم فى جامع القرية يؤدون الصلاة ، ويتجهون بعيونهم الخائفة الى الله ، ماذا جرى لهم ؟ كيف نسوا الله فجأة ! ان الحى أبقى لهم من الميت • الظالم الحى أنفع من المظلوم تحت التراب ؛ ولكن كيف يتبدل الناس بين يوم وليلة ؟ كيف تحولهم القوة الى عبيد ، ويحولهم الخوف الى شهود زور ؟ كان ابنه عويس يتباهى بأن وراءه رجالا • أين هم هؤلاء الرجال • لم يبق فى القرية من الرجال سوى شلبية ، انها وحدها هى التى لا تزال تصرخ وتقول ان الحاج موسى هو القاتل !

القرية كلها تخلت عنه • لم يعد أحد يصدقه • كل القرية نسيت ما فعله عويس من أجلها بل انهم بدأوا يؤلفون عنه القصص والاقاويل والاشاعات • بدأوا يقولون أن عويس لم يكن بطلا • انه لم ينتصر للفلاحين الضعفاء • ان المسألة كلها كانت خناقة غرامية على حب شلبية أجمل فتيات القرية ! ان الحاج موسى هو البطل الحقيقى •• هو الذى اعترض على أن يغرى عويس شلبية • ان الحاج موسى كان يدافع عن عرض كل امرأة فى القرية ضد عويس لص الاعراض •

وذهبت شلبية الى بيت أبوعلى تبكى وتنتحب • ان أباها يرفض أن تقيم مأتما للرجل الذى أحبته • يرفض أن تزور قبره كل يوم • وهى فى فجيعتها تلوم هى الاخرى حبيبها عويس وتقول :

ـ لو أن عويس ترك الحاج موسى يعتدى على باقى الفلاحين ، ويقطع عنهم المياه ، ويسرق مواشيهم ، وينهب محصولاتهم ، لبقى حيا مثل باقى الفلاحين ! لو أنه أغمض عينيه لنال حقه وأكثر من حقه ، ولكنه فتح عينيه ، وجعل كل فلاحى القرية يفتحون عيونهم •• وماذا كسبنا الآن من فتح عيونهم .

انه ما كاد يموت حتى عادت القرية تغمض عيونها من جديد !

حتى هذه التضحية ذهبت هباء ! ليته أغلق عينيه وعاش !

ولم يهتم أحد بما تقوله شلبية • القرية أصرت على أن هذا كلام مجانين • شهود الزور أنفسهم تصوروا أنهم شهود حق • الم يعترف فرحات أنه القاتل • حتى الذين خبأوا البندقية فى أرض

فرحات أصبحوا مع تكرار ترديد الاكذوبة ينسون أنهم شركاء القاتل الحقيقى ·· فعندما يمشى موكب الضلال فى زفة ، تتوارى الحقيقة خجلا ، وتخفى وجهها ، كأنها أصبحت فضيحة · الاكذوبة عندما تركب حصانا ، وتتقدمها الطبول والمزامير ، تركع الحقيقة أمامها ، لانها تتحول الى أسيرة ، الى عبد رقيق ، جارية لا قوة لها ولا سلطان · ينكرها الذين يعرفونها ، كما تنكر الاغنياء لأقاربهم المعدمين ·

وعرضت القضية على محكمة الجنايات · وتقدم شهود الزور يدلون بأقوالهم ، واقترب الأب أبو على من القفص وهمس فى أذن المتهم فرحات : لماذا اعترفت كذبا ؟ وتلفت فرحات حواليه ، وقال بصوت مرتعش : ضربونى فى المركز ، وقالوا لى يجب أن تعترف بأنك القاتل ، والا فسوف تفسد خطاب الشكر الذى أرسله سعادة الحكمدار الى حضرة الضابط ·

واقتحم أبو على القفص وعانق فرحات وهو يصرخ بأعلى صوته :

— فرحات مظلوم · والله مظلوم · القاتل هو ···

وقبل أن ينطق باسم القاتل أطبق عليه رجال الشرطة ، وصاح أهل القرية الذين يملأون قاعة المحكمة :

— مجنون ··· مجنون ! هل رأيتم قبل الآن أبا يعانق قاتل ابنه الوحيد ؟ القاتل الذى قتل ابنه من أجل شلبية !

وصاح رئيس المحكمة : اخرجوا هذا المجنون من قاعة الجلسة ·

وأصدرت المحكمة حكمها على فرحات بالسجن المؤبد مع الاشغال الشاقة ·

وعاد أبو على الى القرية يتعثر فى دموعه · عاد يكلم نفسه · أطفال القرية يزفونه فى أزقتها : المجنون أهه · المجنون أهه · أليس المجانين يحدثون أنفسهم ، الا يمشون ذاهلين مثله · يتخبطون فى سيرهم مثله · من يعلم ·· لعل مستشفى الامراض العقلية ملء بألوف مثله · ظلموا كما ظلم وأغلقت فى وجوههم كل أبواب العدالة كما حدث له ·· ودخل بيته وهو يلطم وجهه وفزعت زوجته مبروكة لمنظر زوجها وسألته ما به :

قال لها : ابنى عويس ··· مات ·

قالت : نعم مات من تسعة شهور ·

قال : لا انه مات اليوم فقط ·· اليوم رأيته قتيلا فى المحكمة ·· الذى قتله قتله أمامى فى ساحة المحكمة ··· كل هذه الشهور لم أشعر أنه مات · كنت أعتقد أنه سيعيش ما عاشت العدالة · عندما تمسك العدالة بالمجرم الحقيقى سوف أشعر أن ابنى لم يمت · المبادىء التى حارب من أجلها لم تمت · ولكن اليوم فقط عندما حكمت المحكمة بالسجن على البرىء وتركت القاتل حرا رأيت ابنى شهيدا ، ورأيت العدالة قتيلا أمامه ·

وجلس أبو على على الارض · دفن رأسه بين يديه · أشعل سيجارة · راح يتفرج على حلقات الدخان · ان حياة ابنه عويس مثل هذا الدخان ، طارت · لم يبق منها أى شىء · حتى قصص البطولة تطايرت فى الهواء ··

ووقف على قدميه كأنه اعتزم أمرا · اتجه الى بندقيته المعلقة فى الحائط ·· تقدم نحوها ·· لمسها · ثم تردد وسحب يده ، وفتح المصحف وراح يقرأ بعض الصفحات ، ثم قام وصلى صلاة المغرب ·

وجلس على الارض من جديد ، ودفن رأسه بين يديه ، ثم سمع دق الطبول ، وأصوات الفلاحين ينشدون من بعيد :

البنت السمرة ·· شلبية

الحلوة أم عيون عسلية

قمورة ··· وخفة ··· وغندورة !

والقلب ماحبش غير هيه !

وتذكر أبو على أن اليوم هو يوم زفاف حبيبة ابنه شلبية الى قاتل ابنه عويس ! ان جرائم الحاج موسى لا تنتهى · لا يكفيه أنه قضى على ابنه عويس · لم يكفه أنه قضى على صديق ابنه فرحات · ولكنه الليلة يرتكب جريمة قتل أخرى · قتل شلبية ··· انه يعرف أن شلبية لا تزال تحب ابنه عويس ، حتى بعد أن دفنه فى التراب · اننا أحيانا نشعر أن الموتى أحياء ، والأحياء موتى ·

ويجز أبو علي على شفتيه ويتساءل : ولكن لماذا لم تقاوم شلبية أكثر مما قاومت ؟ لماذا لم تصر على الرفض • في الماضي نجحت في المقاومة لان عويس كان بجانبها • كان الدرع الذي يحميها • كان السلاح الذي تشهره • كان عمودها الفقري ولكنها أصبحت بغير درع وبغير عمود فقري • كانت قلعة يصعب اقتحامها لان عويس كان سور القلعة وأبوابها • والآن هي بغير سور ولا أبواب • اننا نستطيع أن نصمد في المحن اذا وجدنا قلبا نستند اليه ، أو حبا نركن اليه • ولكن يوم نفقد الحب ويضيع منا الحب نتهاوى ، ويسهل كسرنا • الذين لا عمود فقري لهم يمشون منحنين ، لانهم لا يستطيعون أن يصلبوا قامتهم ، أو يرفعوا رؤوسهم •

نعم لقد قاومت شلبية ولكنها قاومت وحيدة فركعت ، ثم انكفأت على وجهها ، ثم داستها قوة أبيها الذي كان يعرف جيدا ان الحاج موسى هو القاتل ، وكان يخشى لو صمدت ابنته أن يقتلها ويقتله معها • ومن هنا لم يرحم دموعها • فضل أن يدفنها حية في منزل الحاج موسى مع زوجاته الثلاث ، على أن يدفنها جثة في احدى مقابر القرية •••

وعاد أبو علي يتساءل : ولكن أين أهل القرية الذين أحبوا عويس وأحبهم عويس ؟ هل انشقت الارض وابتلعتهم ؟ أين كان الذين يشجعون عويس وهو يقاوم ، ويهنئونه وهو ينتصر ، ويشيدون به كلما استطاع أن يوصل اليهم المياه بعد أن قطعها عنهم الحاج موسى ؟ كيف مشوا في زفة القاتل ، وتركوا جنازة القتيل ؟ كيف زغردوا في فرح الظالم ولم يبكوا في مأتم المظلوم ؟ صدقت شلبية • لو أن ابنه لم يحارب من أجل هؤلاء المظلومين لكان الآن هو العريس • ولكان الأب أبو علي يستقبل المهنئين ويوزع عليهم أكواب الشربات ؟ هل كان يجب على عويس أن يسكت • أن يترك زراعة مئات الفلاحين تموت من أجل أن يعيش هو ؟ هل كان يجب على عويس أن يسد أذنيه بالامس فلا يسمع أنين المظلومين ، ليسمع في يوم ما زغاريد فرحه هو ؟ هل كان يجب على عويس – لكي يعيش – أن يموت ضميره ؟ ولكن كيف ينسى أهل القرية كل ما فعله عويس ؟ انهم يذكرون الجبناء الذين لم يدخلوا المعركة ، وينسون الشهداء الذين ماتوا من أجلهم • المجد للذين بقوا والعار للذين ذهبوا ! ••

ولكن لماذا يلوم أهل القرية لانهم لم يفعلوا شيئا ؟ ماذا فعل هو ؟ وتطلع أبو على الى بندقيته المعلقة الى الحائط ، وكأنه يتحدث اليها . ثم اتجه اليها وضمها الى صدره وكأنه يعانقها ومشى فى خطوات بطيئة فى الظلام الى الفرح ... وأصوات الدفوف والزغاريد تمزق أذنيه .

وتعالت أصوات الدفوف ، وارتفعت أصوات الزغاريد ، وفهم أبو على أنها لحظة الدخلة وقد اعتاد الفلاحون أن يرفعوا أصواتهم بالزغاريد فى هذه اللحظة ليخفوا صراخ العروس لحظة أزالة بكارتها!

ولكنه لم ير منديل البكارة تلوح به أم العروس .. بل رأى شلبية وهى تحمل سكينا كبيرا تلوح به ، والدم يتساقط من السكين .. وما كادت ترى أبو على حتى ارتمت فى صدره وهى تقول :

ـ موش أنا اللى قتلته يا عم أبو على ... دى البلد هى اللى قتلته !...

وعرف أبو على أن شلبية أرادت أن تغسل عار القرية ، التى لم تتحرك لتثأر للشاب الذى دافع عنها ، فقررت أن تتحرك هى نيابة عن القرية ... وأغمدت فى صدره السكين فى اللحظة التى أراد أن يدخل بها ! قتلته وهو يترنح من السكر ومن نشوة الانتصار ...

وحكمت المحكمة بالسجن المؤبد على شلبية ، وأودعت فى سجن القناطر ...

وانتهى المسجون فرحات من رواية القصة الغريبة ثم قال لى :

ـ أنا سيفرج عنى . بعد ١٤ سنة ، وشلبية سيفرج عنها بعد ١٥ سنة طبقا للعفو عن المسجون المحكوم عليه بالمؤبد بعد ١٥ سنة

ثم نظر الى وفى عينيه توسل غريب .

ـ أريد منك خدمة : أريد أن تكتب باسمى خطابا الى شلبية تعرض عليها الزواج ، بعد أن يفرج عنها بعد ١٥ سنة .

قلت : اذن كان صحيحا أنك كنت تحبها ؟
قال : أبدا .. أنني أحببتها الآن بعد أن أعادت الى قريتنا شرفها

وكتبت الخطاب الذى طلبه فرحات ، ووقع عليه ببصمته لانه لا يعرف القراءة والكتابة ...

ودهشت بعد أسبوعين عندما جاء فرحات الى زنزانتى متهللا وقدم لى ورقة مكتوبا فيها ما يأتى :

« سأنتظرك ١٥ سنة »

الامضاء : شلبية

ترى هل سيعيش الحب فى الزنزانة ١٥ سنة ؟

لست أدرى !

فاطمة رشدى فى السجن!

ليمان طرة فى ٢ أغسطس سنة ١٩٦٧

عزيزتى

أخشى ما أخشاه أن تجىء خطاباتى اليك كليالى الشتاء ، ولكنى أعرف قيمة خطابى لكم ، لاننى أعرف قيمة خطاباتكم لى .

لو رأيت عيون المسجونين وهم يستقلبون المسجون الذى يوزع الخطابات ، كأنه ملاك نزل عليهم من السماء . كل مسجون يسرع اليه ، ويسأله هل يحمل له خطابات جديدة ؟ سحنة المسجون السائل تنقلب من السعادة الى البؤس ، ومن الامل الى اليأس ، مع كل كلمة تخرج من فم هذا الملاك الذى يحمل خطابات المسجونين . وهذا المسجون لا يشبه الملائكة . ليس له أجنحتها ، وليس فيه ملامحها . انه مسجون محكوم عليه بتهمة القتل ، ومع ذلك فالخطابات التى يحملها تحوله فى عيون المسجونين الى ملاك جاء من السماء ! انه يحمل فى يده عواطف الزوجات ودموع أمهات وأشواق أبناء ولوعة عاشقات . والمسجون ينتظر من أهله أن يقولوا له أشياء كثيرة لا يقولونها ومع ذلك يسعد بهذه التحيات الساذجة . يقرأ أسماء أولاده وكأنه يقبلهم . ويلتهم تحيات زوجته وكأنه يعانقها . ويحس من سلامات معارفه وأهله أنهم يزورونه ويتحدث اليهم .

بعض الخطابات أشبه بالتلغرافات ، ولكن المسجون يقرأها كأنها مجلدات يقرأ فيها كلمات لم تكتب ، ويفهم عبارات لم تدون ، ويتصور أشياء لم تخطر على بال الكاتب العمومى الذى كتب لأهله الخطاب ! هذه الخطابات حوار . وكثيرا ما يكون هذا الحوار من طرف واحد ، لان المسجون لا يستطيع أن يكتب الا مرتين كل

شهر . انهم أحيانا يحدثونه عن أشياء نسيها . أو ينسون أن يجيبوا على أسئلة سألها . وعندما يكتب المسجون خطابا يتمنى أن يطير هذا الخطاب الى أعزائه بجناحين ، فهو يتتبع خطواته وخطوات الخطاب . هل وقع عليه الضابط ؟ هل خرج من العنبر ؟ هل خرج من البريد ؟ هل خرج من الليمان ؟ انهم يشعرون أن الخطاب هو ولد من أولادهم يخشون عليه من زحام الطريق . يخافون أن يدوسه أوتوبيس . يجزعون أن يتوه ويضل العنوان . ومن هنا فان بعضهم يكتب خطاباته مسجلة حتى يضمن وصولها الى أهله . وبعضهم لا يملك ثمن طوابع بريد الخطاب المسجل ، ويبيع طعامه ، أو يحرم نفسه من شراء طعام يشتهيه ليشترى طوابع كافية ، يضعها على الخطاب المسجل أو الخطاب بعلم الوصول .

وبعض ضباط السجن قساة القلوب غلاظ الاكباد يتعمدون تأخير امضاء الخطابات أياما وأحيانا أسابيع بحجة أنهم مشغولون فيما هو أهم ، أو يقولون أنهم وضعوا نظاما ألا يوقعوا الخطابات الا فى يوم ١٥ ويوم ٣٠ كل شهر ، فاذا كتب المسجون خطابا فى أول الشهر بقى الخطاب مسجونا فى مكتب الضابط الى يوم ١٥ في الشهر !

وبين المسجونين فريق المنتظرين . هؤلاء الذين ينتظرون بغير جدوى وصول خطابات أحبائهم . يسألون عن الخطابات فى الصباح والظهر ، فى الايام العادية وفى الاجازات والاعياد ، ولكن الخطابات لا تجيء . وترى فى عيونهم الحسرة . انهم جوعى الى خطاب . الى كلمة . الى شيء يربطهم بالحياة . أعرف واحدا منهم كان يكتب لنفسه خطابات وهمية ، يعرضها على زملائه مفاخرا مباهيا ، يحاول أن يخدعهم أن له أهلا يسألون عنه ويهتمون به ويتشوقون اليه . وزملاؤه يعرفون من خط الخطابات أنها بخطه هو ، ولكنهم يشفقون عليه أن يخرجوه من الجنة الموهومة الى جهنم الحقيقة .. جهنم النسيان .

انتهز ضابط انسان فرصة مبيته أمس فى الليمان وسمح للمسجونين فى العنبر أن يتفرجوا على التليفزيون . كان يعرض فيلما قديما منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، واسمه الصراط المستقيم بطلته فاطمة رشدى ويوسف وهبى . بدت فيه الطرابيش التى اختفت ، وموضات الفساتين التى تغيرت ، والدنيا التى

تبدلت . ولاحظت أن المتفرجين من المسجونين الشباب كانوا يسخرون من فاطمة رشدى ، ويهزأون من تمثيلها ، ويضحكون من دموعها ، وكثيرون منهم راح يسأل من هى فاطمة رشدى ؟

ولم يعرف هؤلاء ، أنهم قبل أن يولدوا ، كانت هذه المرأة التى يسخرون منها هى ممثلة المسرح الأولى فىالشرق . كانت الجماهير تهتف لها فى الشوارع وكأنها أحد الزعماء السياسيين ! كانت تدخل العواصم العربية فى مواكب الغزاة الفاتحين . كانت فتاة أحلامنا ونحن تلاميذ .

أذكر أننى وأخى كنا نصدر ، وعمرنا ١٤ سنة ، مجلة اسمها « التلميذ » وكانت فاطمة رشدى هى فتاة الغلاف فى كل عدد من أعداد المجلة ! وكانت تقيم للطلبة حفلات نهارية بأسعارمخفضة . وأطلقت عليها أنا اسم « صديقة الطلبة » وأعجبها الاسم فكانت تضعه تحت اعلانات مسرحها التىكانت تغطىجدران كلالشوارع . ورأت فاطمة المجد والشهرة ، ورأت الغنى الباذخ والفقر المدقع . وكانت فى وقت من الاوقات تنزل فىالجناح الملكى فىفندق جورج سانك فى باريس ، ثم جاءت أيام كانت تعيش فىغرفة في بدروم وتعجز ستة أشهر عن دفع ايجارها الزهيد . كانت صاحبة أكبر فرقة مسرحية فى مصر ، وكانت تدفععشرات الالوف منالجنيهات مرتبات لأكبر الممثلين والممثلات ثم أصبحت تعمل ممثلة مع فرق تلاميذ المدارس وتتقاضى خمسين قرشا فى الليلة . هاجمها يوما ناقد مسرحى هجوما ظالما ، وخلعت حذاءها وضربته فى شارع عماد الدين . ووقفت كل صحف مصر ومجلاتها ضدها ، تهاجمها وتلعنها وتسخر منها ، ولكنها انتصرت عليها كلها . وكان مسرحها يمتلىء يوميا بالمتفرجين ، وكأنهم يردون على الصحفالتى كانت تلعنها كل يوم !

وذات مرة أهداها أحد أصحاب الملايين سوارا ثمنه ألف جنيه ذهبا ، ورفضت أن تضع السوار فى يدها ، وفضلت أن تبيعه وتنفق ثمنه علىمسرحها ، ليستمتع جمهورها بمسرحيات ممتازة . ضحت بكل شىء من أجل الفن حتىسعادتها الشخصية حتىأسرتها داست عليها ، حتى حبها . وأذكر أنها قالت لى مرة أنها تفكر في الانتحار ونصحتها ألا تنتحر ، وأن تعيش وتقاوم . واستمعت فاطمة لنصيحتى وعاشت ... ولعلها الآن تلعننى ، لو أنها ماتت

فى تلك الايام لشيعت فى جنازة رسمية ، لمشى مئات الالوف وراء جثمانها . لاشترك فى الموكب الكبراء والوزراء ... ولنشر نعيها بالعناوين الضخمة فى الصفحة الاولى . وعندما ستموت اليـــوم لن تجد ثمن الكفن . ولن تجد القبر الذى تدفن فيه .

وسيحمل نعشها فاعل خير ، فيموكب ليسفيه سوى النعش . وسيتســاءل المارة من هى المرحومة ؟ وسيقول قائل هى فاطمــة رشدى . ويستغرب الكثيرون ويسألون من هى فاطمة رشدى ؟

هــكذا كانت أفكارى وأنا أشــهد الفيلم فى التليفزيون ، كنت أتفرج على رواية أخرى لم يشهــدها الذين يجلسون معى ، وكنت أرى خاتمة للقصة قد لا يراها أحد سواى !

⊙❖⊙

من سوء حظ النجوم أنهم لا يعرفون الموعد المناســب لاسدال الستار !

زنـــير الصــــا متـــين

٨ أغسطس سنة ١٩٦٧.

عزيزى

أنت ساخط .. وزملاؤك الصحفيون ساخطون .

فى حياتى اليومية فى السجن أسمع زملائى المسجونين الساخطين على الحيـــاة الذين طلقتهم زوجاتهم ، والذين تنـــكر لهم أقاربهم ، والذين نسيهم أصدقاؤهم . كل واحـــد من هؤلاء يمسك فى يده ميكروسـكوبا يضخم له عذر من أحبهم في يوم من الايام . مثـل هؤلاء أحاول أن أقنعهم بوجهة نظرى فى الحياة . لا يجوز أن نحكم على كل الناس بجريمة فرد واحد . أنا أومن أن الاغلبية العظمى للناس طيبون ، ولا يجوز أن يحكم الواحد منـــا على ملايين البشر لان عشرة أشخاص أساءوا اليه . تمـــاما كأن تركب طائرة الى ستوكهلم عاصمة السويد ، وتنزل فى بيت أسرة زنجية ، ثم تعود الى القاهرة متصورا أن كل أهل السويد من الزنوج !

تجربتى مع الحياة أكدت لى أن الارض مليئة بالناس الطيبين . رأيتهم فى كل مـكان ، وفى كل مستوى ، وفى كل بلد . الذين أحسنوا الى أضعاف الذين أساءوا الى . حتى الذين اساءوا الى أحاول أن أجد لهم المبررات والاعذار .

ليس معنى أننى بذرت بذرة ولم تنبت أن أترك الارض كلهـــا صحراء ولا أزرع فيهـــا شيئا . اننى أحيـــانا أبـــذر بذرة فى أرض . فتخرج الثمرة في مكان آخر غير مكان البذرة الذى زرعتها فيه لولا ايمانى بأن الخير فى الاغلبية الساحقة للناس لكرهت الحياة . ولكنى أحب الحيـــاة لاننى أحب النـــاس ، كل الناس ، بمزاياهم وعيوبهم . وعندما يسىء انسان الى لا ألومه ، بل أحاول أن أعرف سر

ما فعل ، أحاول أن أفلسف الاساءة ، ثم أتذكر أننى مدين الى ألوف لم أعرفهم ، ولم أخدمهم · المثل يقول « أعمل الخير وارمه فى البحر » وهو مثل جميل · الخير لن يغطس أبدا فى البحر ولن يغوص فى الاعماق · انه مثل قطعة الفلين يعوم · اذا غرق الواحد منا فى بحر الزمن ، فسوف يجد قطعة من هذا الفلين يتعلق بها · قد لا تكون قطعة الفلين التى ألقاها هو فى البحر · لعلها قطعة فلين ألقاها شخص آخر ، لم يجدها عندما سبح فى البحر وبحث عنها فى نفس المكان الذى رماها فيه ! حبى للناس يجعلني أحس أننى لست محروما من شيء · نعم حرمت من أسرتى الصغيرة ، وعوضنى الله فجعل كل المسجونين حولى ، هم أسرتى الصغيرة ، أمنحها حبى وأهتمامى · افرح لفرحها وأشقى لشقائها · وليس مهما أن أتقاضى من الناس حبا يساوى الحب الذى أعطيه لهم،فالحب ليس تجارة ، تأخذ ثمن ما تدفع · انما الحب عاطفة لذتها أن تعطى ·

وفى بعض الاحيان أتصور أننى أطلب من بعض الناس أكثر مما يستطيعون أو يتخيلون ، ذلك أن الله أعطانى حبا عظيما هو حب الناس ، وهو شيء قد أكون استمتعت به وحدى ، ربما أضعاف ما تمتع به الذين لم يعرفوا حلاوة حب الناس كما ذقتها ، ولم يلمسوا وفاء الشعب كما لمسته · وعندئذ أعذر من لا يعرفون قيمة الحب ·· كيف تطلب من الذى لم يذق طعم الخوخ أن يصف حلاوته ، ومن لم ير شكله أن يصف جماله ! كل واحد منا أمسك فى يده وردة وجرحه شوكها · بعضنا نسى الشوك ولم ينس جمال الوردة وعبيرها · وبعضنا نسى كل شيء عن الوردة ولم يذكر سوى الدم الذى سال من أصابعه !

ويبدو أن نظرتى الى الحياة تختلف عن نظرة كثير من الناس · بعض الناس يتصور أننا محكوم علينا جميعا بالاعدام ، ولا نعرف موعد تنفيذ الحكم · وأرى أنه من الخطأ أن تنظر الى الدنيا هذه النظرة المتشائمة · الحياة جميلة جدا · ونحن نصنع حياتنا بأيدينا ، وايماننا وحده هو الذى يجعل حياتنا جنة ·· فاذا لم نعرف الله عرفنا الجحيم ·

تقول لى فى خطابك أنك وتلاميذى تعيشون فى ظلام · ليل ليس له نهار · سجن بغير باب · حياة بلا أمل · تكتبون كآلات الكتابة يدق عليكم الحاكم بأصابعه · فتتحرك حروفكم وتكتب

مايريد !؟ أنا متفق معكم فى أن هذا أسوأ مايحدث لكتاب وصحفيين، عندما يتحولون من حملة أقلام الى حملة مباخر ، ومن قادة رأى الى قادة مظاهرات تهتف بحياة الحاكم فوق صفحات الصحف . ولكنى لا أحاسبكم وانما أحاسب الذين وضعوا السلاسل التى فى أيديكم . لا ألوم ألسنتكم البكماء وانما ألوم الذى قطعها . لا أستنكر أيديكم المرفوعة استسلاما فى الهواء ، وانما أستنكر المسدسات التى يصوبها الطغاة على رؤوسكم .

أنا أعرف أن أعصابكم مرهقة ، فان الدوامة التى تعيشون فيها قادرة على أن تتلف أقوى الاعصاب . أعرف أن كل شىء قاحل حولكم . وأنكم تعيشون فى صحراء قفراء ليس فيها واحة واحدة من الحرية . وأن كل ما يقال غير ذلك هو سراب لخداع السذج وأطفال الصحافة . ولكنى مؤمن أن الله لن يتخلى عنكم . انى اشتريت ورقة يانصيب هى المستقبل !.. الجائزة الأولى فى هذا اليانصيب هى الحرية الكاملة ! قد لا تكسب « البريمو » .. ولكنى مؤمن أننا لابد أن نكسب بعض الحرية ، ثم نكسب بعد ذلك كل الحرية ! المهم ألا تيأس ولا تتصور أن صراخ الطغاة هو زئير الاسود ، وانما هى أصوات الذئاب فى الغابة ! لا تصدق أن الاستبداد كسب معركته الاخيرة ، فهذه الحرب سوف تستمر ، بين خصوم الحرية وأنصارها ، الى أن ترتفع أعلام الحرية وتنكس أعلام الاستبداد . ايمانى هذا لا يتزعزع . لا يستطيع أن يحطمه السجن ولا الوحدة ولا سوء المعاملة ولا النهار الحزين ، ولا الليل الملىء بالهموم . أنا أعرفكم ، انكم تشعرون جميعا فى أخبار اليوم كأنكم لا تقيمون فى أى مكان . كأنكم واقفون فى محطة تنتظرون قطارا لا يجىء . تسائلون أنفسكم هل أنتم تقفون فى محطة الانتظار أم هى محطة الوصول . تنظرون حولكم فتجدون أن كل شىء كئيب . مظلم . معتم . الاقلام في أيديكم قيود ، الصحف فى أعينكم جثث ، الاعمدة مشانق تعلق فيها الكلمات . الاخبار نشرات العلاقات العامة فى كل وزارة . الآراء هى رأى الحاكم وحده بلا شريك . المانشيتات هى اسمه يتكرر فى كل صباح كأنه واجب مفروض على كل من يشترى جريدة . الصور كلها لرجل واحد هو الذى يبتسم ويفكر ويقف ويجلس ، ويسافر ويجىء !؟

هذا يحدث دائما فى كل بلد تذهب فيه صحافة الشعب وتجىء صحافة الحاكم .

اننى على ثقة أن أزمة الصحافة مؤقتة . هذه القيود تزعجنا ولكنها لن تقتلنا . ستبقى أصابعنا تأكلنا لنحمل الاقلام التى تتحول فى يوم من الايام الى مشاعل للحرية . ايماننا بالغد لا يجوز أن يضعف أبدا . الصحافة لابد أن تبعث حية . لو قطعوا لسانها فسوف يولد لها ألف لسان . يجب أن نشعر جميعا أننا أقوى من الازمات أقوى من المحن . أقوى من قيودنا وأغلالنا . ثقتى بكم تجعلنى أعتقد أنكم قادرون على أن تمشوا فوق الشوك. لقد مشيتم فى السنوات الاخيرة فوق النار . النار جعلت جلودكم أكثر احتمالا .. المشى فوق الشوك أصبح أسهل كثيرا !

اكتبوا بأقلامكم « المقصوفة » ... اذا انتزعوا منكم الاقلام فاكتبوا بأصابعكم .. لو قطعوا أصابعكم فألقوا بالنكت ! لو انتزعوا ألسنتكم فاخرجوا صامتين .. ربما يكون الصمت أعلى صوتا من الزئير !

لا بد أن تنتصر الحرية !

اذا لم تستطع أن تكتب الآن فى السياسة فاكتب فى الجريمة ! كم من الجرائم ترتكب فى السياسة الآن !

اذا لم تستطع أن تكتب عن الجرائم أكتب قصصا للأطفال !

قد يفعل الاطفال فى الغد ما عجز عنه الرجال بالامس !

على بلاج ليمان طره !

١٢ أغسطس سنة ١٩٦٧

صديقى ...

لا أشعر فى هذه الايام برغبة فى الكتابة . الحبر جف فى قلمى . روحى أصابها الصدأ . كأننى كنت أسبح فى البحر . وواجهت العواصف والانواء ، وأنا لا أكف عن السباحة . ثم فجأة توقفت . هل تجمدت يداى فلا تتحركان ؟ هل شعرت أننى اقتربت من الشاطىء فتركت جسمى للتيـار يحمله معه ؟ لست أدرى . هل أفرغت كل ما عندى ولم يعد لدى ما أقوله . على العكس ، ففى قلبى ورأسى وروحى أشياء كثيرة ، أكثر مما قلتها ، أريد أن أقولها ، ولا أعرف لماذا لا أقولها . لماذا لا أمسك القلم واكتب . القلم كان دائما حبيبى . كان حضن « الام » فى نفسى . كلما شعرت بضيق أو فرح أسرعت الى هـذا الحضن أدفن فيه رأسى . الآن لا أفعل ذلك . ربما لان الطفل قد كبر وشاخ . ولكن لم أشعر بعد بالكبر والشيخوخة . المحن والآلام جـددت شـباب روحى . أعيش فى السجن شبابى المبكر الذى حرمت منه . حياة ليس فيها مسئولية ولا كفاح شاق . ولا عرق مستمر . أجازة طويلة . طويلة جدا . روحى أشبه بجسد مستلق على شاطىء الزمن . أرقب مياه البحر وأمواجه فى استرخاء . أستمتع بالشمس وهى تسبح فى البحر وتغرق فيه . بذلة السجن فى المايوه الذى أرتديه وأنا أرقد على الشاطىء ! عشت طول حياتى فى العواصف . فى البحار الهائجة الغاضبة . كنت أشبه بقبطان باخرة كبيرة . كبيرة جدا . تسع ملايين الركاب . كنت أشعر طول عمرى كأننى المسئول الوحيد عن هذه الباخرة . كل عطل فيها . كل ثقب . وهكذا لم أستطع أن أنام أو أستريح أو أهدأ . كل حياتى كانت قلقا . لا أخرج من عاصفة الا لادخل فى عاصفة أخرى . ثم هأنذا الآن راقد على البلاج . بلاج ليمان طره .. أرقب البواخر وهى تمشى أمامى ، وتختفى

وتغيب • كرهت البطالة طول حياتى • لم أستمتع يوما بمقعد المتفرج • كنت أتمنى أن أموت فوق سفينتى ، أو أغرق معها • ولكن الظروف شاءت أن أجـــد نفسى مسترخيا على رمال بلاج الزمن ، مثلى مثل ألوف الكسالى الذين يمضون أجازاتهم راقدين على رمال بلاج المعمورة والمنتزه •

أرقد على البلاج وأرى بلدى يغرق !

وأنا مقيد بالسلاسل لا أستطيع أن أشترك فى انقاذها !

إلتقيت هذا الاسبوع بأولادى • لقاء السلك حطم أعصـابنا • بكاء ابنتي هزنى • تماسكت حتى لا أبكى معهـا • خرجت سريعا من الغرفة • أحسست بأن أولادى يشعـرون بالهوان لان الاوامر جاءت بأن تتم زيارة المسجونين السياسيين من وراء السلك شأن القتلة واللصوص ! الذين يضربوننـا بالسياط لا يعرفون كم تؤلمنـا • لعلهم يتصورون أنهم يربتون بسـياطهم على ظهورنا ! آثرت أن ألا أكتب اليك حتى تهدأ نفسى ويخف عذابى • الذين عاشوا طول حياتهم فى حب وحنان وفي دنيـا من الرحمة والعاطفة يرتعشون فى جو أوامر الحكام الصارمة التى لا قلب لها • ما أصعب الانتقال من دفء الانسانية اللذيذ الى برودة الوحشية القاتلة ! هل يجىء يوم يذوق فيه هؤلاء القساة معنى السجن وقسوة الزنزانة وعذاب لقاء الاولاد فى الليمان ؟

الحياة فى السجن ليست فترة للتكفير ، بل هى فترة للتفكير • لا عمل لنا الا أن نفكر • خلايا عقولنا تتحرك بين القضبان أسرع مما تتحرك فى الحياة العـادية • دوى الحيـاة خارج السجن تجعل خلايا عقولنا تبطىء ، ننشغل بأمور الدنيا وحركتها السريعة حولنا • الذين يمشون على أقدامهم يفكرون أكثر من الذين يركبون سيارة • والذين يركبون سيارة يفكرون أكثر من الذين يركبون طائرة • والذين يركبون صـاروخا لا يفكرون الا فى الصـاروخ • ونحن فى السجن لا نمشى ، وانما نتوقف والزمن يمر أمامنا • وأحداث الزمن لا تجرى بسرعتها العادية ، فهى عندما تمر أمامنا تبطىء • تتعثر • تتمهل • كأنهـا موكب المسجونين المقيدين بالسـلاسل يمشى فى طابور • ويتوقف المسجون أمامنا لنفتشه • لنتحسس كل جزء فى جسده • لنعرف ما يخفيه • ذكرياتنا تمشى أمامنا كهذه الطوابير • طوابير لا تنتهى • تذهب وتجىء • ومن هنـا لا ننسى الاحداث ، لانها تمر أمامنا عدة مرات • عرفنا أسماءها • عرفنـا وجوهها •

عرفنا ما تخفيه من ممنوعات فى طيات أسرارها . كلما حاولت أن أنسى زادت حدة ذاكرتى . أشياء كثيرة فى حياتى كنت نسيتها ، فاذا بها تعود . بكل تفاصيلها وكل دقائقها . كل كلمة قيلت . كل لفتة . كل ابتسامة . كل دمعة . كل حركة . كل لحظة صمت . لم نعد الحيـــاة تحسب بالســنين ، أصبحت تحسب بالايام ، ثم بالساعات ثم بالدقائق ثم بالثوانى .. كل كلمة تقود الى كلمة . أمور تافهـــة لم أتصور أننى أتذكرها . تفــاصيل طواها الزمن . أحاديث عابرة . كل هذا أصبح يتوقف أمامى . كما يحــدث فى السينما عندما يثبتون صورة فى الفيلم بلا حراك . فيترك لى هذا فرصة أكبر لأتبين أشياء لم أتبينها وحياتى تنطلق بسرعة الصاروخ .

الجعان يحلم بسوق العيش ، والمحروم من الحرية يحلم بحريات لاحدود لها . مصيبتى أنه لايعيش فى داخلى شخص واحد كباقى الناس . فى داخلى أشخاص كثيرون : الصحفى والمسجون والكاتب والسياسى والفنان . كل واحد من هؤلاء له شخصية ، وله تاريخ حياة ، وله ماض وحاضر ومستقبل . وله أفكار وأحــلام . وهم يتناقشون ويتعاركون داخل روحى .. يختلفون باستمرار ، ولكنهم يعيشون معا . أسمع أصواتهم كأن كل واحد منهم يريد أن يربحنى لنفسه ، ولكنى مقسم بينهم جميعــا . تائه . حائر . عزائى أنهم جميعا يحبون شيئا واحدا هو الحرية .

عندما تمر أمامى ذكريات حياتى أتصور أننى أشبه بامرأة فى استعراض أزياء . عارضات الازياء يمشين أمامها . كل شىء فيهن جــذاب وجميل ورائع . كل ثوب أنيق وفتان . وهى حائرة أى فستان تختار . تتمنى لو استطاعت أن تأخذ الاثواب كلها .

وهكذا أنا لا أعرف ما أريد أن آخــذ من ذكريات أيامى ولياليى وما أدع . أريدها كلها . بكل ما فيها من ألوان وأشكال وأنواع . أثواب الصباح وبعد الظهر والسهرة ! الاثواب الطويلة والقصيرة . المغلقة والمفتوحة . المايوه وفستان السواريه .

كل ذكرياتى فى حياة الحرية حلوة حتى دموعى . ليالى القلق ، الارق والسهــاد ! ما أحلى طعم الاشيــاء التى كانت توجعنى فى الحرية ، وما أمر الاشياء التى أصبحت تسعدنى فى زنزانتى !

ذكرياتى فى الحرية تبدو أحيانا كالبلسم يشفى جراحى ، وتبدو أحيانا كالخنجر يغمد فى صدرى · ولكن طعنة الخنجر تبدو لذيذةرائعة مثيرة · هذه الذكريات تقاوم الوحدة والسجن والموت · هى نوافذ أطل منها على الماضى وأطل منها على المستقبل ، وهى قوى خفية تمنحنى قدرة على المقاومة والصمود أمام المحن · اننى لا أنوء بما أحمل من ذكريات الماضى · هذه الذكريات لا تجعلنى أسقط تحت ثقلها وضخامتها ، بل أنطلق الى أحلام المستقبل ·

أخيرا صرحت لى مصلحة السجون اليوم بقراءة جريدة مصرية واحدة ومجلة أسبوعية واحدة · وقد كان منع الصحف عن المسجونين السياسيين عقب الهزيمة كارثة ما بعدها كارثة ·· وكانت عملية تهريب الصحف الى داخل السجن أشبه بتهريب الحشيش والافيون ·

بيني وبينك ·· أن الصحف المصرية فى هذه الايام هى حشيش وهى أفيون ·

ولا أعرف متى « نفوق » ؟

جحيم التعذيب

ليمان طرة فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٦٧

عزيزتى ...

كنت أول مسجون رأى الاستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين ، عندما أتوا به الى عنبر واحـد بليمان طرة . رأيته فى غرفة ضابط العنبر يرتدى بذلته العادية ، ثم طلب منه الضـابط أن يخلع بذلته العـادية ليرتدى مـلابس السـجن . لم يعترض الهضيبى . لم يطلب اخلاء الغرفة من المسجونين . خلع ملابسه ببساطة . وأرتدى ملابس السجن . كانت بذلة السجن كبيرة عليـه . كانت ممزقة قذرة . ولم يتـأفف الهضيبى ولم يحتج . نزعوا منه السـاعة وقلم الحبر والمصحف ! وكنت أنا المسجون السياسى الوحيد الذى يعرفه الهضيبى من قبـل ، فقد حقق معى وهو رئيس نيابة الاستئنـاف فى بلاغ قدمته الحـكومة ضدى فى عام ١٩٣٩ وكانت التهمة عجيبة وهى أننى هاجمت هتلر والحكم النازى ، ومن سخرية القدر أن الحكومة أعلنت على هتلر الحرب بعد ذلك بشـهور ! .. وكان الهضيبى يفيض رقة وأدبا وهو يحقق معى ، وكان يبتسم سـاخرا من التهمة ، وقال لى أن الحكومة أمرت بالتحقيق لان سفير ألمانيا احتج وانها أرادت ارضاءه بالتحقيق !

وكان من الطبيعى أن اتصل به فى زنزانته التى كانت تبعد عن زنزانتى فى الطابق الرابع بزنزانتين . وكانت التعليمات مشددة بألا أكلمه ولا يكلمنى . وألا أقترب منه ولا يقترب منى . وكنـا نستطيع دائما أن تلتقى سرا فى غفلة من ضابط العنبر ومن الحراس

ورفض وزير الداخلية أن يضع الهضيبى فى مستشفى السجن ، على الرغم من أنه فى السبعين من عمره ، وأنه مريض بعدة أمراض ، ورفضوا أن يصرفوا له مرتبة ، فنام على البلاط ، وأعطوه بطانيتين ممزقتين قذرتين وتعاون المسجونون السياسيون فاشتروا له بطانيتين نظيفتين !

وفوجئت بقرار من وزير الداخليه بمنع تحويل أمانات باسمه ، فلائحة السجون تسمح بأن تحول الاسرة خمسة جنيهات أو عشرة جنيهات شهريا للقاتل أو اللص أو تاجر المخدرات ليشترى مايحتاج اليه من سجائر ومأكولات ٠٠ ولكن الهضيبى المستشار السابق بمحكمة النقض والابرام لم يسمحوا له بمليم واحد !

وتعاون المسجونون السياسيون واشتروا للهضيبى صابونة ليستحم بها ! واشتروا له بعض علب سجائر بلمونت ليدخن ، وليدفع أجر النوبتجي الذى يحمل له جردل البول من الطابق الرابع الى دورة المياه فى الطابق الاول ٠ وكان الهضيبى يريد أن يحمل بنفسه جردل البول ، ولكننا أشفقنا عليه وعلى صحته من هذا الهوان ٠

وكانت المأساة الكبرى أن جميع المحكوم عليهم من الاخوان المسلمين وفى قضية حسين توفيق ممنوعون من كتابة خطابات الى أسرهم أو تلقى خطابات من أسرهم ، وممنوعون من زيارتهم ٠٠ ومكثوا ثلاث سنوات لا يعرفون عن أسرهم أى شيء !

وكان الهضيبى مهتما بأن يسأل عن أسرة كل مسجون من الاخوان المسلمين ولم يكن يسأل عن أسرته هو ٠٠٠

وسألته لماذا لا تحاول أن تتصل بأسرتك ؟

فقال : أنا آخر واحد ٠٠٠

ورتبت مع أصدقائي خارج السجن الاتصال مع السيدة الفاضلة زوجة الهضيبى بواسطة احدى كريماته الدكتورة سعاد الهضيبى ٠

وكانت المهمة صعبة ٠٠ فقد كان بيت الهضيبى مراقبا ، وتليفونه مراقبا ، وكل فرد من أفراد أسرته تحت الرقابة الشديدة ٠

ومع ذلك استطعنا أن نقيم شبكة اتصالات سرية مستمرة ، واستطاع الهضيبى أن يرسل رسائل مستمرة الى زوجته ويتلقى أنباءها باستمرار ، ويحصل على ما يحتاج اليه من أدوية وبعض الملابس الداخلية ، فقد كانت ملابس السجن الداخلية التى صرفت له ممزقة وخشنة كملابس المتسولين !

وقال لى الهضيبى أن أسرته كلها كانت فى السجن ، ولم يكن يضيق بأن أولاده أحمد أسامه الهضيبى المهندس ومحمد مأمون الهضيبى المستشار بمحكمة الاستئناف واسماعيل حسن الهضيبى المحامى وابن عمه محمد سليمان الهضيبى وأولاد شقيقه أمين الهضيبى ونجيب الهضيبى فى السجن ، ولكنه كان يضيق بأنهم وضعوا زوجته فى زنزانة فى السجن الحربى ، ووضعوا فى زنزانة ثانية السيدة خالدة الهضيبى والسيدة علية الهضيبى ۰ وكانت علية عند القبض عليها فى أيام حملها الاخير ، ولم يهتموا بذلك ، ولكن عندما اقترب الوضع حاروا هل يتركونها تلد فى الزنزانة ولم يجدوا فى السجن الحربى مكانا لولادة النساء ، وخافوا من الفضيحة لو نقلوها لتضع فى مستشفى عسكرى ، وعندئذ أفرجوا عنها ...

وذكر لى الهضيبى أنه تقرر القبض على الطيار يحيى حسين ، وتسرب اليه الخبر ، فاستقل طائرة وهرب الى السودان ، وعندما جاءوا ليقبضوا عليه لم يجدوه ، فقبضوا على زوجته السيدة غادة عمار ، وطلبت هى عند القبض عليها أن تأخذ معها طفلتها الرضيع التى كان عمرها خمسة أشهر لتتم رضاعتها فى السجن ، ورفضوا ووضعوها فى زنزانة بالسجن الحربى رهينة الى أن يسلم زوجها نفسه ! وقال انهم قبضوا على شقيقته بهية الهضيبى حرم الحاج محمد سليمان الهضيبى وهى فلاحة ريفية وقبضوا على زوجها وابنها ۰ وذكر الهضيبى أنهم قبضوا على الحاجة زينب الغزالى ، وهى فى الستين من عمرها وأنهم مشوا بها فى ساحة السجن الحربى بين المسجونين من الاخوان المسلمين الذين كانوا معلقين كالذبائح ، وانها خاضت فى جثث المسجونين السياسيين ، وفى

أشلائهم الممزقة والتى كانت مفروشة على رمال السجن الحربى ! وأنها كانت تسمع صراخهم وتقول لهم : صبرا يا أبنائى . ان موعدكم الجنة .. صبرا آل ياسر ان موعدكم الجنة .

وذكر الاستاذ المرشد أنهم ضربوا زينب الغزالى وأهانوها ووضعوها فى زنزانة مظلمة مع أكثر من عشرة كلاب .

وروى بعض حراس السجن الحربى للمرشد أن اللواء حمزة البسيونى قائد السجن الحربى أمر أحد الحراس بأن يدخل زنزانة الحاجة زينب الغزالى ويغتصبها ، وصدع السجان بالامر ودخل الزنزانة وحاول أن ينفذ الامر فصرخت فيه الحاجة زينب :

ـ أنا مثل أمك !

وعندئذ تراجع السجان ، وذهب الى اللواء البسيونى وأخبره أنه رأى امرأة فى السبعين من عمرها ، ولما صرخت فيه « أنا مثل أمك » لم يقو على تنفيذ الامر ، وعندئذ أمر اللواء حمزة البسيونى بقطع جهاز السجان التناسلى . وتولى أحد أطباء السجن تنفيذ هذا العقاب الذى لا مثيل له فى العالم !

وكان الاستاذ الهضيبى يروى هذه القصة وهو يبكى !

وقص على الاستاذ الهضيبى أن بين نزيلات السجن الحربى عروسا قبض عليها بعد أن مضى على زفافها ثلاثة أيام ، وهذه السيدة هى عروس سيد نزيلى العواضة من كرداسة ولها قصة عجيبة ، فقدذهب البوليس الحربى الى قرية كرداسة بمحافظة الجيزة ليقبض على سيد نزيلى العواضة من شبان الاخوان المسلمين ، ولم يجدوه ، ووجدوا عروسه فقبضوا عليها، وصرخت وولولت! .. وسمع الاهالى صوت صراخها فتصوروا أن عصابة جاءت تخطفها ، واجتمعت القرية كلها رجالا ونساء وضربوا ضابط الشرطة العسكرية وجنوده فولوا هاربين . وفى اليوم التالى جاءت فرقة من الجيش برياسة الفريق أول محمد فوزى والجنود بملابس الميدان والمدافع وحاصروا القرية وقبضوا على جميع من فيها من نساء ورجال ونقلوهم الى السجن الحربى ، وأوقفوهم فى ساحة السجن الحربى ، وأمروا كل زوجة

بأن تركب فوق زوجها وتبصق على وجهه ، ومن ترفض ينهالون عليها بالسياط ، ثم راحوا يضربون الرجال بالسياط أمام زوجاتهم وبناتهم وأمهاتهم · واستمر هذا التعذيب اليومى أكثر من شهر ! ثم حلقوا « فردة » حاجب من عين كل رجل فى كرداسة وتركوا الحاجب الآخر ، وحلقوا «فردة» شنب من الناحية الاخرى ، وتركوا فردة الشنب الآخر ، وأطلقوا اسم امرأة على كل رجـــل فى القرية وضربوا بالسياط كل رجل لا يجيب اذا نودى باسم امرأة !

وبين العرائس المقبوض عليهن فى السجن الحربى حميدة قطب، وقد تمت خطبتها وهى مسجونة لمسجون معنا فى الليمان من الاخوان المسلمين ، وعروس زميلى المسجون معنا فى الليمان الطيار محمد ضياء الطوبجى · وجميع سيدات أسرة سيد قطب والسيدة أم أحمد وهى فى الثمانين من عمرها ·

وأحضروا عبد الحميد البورديني وطلبوا منه أن يعترف بأنه عضو فى المؤامرة فلم يعترف ، فقبضوا على زوجته وابنته وعذبوهما أمامه حتى يعترف ولم يعترف ·

وأمروا الزوجة بأن تمسك السوط وتضرب زوجها ·· فرفضت ·· فانهالوا على عبد الحميد بالسياط أمام زوجته حتى أسلم الروح ·

وروى بعض اخوان محـافظة الدقهلية للاستاذ الهضيبى قصـة مأذون قرية البيضا الشيخ محمد عبد المقصود العزبى الذى بلغ من العمر فوق السبعين عاما ، وكيف قبضوا عليه هو وأولاده الاربعة وزوج ابنته ·· وبدأوا يضربون الاولاد أمام أبيهم ويعذبونهم فلم يعترف ··

وقبضوا على ابنتيه وجاءوا بهما الى السجن الحربى ·

وقال له أحد ضباط التعذيب :

ـ سأستمتع الليلة بابنتك الكبرى !

وقال الضابط الثانى : لا ·· أنا الذى سأبدأ !

وقال الثالث : أنا دورى بعدكما ··

وقال الرابع : أنا سأستمتع بالصغرى ·

وصرخ المأذون : اننى مستعد أن أوقع لكم على كل ما تريدون -

وكانت الابنة الصغرى المقبوض عليها عمرها ١٣ سنة !

وكان المنظر فى السجن الحربى يفتت الاكباد · شبان من خريجى الجامعات لا يستطيعون السير على أقدامهم من شدة الضرب فيزحفون على بطونهم · رجال يتوكأون علىآخرين · مقعدون يحملهم زملاؤهم الى دورات الميـاه · وجوه مشوهة ومخضبة بالدم ·· كأنهم مئات من الجرحى والقتلى والاشلاء بعد معركة حربية رهيبة ·

وروى بعض الاخوان للاستاذ الهضيبى كيف أمروهم بأن يلعقوا أسفلت السجن الحربى بألسنتهم ·· وينظفوه بلعابهم لانه لا توجد مياه للنظافة فى السجن ·

واضـطروا أن يخضعـوا ـ وبينهم أستاذ فى الجامعـة ـ لهـذا الهوان !

وفقـد بعض المسـجونين السياسـيين عقولهم ، وأصيب آخرون بانهيار عصبى ·· والسعداء منهم أصيبوا بالشلل أو بالصمم أو بالعمى ·

وكان كثيرون من المسـجونين يذهبون الى رئيس النيـابة الذى يحقق معهم محمولين فوق نقالات ·

وقال الاسـتاذ الهضيبى أنه يعتقد أن كل هـذه الجرائم سوف تتكشف فى يوم ما على الرغم من أن المسئولين فى السـجن الحربى يقولون لكل مسـجون يخرج من السـجن سوف نذبحك اذا فتحت فمك وتكلمت عن التعذيب ·

وقال أنه يعتقد أنه سيجىء يوم تنتصر فيه العـدالة ، ويصـدر أمر بالتنقيب فى الجبـل بجوار مدينـة نصر عن جثث عشرات من المسجونين السياسيين ماتوا أثناء التعذيب ، وأعلنت الحكومة أنهم هربوا من السجن ·

وقال لى أنه كقاض يؤمن بأن هـذه القضايا لا يمكن أن تسقط بالتقادم ٠٠ وسوف يجىء يوم تتكلم فيه أشلاء الضحايا المدفونة فى الصحراء اذا لم يتكلم الشهود الذين رأوا هذه الجرائم ٠

وقال الاستاذ المرشد أن شابا اسمه محمد الفيومى كان من حرس الرئيس عبد الناصر ، وكان من الاخوان المسلمين ، وكان أحد أبطال الرماية ٠٠

وأنه اتهم كذبا بأنه سيقتل عبد الناصر ، بينما كان الفيومى على بعد أمتـار قليلة من عبد الناصر لمدة أربع سنوات كاملة ، ولو كان يريد قتـله لقتـله بسهولة وأراد البوليس الحزبى أن يرغمـه على الاعتراف بأنه كان سيقتل عبد الناصر ٠٠

وأصر الشاب على أن هذا كذب ٠٠ وقال أنه من الاخوان المسلمين فعلا ، ولو كان الاخوان طلبوا منه أن يقتل عبدالناصر لقتله ، ولكن أحدا منهم لم يطلب ذلك ٠٠ واستمر التعذيب والضرب بالسياط والتعليق ، والضرب بالاحذية حتى أسلم محمد الفيومى الروح ، ولفوه ببطانية ووضعوه فى سيارة ودفنوه فى صحراء مدينة نصر وأعلنوا أنه هرب من السجن الحربى ٠٠

ومن الطريف أنهم قدموه الى الدجـوى وهو ميت فحكم عليه بالسجن ١٥ سنة وهو ميت !

وروى الاخوان قصة محمد منيب عبد العزيز ، أمين مكتبة كلية العلوم بجامعـة أسيوط ٠ لقد ضـبطت الشرطة العسـكرية عنده خطابا فيه جملة « خذ بالك من الكتاكيت » !

وأصر المحققون الاذكياء على أن المقصود بالكتاكيت هم أعضاء الجهاز السرى فى أسيوط ٠

وطلبوا من منيب أن يذكر لهم أسماء الكتاكيت ٠

وحاول منيب أن يثبت لهم أنه يربى فى بيته كتاكيت فعلا ولم يصدقوه واستمروا يضربونه الى أن أسلم الروح ، ولفوه فى بطانية وحملوه فى سيارة بوكس فورد الى صحراء مدينـة نصر ، ودفنوه فى رمال الجبل ٠

اننى أشك كثيرا فى أن الشعب يعرف واحدا من ألف من هذه الحقائق البشعة ٠

كل الاشاعات وكل المبالغات لم يخطر ببـالها أن بعض المصريين يفعلون بالمصريين كل ما فعلوه ٠٠

وأنا أعتقد أنه لو كانت الصحـافة حرة لعرف النـاس كل شىء ولظهر كل ما أسدلوا عليه ستار الصمت ٠

بل لو أنه كانت هناك حرية صحافة لما جرؤ أحد على أن يرتكب واحدا من ألف من هذه الجرائم ٠

ولكنى متفق مع الاستاذ الهضيبى فى أن الحقيقـة لا يمكن أن تضيع ، وأن الظلام لن يستمر الى الابد ، وسوف يجىء يوم يعرف الناس فيه بعض ما جهلوه ٠٠ ان لم يعرفوا كل ما جهلوه !

*

صديقي القاتل!

٣٠ أغسطس سنة ١٩٦٧

عزيزتي ...

صدر أمر وزير الداخلية بألا أقابل أولادي وأسرتي في مكتب الضابط كما جرت العادة ، وانما تتم المقابلة من خلال السلك ! فأقف في غرفة تشبه قفص القرود في حديقة الحيوانات ، وتقف أسرتي بعيدة عني نصف متر ويفصلنا عن بعضنا سلك غليظ .

وصدرت هذه التعليمات المشددة بعد هزيمة ٥ يونيه . كأنهم يعاقبوننا نحن عن الهزيمة التي ارتكبوها هم .

انني سعدت بزيارة أولادي ، بالرغم من أنني لم ألمسهم بسبب السلك الغليظ . لم أضع شفتي على خدودهم بسبب السلك الغليظ لم أتبين أصواتهم بسبب بعد المسافة . ولكني أحسست بهم تحت جلدي . لم أشعر أنني في قفص في حديقة الحيوانات . لم أجد فارقا بين الوقوف في هذا المكان الضيق الخانق ، وبين الجلوس معهم في فوتيل ضخم في شقتي في الزمالك . كنت أشعر أنني أسترخي وأنا واقف . الضوضاء التي حولي لم أسمعها . الاسلاك لم تفصلنا . لم أكن أراها . نحن الذين نضع الاسلاك بيننا وبين الناس . ان هذه الاسلاك من أوهامنا وليست من الحديد . انني رأيتها أشبه بخيوط وهمية مثل خط الاستواء .

لقد فقدت اليوم محمد أحد زملائي في العنبر ...

انه مسجون لا يقرأ ولا يكتب . هو فلاح . فيه شهامة الفلاح المصري ورجولته . أنه من أكثر الذين عرفتهم أمانة واخلاصا ..

انه قاتل وهو صديقي .

ولقد اخترته لأخفي عنده الورق والقلم لانني ممنوع من الورق والقلم . ووثقت به لانه مظلوم ، وقد اخترته لانني حرصت على أن تكون العصابة التي ألفتها هنا لتهريب الخطابات من المظلومين ، المظلوم له قضية ، وهو عندما يدافع عن مظلوم آخر يشعر أنه يدافع عن نفسه ..

ولهذا فليس من السهل أن نشترى مظلوما ، أو أن يخون مظلوم زميله المظلوم .

وقصة محمد عجيبة ...

كان يعمل خفيرا فى احدى العزب ، ثم قتل بعض النـاس ابنه الشاب وقبض على القـاتل ، ثم ظهر أنه صـاحب نفوذ وسلطان فى القرية ، ولم يجرؤ أحد فى القريه على أن يشهد ضده فبرأت المحكمة القاتل ..

وفى كل ليلة كانت زوجة محمد تقول له : انتقم من الذى قتل ابنك . اقتله كما قتل ابنك .

وكان يهدىء ثورتها ويقول لها ان الله هو المنتقم .

وفى كل ليـلة كانت الأم الثكلى تحرض محمـد على أن ينتقم لابنه ... وهو يرفض ويطلب منها أن تهدأ أو تنام ...

وذات ليلة لم تنم الأم . قامت من فراشها فى منتصف الليل ، وأخذت بندقية محمد وخرجت من البيت .

وسمع محمد وهو فى فراشه دوى طلق نارى ، ثم رأى باب بيته يفتح وتدخل زوجته حاملة بندقيته ، وبعد دقائق سمع أصواتا تدق على باب بيته وتصيح : القاتل دخل الى هذا البيت ... اننا رأيناه وهو يدخل حاملا بندقية ...

وفتح محمد الباب وهو يحمل بندقيته وقال :

ـ أنا القاتل ...

ولم يكن هو القاتل ، انما أراد أن يترك الأم لترعى باقى أولاده وتربيهم .

وحكمت عليه محكمة الجنايات بالسجن ١٠ سنوات ، قبلها راضيا سعيدا ...

وهذا هو السبب الذى جعلنى أختـار محمد ليكون المخبأ الذى أخفى فيه أوراقى ، ولا يخطر ببـال أحد أن يبحث فى زنزانته عن أوراق لانه لا يقرأ ولا يكتب .

وقد خرج من السجن فى العفو لمناسبة انقضاء نصف العقوبة ، وبقدر أسفى على فراقه كان فرحى بالافراج عنه . لقد كان يعيش يحسب كل سـاعة باقية للافراج عنه ، وعندما تأخر قرار الافراج كاد يفقـد عقله . كان لا يأكل ولا يشرب ولا ينـام . تحول الى شبح يائس .

ومن الطريف أن كل مسـجون نوبتجى يعمل معى يفرج عنه ! حدث هذا لأربعة نوبتجية فى سجن الاستئناف ، ولاثنين فى سجن

القناطر ، وسابعهم في سجن ليمان طره ٠٠ ولو استمرت هذه القاعدة مطردة فسوف أطلب من كل مسجون نوبتجي يعمل معي عدة علب سجائر في مقابل عمله عندي !

انني أمضى أغلب وقتي فيالزنزانة ٠ انني أستريح الىصمتها ٠ الجدران صامتة ٠ الاطباق والادوية فوق المائدة صامتة ٠ السرير صامت ٠ ان الصمت يطل من كل مكان حتى منالنافذة المفتوحة ٠ الصمت له رائحة غريبة ٠ انها تشبه أحيانا رائحة الموت ، وتشبه أحيانا رائحة الحياة ٠ ولكن مع ذلك أستريح في هذا الصمت ٠ انني في صمتي هذا أسمع صوت دوى الدنيا ٠ ان السكون الذى أعيش فيه لا يجعلني أنسى أن الدنيا تسير بسرعة هائلة ٠ سرعة تجعلني أدوخ في بعض الاحيان ، وأنا أحاول أنأتابع الاحداثوهي تمضى متلاحقة ٠ وفي هذا الصمت أسمع حياتي تتكلم ٠ انالاشياء الضخمة فيها لا تثيرني ، والاحداث الهائلة فيها لا تهزني ٠ ان تاج الصحافة الذى كان فوق جبيني كان ثقيلا على رأسي ٠ وضربات المطارق على جبهتي لم تجعلني أترنح ٠ انتصاراتي لم تبهرني ٠ وهزائمي لم ترعبني ٠ ان أشياء صغيرة كانتتسعدني وتشقيني ٠ كانت تفرحني ابتسامة أستطيع أن أرسمها على شفاة محرومة ٠ كانت تعذبني دمعة لا أستطيع أن أمسحها من عين مظلوم ، لم أنس أبدا يدا امتدت الى بالخير ٠ وأنسى كل يد امتدت نحوى بالاساءة ٠ انني دائما أجد أعذارا للناس ٠ واذا لم أجد لهم أعذارا اختلقت لهم الاعذار والمبررات ! ولا أشعر في وحدتي داخل الزنزانة أنني مسبوذ ٠ ان متاعبي وآلامي لا تدخل معي الى الزنزانة ٠ انها لم تسجني وانما أنا الذى أسجنها خارج زنزانتي ٠ أتجول بعيني أحيانا داخلالزنزانة فأجد أنكل ما فيها يتنهد ٠ الكرسي يتنهد ٠ الترموس يتنهد ٠ كوب الماء يتنهد ويخيل لى أن السرير الذى يحتويني يتنهد أيضا ٠ وأتطلع الىالسرير الحديدىالابيض ، وأحاول أن أترجم تنهداته ٠ أحاول أن أجعل سريرى يحدثني عن الذين ناموا فيه قبلي ٠ كم ظالما منهم وكم مظلوما ؟ كم بريئا وكم مجرما ؟ كم مريضا وكم متمارضا ؟ كم عاش منهم وكم مات ؟ كم ناموا ملء أجفانهم وكم بقيت عيونهم سهرانة لا تنام ؟ كم أغمضوا عيونهم ليحلموا وكم فتحوها وتخيلوا الاحلام ؟ كم عدد الذين ارتعشوا من البرد القارص وكم الذين عرقوا في الصيف اللعين ؟

من حسن الحظ أن السرير ليس له لسان ، فسوف تكون كارثة لو كانت كل السراير لها ألسنة تحكى وتتكلموتذيع الاسرار ٠ ان

سريرى هو أقرب صـديق لى فى السجن اننى أعيش معه أضعـاف ما أعيش مع أى صديق آخر ·

أننى أنام فيه ، واستعمله كمقعد ، واستعمله كسريو ، واستعمله كمائدة طعام ، واستعمله كمكتب ، فاننى أقرأ فيه الـكتب المهربة والرسائل المهربة والصحف والمجلات المهربة · وهذا السرير أشبه ببساط الريح · انه يحملنى الى أنحاء العـالم · وأشعر أحيانا أنه تعب معى · ان من عادتى أن أتعب الذين أحبهم وأستريح اليهم · أنا مثلا فى بيتى توجد عشرات المقاعد · ولكن مقعدا واحدا فى غرفة المكتب كنت أستريح فيه · كنت أشعر أنه أحن على من أى مقعـد آخر · كأن فى مسـنديه الخشبيين وفى وسـادته القطنية عواطف وحنانا وحب أكثر من أى مقعد آخر فى البيت كله ·

والناس أشبه بالمقاعد والأسرة · فنحن لا نجلس فى أجمل مقعد ولا فى أغلى مقعد ، ولكننا نحب المقعد الذى نستريح فيه ·

بعض الناس أشبه بالأم فى لعبة الاستغمـاية التى كنا نلعبهـا ونحن أطفال · عندما كنا نعدو الى مكان الأم يتوقف الاطفال الذين يحاولون امسـاكنا عن اللحـاق بنـا · ان هذا هو مكان الامان · عندما نصل اليه يذهب الخوف ·

وأنا أشعر أن أصدقائى وتلاميذى هم الأم التى أجد فيها الامان ·· هم المقعد الذى يريحنى ، وانجعص فيه ، وأمد ساقى وأسترخى ·

ولكن هذا المقعد أصبح بعيدا عنى · لا أسـتطيع أن ألمسه · الا أننى مع ذلك أحس براحة لان هـذا المقعد موجود · لم يؤمم · لم يوضع تحت الحراسة · لم يدخل السجن · أشعر أن روحى تجلس فيه ، تنجعص ، تستريح ، تشعر أنها فى أمان ·

وأحيـانا أحس أننى لا أزال ألعب الاستغماية ، لا أزال أجرى والظلم يجرى خلفى ، ومع ذلك أشعر باطمئنان الى أن الام موجودة· الغريب أننى كثيرا ما أشعر أن هذه الأم ليست أصدقائى وحدهم ولا تلاميذى وحدهم ··· بل الشعب كله ·

وأحس أن هذا المقعد المريح الكبير سـوف يحتوينى فى يوم من الايام وسوف يحمينى ·

وفى أحيان أخرى أحس أننا نلعب لعبة عسكر وحرامية ·

وأن التغيير الوحيد هو أن الحرامية هم الذين يجرون وراء العسكر ، وأن اللصوص هم الذين يطـاردون الاشراف · وأنه سـيجىء يوم يعتبرون كل رجل شريف خارجا على النظام ، كما اعتبروا قبل ذلك كل رجل يؤدى الصلوات الخمس بانتظام متآمرا لقلب نظام الحكم !

الهضيبى مع الكلاب
فى زنزانة واحدة

ليمان طره أول سبتمبر ١٩٦٧

عزيزتى ...

فى حوالى الساعة الثامنة صباحا يفتح السجان باب زنزانتى . انها مغلقة الباب منذ الساعة الرابعة مساء أمس . أخرج أتمشى بعض الوقت الى أن يتم اعداد افطارى . وهومكون عادة من البيض والجبن والعيش الناشف . وقد عودت نفسى على عيش السجن . كان من أكبر الازمات التى صادفتنى منع الثلج عنى . مع الوقت عودت نفسى على الماء الفاتر . كنت أتصور أن الحياة مستحيلة من غير ماء مثلج ، ثم اكتشفت أنه بعد أن تحرم من الحرية تستطيع أن تحرم من أى طعام أو شراب دون أن تشعر بضيق . بعد الافطار أعود الى التمشى مع المسجونين العاديين .

كان قد صدر أمر ألا أختلط ولا أتحدث مع أى مسجون . وألا أغادر الطابق الرابع . وبقيت أسبوعين فى داخل زنزانتى لا أخرج منها . ومع ذلك لم أشك ولم أحتج ولم أتذمر ثم صدر أمر وزير الداخلية بأن أمشى مع المسجونين العاديين ولا أمشى مع المسجونين السياسيين .

وصدر أمر آخر بناء على الحاح الاطباء بأن أذهب يوميا لعمل تحليل البول ، وعمل أشعة على العمود الفقرى مرتين فى الاسبوع . وكانت هذه الرحلة اليومية تريحنى كثيرا ، ثم صدر الامر بألا أذهب الى المستشفى سوى ثلاث مرات فى الاسبوع . ثم صدر الامر بأن أذهب مرتين فقط . ثم أصدر وزير الداخلية أمرا بألا أذهب الى المستشفى على الاطلاق . ثم احتج الاطباء وقالوا أنه

كان يجب على وزير الداخلية أن يصدر قرارا وزاريا بشفائى من أمراضى قبل أن يصدر قرارا بمنعى من الذهاب الى مستشفى السجن ٠ وتردد أن الصحف الاجنبية ستكتب عن هذا القرار العجيب ، وعندئذ صدر أمر وزير الداخلية بأن أذهب الى مستشفى السجن كل يوم ٠

وأخرج من المستشفى وأعود الى العنبر ، ولا أتضايق من صعودى درجات سلم الطوابق الاربعة ، رغم مرضى بالنقرس والروماتيزم ، فانني أذكر فى كل مرة ، كيف كنا نصعد معا سلالم أخبار اليوم الى الطابق التاسع ٠ ثم يغلق باب زنزانتى عند الظهر لمدة ساعتين ويسمون هذه الفترة التمام ٠ وفى هذه الفترة أقرأ ماعندى من كتب مهربة أو صحف مهربة ، ثم يفتح باب الزنزانة فأعود الى التمشى أمامها الى أن يجيء موعد فسحة العصر فأنزل الى فناء العنبر لاتمشى نصف ساعة ، الى أن تحين الساعة الرابعة بعد الظهر فأعود الى الزنزانة ، وتقفل أبوابها ، وعندئذ أتناول غدائى الذى هو عشائى فى نفس الوقت ٠ وكم تمنيت فى الماضى أن ألغى طعام العشاء حتى يخف وزنى ، وكنت قبل دخولى السجن أفشل فى هذه المحاولة ، ونجحت فى الغاء العشاء وأنا فى السجن تطبيقا لمبدأ ضرورة الاستفادة من الكوارث ٠

وعندما أنتهى من غدائى أرقد فى فراشى وأستمع لاذاعة السجن

فأسمع بعض الموسيقى والتعليق على مباريات الكرة ، ونشرة الاخبار والتعليق السياسى ٠ وأنا أهتم بالتعليق السياسى لانني أعلم أن الرئيس عبد الناصر هو الذى يكتبه بنفسه ، اذ يضع خطوطه العريضة ٠ وطبعا أشعر بضيق بسبب قرار وزير الداخلية بمنع الصحف والمجلات العربية والاجنبية عنى ، ولهذا ألجأ الى عملية التهريب المضنيه ، وعملية اخفاء هذه الممنوعات الخطيرة حتى لا يضبطوها أثناء التفتيش اليومى ٠٠ ومع ذلك لا يمر الوقت بسرعة ٠ وكنت أمضى بعض الوقت فى اعادة قراءة خطاباتكم ٠ ولكن صدرت تعليمات ألا أحتفظ الا بخطاب واحد فى زنزانتى وسوف أسلم أسرتى الخطابات التى عندى ، لانني أعتبرها خطابات تاريخية ، وسوف أعود اليها فى يوم من الايام ٠ وأنني أطلب منكم أن ترتبوها وتنظموها بحيث يطلع عليها المؤرخون ، فانها تشرح فترة خطيرة فى تاريخ مصر ٠ أعتقد أن مئات الكتب سوف تؤلف عنها ٠ ولا أعتقد أن كثيرين يجرؤون على أن يكتبوا مذكرات

صريحة عنها · وعندما أضطر الى تمزيق خطاب من خطابات تلاميذى وأصدقائى أشعر كأننى أمزق قطعة من قلبى · ولقد فكرت أن أكتب قصة جارى المسجون فى زنزانة بجوارى الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين · وهى قصة شائقة لا أظن أن أحدا يعرفها ·

قال لى :

عندما كنت طالبا فى مدرسة الحقوق كنت أعيش وحدى فى مدينة القاهرة · كان ذلك فى أوائل القرن الحالى · وكنت أبحث عن بيت أسكنه ، ولكننى كنت أضطر أن أعزل من كل شقة أسكنها ، لان ساكنات البيت كن يطاردننى ! وكنت شابا مؤمنا عفيفا أخشى الله · ومضيت الى حى السيدة زينب أبحث عن شقة خالية فى بيت ليس فيه نساء · وكنت أمر على حارة إسمها حارة الشيخ سليم ، ولا أدخلها ، لاننى لم أتصور أن فيها شققا خالية · وفجأة رأيت رجلا على ناصية حارة الشيخ سليم فسألت : هل توجد هنا شقق خالية ؟

فقال الرجل : نعم يوجد هنا شيخ طيب مؤمن مدرس عنده شقة فاضية ·

وذهبت الى هناك ، وطرقت الباب ، ففتحت لى فتاة الباب ، فاستغفرت الله وقررت أن أعود أدراجى · وأحرجت من نظرتها البريئة فقلت : هل عندكم شقة خالية ؟ قالت : نعم ·

فقلت : ومن هو صاحب البيت · قالت : أنا ···

وأردت أن أتراجع ، ولكن رفعت عينى واكتشفت أن البنت صغيرة ولا خوف من الفتنة منها ·

ثم أقبل والدها الشيخ ، واستأجرت منه سلاملك البيت ·

واذا بى أكتشف أننى أحببت هذه الفتاة الصغيرة من أول نظرة

ولكن لم أقابلها ، ولم أكلمها ، ومكثت ست سنوات أسكن في هذا البيت ، وأنا سعيد بأنني بقرب هذه الفتاة التي لم أكن ألمحها الا طيفا ٠

وكان يعجبني فيهذهالفتاة أنها تصلى ، وأمها تصلى ، ووالدها يصلى ، وكنت أنا ضد سفور المرأة ٠

ثم حدث أن أصدر قاسم أمين كتابه الذى يدعو فيه الى السفور ٠ ولم أقرأ هذا الكتاب ٠

وانما قرأت الاتهامات التيانصبت على قاسم أمين في الصحف وتحمست ضد الكتاب وضد السفور ٠

وأقيمت مناظرة في مدرسة الحقوق عن السفور ، ووقفت أنا في المناظرة أعارض السفور بعنف ٠

وبعد ذلك سألني أحد زملائي الطلبة : هل قرأت كتاب قاسم أمين ٠٠٠ ؟

فقلت : لا ٠٠٠

فنصحني أن أقرأ الكتاب ، وقرأته وذهلت ، ووجدت أنه ليس في كتاب قاسم أمين أى خروج عن الشرع ولا عن الدين ٠

ثم سافرت الى بلدى ، واذا بأخي يقول لى أن فلانة بنت صاحب البيت الذى تقيم فيه فيالقاهرة قد تقدم لخطبتها الدكتور محجوب ثابت ٠

فانزعجت ، وأسرعت أتقدم الىخطبتها ، وقبل والدها ، وتمت الخطبة ، وكان أول ما فكرت فيه أن أرسل لها كتاب قاسم أمين لتقرأ فيه ٠

ثم أصدر قاسم أمين كتابه الثاني «المرأة الجديدة» فأهديته لها ، وأهديت لها كتاب التربية الاستقلالية الذى ترجمه عبد العزيز محمد ٠

واستمرت خطبتنا ست سنوات ، لا أراها ولا ترانى ، ثم حصلت على الليسانس وتزوجتها ·

وفى يوم الزفاف لاحظت أنها وضعت على وجهها قليلا من البودرة ·

فقلت لها : ليس هذا هو الوجه الذى أحببته ·

فذعرت ··· فقلت لها : اننى أحببت وجهك كما خلقه الله ·

فأسرعت وغسلت وجهها ، ولم تضع بودرة أو مساحيق على وجهها منذ ذلك اليوم ·

وقبل أن أدخل بها دعوتها أن نصلى معا شكرا على هذا الزواج ·

وعادة يبدأ العرسان ليلة زفافهما بالقبلات ، ولكنهما بدآها بالصلاة ·

وقال لى الاستاذ الهضيبى أنه وهو طالب دخل الجمعية السرية التى تألفت سنة ١٩١٠ للاغتيالات ، وأقسم اليمين الخاصة بعضويته للجمعية ، ثم قتل ابراهيم الوردانى رئيس الوزراء بطرس غالى باشا ، وقبض على عدد من أعضاء الجمعية وتفرق أعضاؤها · وترك حسن الهضيبى الاعمال السياسية ، وتفرغ للمحاماة ، واختار أن يكون محاميا فى مدينة سوهاج ·

وعاد الهضيبى يقول لى :

ـ كان من رأيى أن تكشف زوجتى عن وجهها ، ولكن زوجتى قالت لى أنها مؤمنة بالسفور ولكنها لا تستطيع أن تسفر وحدها عن وجهها ···

وقامت ثورة ١٩١٩ واذا بالصحف تنشر أن سعد زغلول كان فى أحد الاجتماعات الشعبية ورأى ابنة الشيخ على يوسف وعلى وجهها الحجاب ، فمد سعد يده ونزع الحجاب ···

واعتبر المصريون أن هذا أمر من زعيم الثورة بنزع حجاب المرأة ، وعندئذ نزعت زوجتى حجابها ···

وروى لى الهضيبى التعذيب الذى تعرض له فى السجن الحربى عام ١٩٦٥ :

ـ وضعونى فى زنزانة فى السجن الحربى . وكانوا يعلمون أننى رجل يصلى ويخشى النجاسة ، فوضعوا معى فى الزنزانة ١٥ كلبا . وأمضيت فى هذه المزنزانة ستة أيام ، وكانت الكلاب تقفز فوقى ، وتشد ملابسى ، وتتبول على رأسى ، وترمى قاذوراتها على بذلتى . وكانت الكلاب تتشاجر فيما بينها . كان عدد الكلاب الاناث أقل من عدد الكلاب الذكور ، فكانت الكلاب الذكور تتشاجر على الانثى وتتضارب ، ثم يخطف أقوى الكلاب الكلبة التى اختارها، يحدث كل ذلك وأنا أصلى !

وفى أول الامر كنت أشعر بالذعر من هذه الكلاب ، ثم أسلمت أمرى الى الله وتركتها تفعل بى ما تشاء ، وأنا منزو فى ركن الزنزانة وكانت الكلاب تشاركنى فى الطعام الذى يقدمونه لى ، وأنتظر حتى تشبع ، ثم أتقدم لآكل بقايا الكلاب !

وبعد ستة أيام جاء جندى وصحبنى الى وكيل النيابة المحقق .

وأشار وكيل النيابة الى كرسى أمامه وقال :

ـ تفضل اجلس .

فاعتذرت وقلت له : أخشى أن يتسخ الكرسى .

فدهش وكيل النيابة وقال : لماذا ؟

قلت له : لان الكلاب تركت كل قاذوراتها على ملابسى .

وأمر وكيل النيابة بارسالى الى الحمام ، وذهبت الى الحمام لأستحم ، وارتديت ملابس أخرى ثم بدأ التحقيق ...

ورفض وكيل النيابة أن يسجل فى التحقيق ما قاله حسن الهضيبى عن التعذيب الذى تعرض له وعن الخمسة عشر كلبا التى تعيش معه فى زنزانة واحدة .

واستطرد الهضيبى يقول :

ـ بعد التحقيق أعادونى الى زنزانتى فوجدت فيها ثمانية كلاب فقط ونصورت أن وكيل النيابة طلب تحسين معاملتى فأنقصوا عدد الكلاب من خمسة عشر كلبا الى ثمانية فقط ، ثم سألت أحد الحراس عن الكلاب السبعة الاخرى التى شاركتنى الزنزانة فقال لى أنهم قبضوا على مسجون سياسى آخر واحتاجوا الى الكلاب السبعة لتشاركه زنزانته !

وذات يوم أقبل على أحد الحراس وقال لى :

ـ يا ابن الشرموطة !

وانتفضت فى زنزانتى وكأن عقربا لذعتنى ، وقلت للحارس :

ـ حرام عليك ‥ ان أمى رحمها الله كانت سيدة طيبة ...

واقتحم حارس آخر الباب ، وفى يده كرباج يلوح به وقال :

ـ قل أن أمك شرموطة ‥ والا فسأضربك بالكرباج الى أن تموت .

وفجأة خيل الى أننى أرى طيف أمى يخرج لى من جدار الزنزانة وسمعت صوتها يقول لى :

ـ قل لهم يا حسن أننى شرموطة ‥ ولا تدعه يقتلك .

قلت والدموع فى عينى وأنا أنظر الى الكرباج :

ـ نعم ‥ نعم كانت أمى شرموطة .

وقهقه الجندى وأغلق باب الزنزانة .

وبقيت أنظر الى الكلاب الثمانية وأنظر الى نفسي وأتساءل : هل كان هذا هو صوت أمى فعلا ، أم أن هذا هو صوت الفزع والرعب ؟ هل كان أشرف لى أن أموت بالكرباج على أن أنطق بهذه الكلمة بفمى .

وأحسست بعد ذلك أن عدد الكلاب فى الزنزانة لم يعد ثمانية فقط ، انما أصبحت تسعة وأنا هو الكلب التاسع .

وحاولت أن أبكى فلم أجد دموعا فى عينى . حاولت أن أصرخ فلم يخرج صوتى . ولم أجد ما أفعله سوى أن أقوم وأصلى ‥

وطلبت من الله أن يغفر لى الـكلمة النابية التى نطقت بهـا . ويظهر أنه كان يبدو على التعاســـة والعذاب والهم والالم ، لان الكلاب وقفت تنظر الى فى دهشة . لأول مرة صمتت الكلاب عن نباحها وعوائها وشجارها ، ووقفت تنظر الى فى اشفاق ...

وانتهى الهضيبى من رواية ما حدث له والدموع تملأ عينيه .

ولم أجـد ما أقوله له سوى أنه عندما تغيب العـدالة والحرية والديموقراطية عن بلد يصبح كل أهلها كالكلاب .

حتى ولو كان أحد هؤلاء رئيس جماعة كبيرة كالاخوان المسلمين وكان قبل ذلك مستشارا بمحكمة النقض والابرام .

قال باسما لأول مرة :

ـ يعامل عندئذ كأنه أكبر الكلاب .

السر الذى أخفاه المرشد العام

ليمان طره فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٦٧

عزيزتى ...

أمضيت وقتا طويلا مع الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين وجارى فى الزنزانة . وتحدث عن رأيه فى الاغتيال السياسى ، فقال أنه من حق الشعب عندما يحتله جيش أجنبى أن يقاومه بالرصاص . ولكنه لا يوافق على أن يقتل الناس خصومهم فى الرأى .

وروى لى أنه دخل الازهر ومكث فيه سنة واحدة ولم يستفد شيئا . ثم دخل مدرسة باب الشعرية الابتدائية ، ثم مدرسة الخديوية الثانوية ، وكان فى أول الامر تلميذا منطويا على نفسه ، يتفرج على الاحداث ، ولا يشترك فيها .

وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا التحق بمدرسة الحقوق الخديوية ، وقد سميت كذلك نسبة الى الخديو عباس . وذات يوم أتصل به زميله الطالب أمين صدقى وحدثه عن دخوله جمعية سرية تعمل ضد الانجليز . ورحب بأن يدخل الجمعية ، وأقسم على القرآن والمسدس ألا يفشى أسرارها لاى مخلوق . وكانت هذه الجمعية تنقسم الى عدة خلايا . وكانت الخلايا لا تعرف بعضها . وكانت الخلية السرية مؤلفة من خمسة أشخاص : رئيس وأربعة أعضاء . وكان زملاء الهضيبى فى الخلية الطالب حسن مختار رسمى الذى أصبح فيما بعد وكيلا لوزارة المالية ورئيسا لمجلس ادارة شركة غزل المحلة ، والطالب مغازى البرقوقى الذى أصبح

بعد ذلك قاضيا ونائبا وفديا ووكيلا لمجلس النواب ، وأمين صدقى الذى أصبح بعد ذلك محاميا وحصل على دكتوراه فى الحقوق ، والطالب عبدالخالق عطية الذى أصبح وكيلا لمجلس النواب · وكان الزعيم محمد فريد هو رئيس الجمعية السرية ·

وكان كل عضو من أعضاء الجمعية السرية مكلفا بأن يجند عضوا آخر · وكان لحسن الهضيبى زميل فى الفصل يأتمنه ويثق به ، فعرض عليه أن ينضم للجمعية السرية ، فوافق بعد أن سأل عن غرضها ، فقال له الهضيبى أن غرضها قتل الانجليز وعملاء الانجليز · ورحب الصديق بالفكرة · ولكنه فى اليوم التالى عاد يقول أنه رأى نفسه فى المنام فى الليلة السابقة يخنق أخته ففزع ، ولهذا فهو عدل عن الانضمام الى الجمعية السرية ، وأسقط فى يد الهضيبى ، وأسرع الى رئيس خليته يبلغه ما حدث ، وأسرع رئيس الخلية الى قيادة الجمعية يبلغها بما جرى · وعقدت القيادة محكمة لمحاكمة حسن الهضيبى · أخذوه الى شقة فى بيت مهجور ، فى حى سحيق ، وأدخلوه غرفة مظلمة · وجلس ثلاثة شبان الى مائدة فوقها قرآن ومسدس ، وكان الشبان الثلاثة يخفون وجوههم بأقنعة سوداء · وبدأ القضاة السريون يحاكمون حسن الهضيبى · يوجهون له أسئلة ويجيب عليها · ثم أصدروا حكمهم بأنهم تبينوا من التحقيق الذى أجروه أن حسن الهضيبى لم يفش لصاحبه سر الجمعية وأنهم لو كانوا شعروا من المحاكمة بأنه أفشى أسرارها لقتلوه على الفور رميا بالرصاص · وأنهم لهذا يصدرون عليه حكم البراءة ·

وتنفس الهضيبى الصعداء ، وكان من حسن حظه أن زميله كان كتوما · فلم يفش سر صاحبه لاحد ، ولكن الهضيبى تعلم من هذا درسا لم ينسه طوال حياته ، أن يكون حذرا ، وأن يكون كتوما ···

وذات يوم أصدرت قيادة الجمعية أمرا الى الخلية السرية بأن تستعد للقيام بعملية هامة ، وهى الهجوم على قسم شرطة السيدة

زينب ، والاستيلاء على كل ما فيه من أسلحة ، وتسليمها الى قيادة الجمعية ٠

وعقدت الخلية السرية اجتماعا وضعت فيه خطة الهجوم على قسم الشرطة ، ووزعت على أفرادها الادوار التى سيقوم بها كل واحد منهم ٠ وذهب أعضاء الخلية وعاينوا مكان القسم ، واختاروا الوقت الملائم للهجوم ، وهى الساعة التى عرفوا فيها أن عدد الجنود فى القسم يقل الى حده الادنى ٠ وتحددت ساعة الصفر للانقضاض ٠٠٠

وقالت لهم قيادة الجمعية أنها عملية انتحارية قد يموتون فيها جميعا ٠

وعاد الهضيبى ليلتها الى بيته فى حارة سليم بالسيدة زينب ، وأحرق كل أوراقه ، وبدأ يصلى استعدادا لكى يموت شهيدا ، وألقى نظرة على ابنة صاحب البيت التى كان يحبها ، وكان يريد أن يتزوجها ، وكانت نظرة طويلة ، لانها كانت فى شعوره النظرة الاخيرة ، ثم أغلق نافذة السلاملك الذى كان يقيم فيه ، وعاد يصلى لله وللوطن من جديد ٠٠

وعند منتصف الليل دق الباب ٠ وتصور الهضيبى أن المؤامرة انكشفت ، وأن البوليس جاء ليقبض عليه ، وتقدم الى الباب يفتحه ، واذا بأحد زملائه أعضاء الخلية السرية يبلغه أن قيادة الجمعية قررت تأجيل العملية الانتحارية ، وسأل عن السبب فقيل له انه ليس من حقه أن يسأل عن السبب ٠ وسأل عن موعد التنفيذ القادم ، فقال صاحبه أن الاوامر ستصدر فى الوقت المناسب ٠

وبعد ذلك أطلق ابراهيم الوردانى الرصاص على بطرس باشا غالى رئيس الوزراء لانه اتفق مع الانجليز على الحكم الثنائى فى السودان وأراد تجديد اتفاقية قناة السويس ٠

وسقط رئيس الوزراء قتيلا ٠ وقبض على عدد من أعضاء الجمعية ٠٠ وعرف الهضيبى عندئذ أن جمعيته هى التى اغتالت بطرس غالى ٠ فهل كانت الفكرة فى أول الامر هى مهاجمة قسم السيدة زينب

والاستيلاء على أسلحته ليستعملها أعضاء الجمعية في هجوم جماعي على مجلس الوزراء يقتلون فيه رئيس الوزراء . ثم رأى ابراهيم الورداني أن يقوم بهذه العملية وحده بغير شركاء . وأن يقتل رئيس الوزراء عند خروجه من رياسة مجلس الوزراء وحده بدل عشرة أشخاص كان المفروض أن يقوموا معا بهذه العملية . ان حسن الهضيبي لم يعرف هذا السر أبدا . كل ما يعرفه أن أحد أعضاء جمعيته قتل رئيس الوزراء ، وأن العملية الانتحارية التي كان مكلفا بها لم تتم .

ولم يقبض البوليس على حسن الهضيبي بين عشرات من أعضاء الجمعية الذين قبض عليهم للاشتباه . ولم يتطرق الشك الى أحد أن هذا التلميذ المنزوي الطيب المطيع هو عضو في الجمعية السرية التي أمر الانجليز بالقبض على جميع أعضائها .

وانفرط عقد الجمعية . ولم يعرف الهضيبي كيف انفرطت ، ولماذا انفرطت ولكنه عرف أن خليته لم تعد تتلقى أوامر أو تعليمات

ثم حدث أن حكمت المحكمة بالسجن لمدة ستة أشهر على الزعيم محمد فريد لانه كتب مقالا هاجم فيه الخديو والانجليز . وهرب محمد فريد الى أوربا . واختلف رأى الشبان في فرار الزعيم الوطني . كان من رأى فريق أنه بعد أن قيدت الصحافة عقب مصرع بطرس غالي ، وبعد أن بدأت مطاردة الوطنيين ، أصبح مجال العمل ضيقا أمام محمد فريد . فهو سوف يكون في أوربا مطلق اليدين يهاجم الاحتلال البريطاني والخديو كما يشاء . ويقلب العالم ضد الاحتلال والفساد في مصر . وفريق آخر كان يرى أن واجب محمد فريد كان يقضي عليه أن يدخل السجن ، ولا يتخلى عن مكانه داخل المعركة ، وأن يبقى ليقاوم ويؤلب الشعب على الاحتلال . وكان الهضيبي يؤيد هذا الرأى الاخير ... فقد شعر أن الجيش أصبح بلا قائد ، وأن العلم الذي كان يجمعهم اختفى فجأة ، وزاد في ايمانه أنه رأى أفراد خليته السرية حيارى ،

تائهين . ثم لم يلبث أن رآهم تفرقوا . لايجتمعون ، ولايتناقشون، كأن محمد فريد عندما خرج من مصر أخذ مع حقائبه روح مصر !

وفي سنة ١٩١٤ أعلن الانجليز الحماية على مصر . وخلعوا الخديو عباس حلمي وأعلنوا الامير حسين كامل سلطانا على مصر .

وشعر الهضيبي كأن خنجرا أغمد في ظهره . ثم ما لبث أن أحس بخنجر أكبر يغمد في قلبه . أعلن الانجليز الحماية على مصر، ولم يتحرك أحد من المصريين . لم تقم مظاهرة واحدة . لم يلق حجر واحد على الجنود الانجليز الذين ساروا في موكب من قشلاق قصر النيل الى قصر عابدين يزفون السلطان الجديد الى عرش مصر، على أسنة حراب الاحتلال ..

وأسرع الهضيبي الى زملائه أعضاء الخلية السرية ، واذا بالفجيعة تمزق قلوبهم . العمل الوحيد الذى قام به بعض المتحمسين منهم أن وضعوا في عنقهم أربطة سوداء ! .. كانت الكرافتة السوداء هي العلم الوحيد الذى رفعوه . شعر الشباب المصرى في تلك الايام المريرة بالشقاء والذل والخزى والعار . أحسوا أن شرف كل واحد منهم لطخ بالوحل والطين . أحذية الجيش البريطاني داست على رؤوسهم جميعا . أحسوا أكثر بالحاجة الى القائد . راحوا يقولون : لو كان محمد فريد موجودا في مصر لعرف كيف ينظم المقاومة ، وكيف يرد على صفعة الاحتلال . وأوقف أمين الرافعي اصدار جريدته . فضل أن يحطم قلمه على أن ينشر في جريدته نبأ أن مصر أصبحت تحت الحماية البريطانية ... أما جريدة المقطم التى كان يصدرها الدكاترة فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس ، فقد أصدرت ملحقا بعناوين ضخمة في الصفحة الاولى « بشرى للأمة المصرية . اعلان الحماية البريطانية على مصر » !

وكان هذا العنوان المخزى أشبه بكفن وضعت فيه جريدة المقطم جثة الشباب الوطني في مصر . ولكن شباب مصر دفن ولم يمت . الصدمة المفاجئة جعلته يتسمر في مكانه بلا حراك . واختفاء محمد فريد من مصر كان أشبه باختفاء المنارة التى كانت تضيء للسفن الهائمة في أثناء العاصفة .

وأعلن السلطان الجديد تغيير اسم مدرسة الحقوق الخديوية الى اسم مدرسة الحقوق السلطانية .

وأذاع قصر عابدين أن عظمة السلطان قرر أن يشرف مدرسة الحقوق السلطانية بزيارته .

وكان بناء مدرسة الحقوق مجاورا لقصر عابدين . وتحدد يوم الزيارة .. وفرشت ممرات المدرسة بالرمل الاحمر . ورفعت الاعلام استعدادا لمقدم السلطان .

وفى يوم الزيارة تلقى طلبة مدرسة الحقوق بطاقة مطبوعة بأن فلانا الطالب بالمدرسة توفى الى رحمة الله وستشيع جنازته من منزله رقم ١١ شارع المناخ فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، وعلى جميع طلبة مدرسة الحقوق الاشتراك فى تشييع الجنازة .

وكانت الساعة الحادية عشرة هى الموعد المحدد لزيارة السلطان.

وكان العنوان المكتوب فى البطاقة هو عنوان محّل جروبى فى شارع عدلى الآن .

وترك الطلبة المدرسة ، وذهبوا لتشييع الجنازة الوهمية . وفى جروبى تناولوا الجاتوه والحلوى على روح الفقيد المزعوم !

ودخل السلطان حسين الى المدرسة فلم يجد فيها طالبا واحدا .

وجن جنون السلطان . هاج وماج وثار . وعرف أن طلبة أكبر مدرسة عالية فى مصر فى ذلك الحين أرادوا أن يلطموا السلطان لطمة علنية عقابا له على توليه عرش مصر فى ظل الحماية البريطانية .

وقام السلطان ولم يقعد ، وقام الانجليز ولم يقعدوا ، وقامت الحكومة ولم تقعد . هذه ثورة ضد السلطان وضد الانجليز وضد الحكومة . وقبض على عدد كبير من طلبة مدرسة الحقوق ، وقبض على صاحب المطبعة الذى طبع بطاقة الدعوة لحضور الجنازة .

وعرض النائب العام على صاحب المطبعة كل طلبة مدرسة الحقوق ليتعرف على الطالب الذى طبع بطاقة الجنازة .

ولم يتعرف صاحب المطبعة على واحد منهم ، وقال أن الشخص الذى جاء لطبع البطاقة كان أكبر عمرا من هؤلاء الطلبة ·

وهنا عرضت النيابة أساتذة مدرسة الحقوق على صاحب المطبعة ، فقال أن المجرم الاثيم ليس واحدا منهم ·

والواقع أن المجرم الاثيم لم يكن طالبا ولا مدرسا فى مدرسة الحقوق وانما كان عربجيا ! ·· كان العربجى الذى يقود العربية الحانطور التى تملكها أسرة الطالب فؤاد حمدى · وتحمله كل يوم الى المدرسة ·

ولم يخطر ببال النائب العام أن يعرض على صاحب المطبعة جميع العربجية الذين يحملون طلبة الحقوق الى المدرسة ·

وأصدرت الحكومة قرارا بفصل عدد من طلبة الحقوق نهائيا ، وعدد آخر لمدة عامين ، وعدد ثالث لمدة سنة واحدة ·

وكان حسن الهضيبى أحد الذين فصلوا لمدة سنة واحدة ··

وحاول الطلبة أن يتظلموا فوجدوا أن كل الابواب مغلقة فى وجوههم · لا أحد يجرؤ على أن يتوسط لهم والسلطان ثائر ، والانجليز حانقون، والحكومة غاضبة·· ثم سمع الهضيبى من زملائه المفصولين أن سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية التى عطلها الانجليز يتعاطف معهم ، وذهب مع بعض زملائه وقابلوه ، فاذا به يهنئهم لانهم أعادوا الاعتبار للشعب المصرى عندما لطمه السلطان ! واذا به يقول أنه سيبذل كل ما يستطيع لرفع الظلم عنهم ، وأنه لا يملك أى سلطة ، ولكنه يعتبر نفسه ممثل الشعب الذى انتزعت سلطاته باعلان الحماية · ودهش الهضيبى لان رجلا فى الستين من عمره يتكلم بلغة الشباب ·· وبعد خروجه من بيت سعد زغلول قال لزميل له :

— هذا الرجل يستطيع أن يقود مصر بدلا من محمد فريد ·

قال له زميله :

ـ مستحيل ... مستحيل .

وبعد أربع سنوات قامت ثورة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول .

وصدقت نبوءة الهضيبى .

وكان طلبة الحقوق المفصولون هم أول الذين مشوا وراء سعد زغلول وأشعلوا الثورة .

* * *

وروى لى الهضيبى سرا خطيرا وهو أن عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز السرى للاخوان المسلمين زاره فى بيته بعد قيام الثورة بفترة غير قصيرة ، وأخبره أن الرئيس جمال عبد الناصر استدعاه الى بيته فى منشية البكرى ، وطلب منه أن يسافر الى ايطاليا ، ومعه عدد من زملائه ويقتلون الملك فاروق .

وأنه أعطاه الاسلحة اللازمة والمبلغ الكافى لمصاريف الاقامة والسفر .

فقال عبد الرحمن السندى : لا أستطيع أن أقوم بهذه المهمة قبل أن أستأذن المرشد العام .

فقال الرئيس عبد الناصر : يمكنك أن تستأذنه كما تشاء .

واستطرد الاستاذ الهضيبى وقال لى :

ـ قلت لعبد الرحمن السندى بالحرف الواحد : لا تقتله ! انك اذا قتلته فكأنك قتلت مسلما بلا جريمة . أفهم أن نقاتل أعداءنا ونحن فى معركة . أما أن نقتلهم بعد أن استسلموا فهذا ضد الشرع والدين . الملك فاروق استسلم للثورة ، وتنازل عن العرش . وترك البلاد ، ولم يعد خطرا على مصر فلماذا تقتلونه الآن .. أنا أرفض الموافقة على جريمة قتل .

وذهب السندى وأبلغ حديثى الى عبد الناصر ، وأعاد له الاسلحة والفلوس .

لماذا انتحر عبد الحكيم عامر؟

١٧ سبتمبر سنة ١٩٦٧

عزيزتي ...

كم كنت أتمنى لو كنت بجانبي في هذه الايام لنشهد الاحداث معا ، وأسمع تعليقاتك وملاحظاتك . القدر شاء أن يعيش الصحفي الأول في مصر بعيدا عن أحداث مصر المتلاحقة التي تبدو أشبه بشريط سينمائي وبسرعة فائقة تجعل المشاهدين يلهثون وكأنهم يعدون وراء الاحداث بسرعة الصاروخ . انني أتصور نفسي لو كنت خارج السجن في هذه الايام .. لو كنت جالسا في مكتبي في أخبار اليوم . كان من المؤكد أن أصاب بالذبحة الصدرية . كنت سأبقى في مكتبي وآكل في مكتبي وأعيش في مكتبي ، حتى أسقط مغشيا على . ويظهر أن الله شاء أن يحرم بلادي التعسة من فكري ورأيي وجهودي ، ولهذا وضعني في هذا المخبأ . ربما شاء القدر أن يضعني في ثلاجة حتى لا أصاب بالعفونة ..

انني في دهشة من انتحار المشير عبد الحكيم عامر . اذا كان لم ينتحر بسبب هزيمة ٥ يونيو ، فكيف ينتحر لان الرئيس أراد أن يجعله نائب رئيس الجمهورية ، ولايجعله قائدا عاما للقوات المسلحة ؟ وكم مرة اختلف المشير والرئيس فلم يفكر عبد الحكيم في الانتحار ؟ ان المنشور في الصحف عن الانتحار يثير الريب والشكوك . وقد سمعت أن الرقابة كانت تتدخل في كل سطر في حادث الانتحار ، وتشطب سطورا وتضيف سطورا . وسمعت أن بعض فقرات من تقرير النائب العام عن الحادث قد شطبت .

لقد لاحظت فى السنوات الاخيرة خلافات عديدة بين المشير والرئيس • ولاحظت أن عبدالحكيم كان يضيق باستئثار الرئيس بكل السلطات •• كان فى أول الامر متحمسا لجمع السلطات في يد عبد الناصر ، متصورا أنها عندما تكون فى يد عبد الناصر تكون فى يد عبد الحكيم • وعندما شعر عبد الحكيم أن عبد الناصر استعمله فقط ليسلب السلطات من باقي زملائه ويستأثر هو وحده بها ضاق بهذا الوضع • ولاحظت فىاجتماعاتى بعبدالناصر أنه يهاجم كل الذين حول عبد الحكيم فيما عدا شمس بدران • وكان يقول دائما أن عبد الحكيم تحت سيطرة الذين يقيمون له الليالى الحمراء ! وليس صحيحا أن عبد الناصر فوجىء بأن عبد الحكيم متزوج من برلنتى عبد الحميد ، فالمؤكد أنه كان يعرف بقصة هذا الحب من أوله ، ويعرف من عبد الحكيم نفسه أنه قرر أن يتزوج من برلنتى ولم يعترض عبد الناصر ، وقد كنت أشك فى وقت من الاوقات أن عبد الناصر سكت عن هذه العلاقة حتى يغرق عبد الحكيم ، وحتى تسوء سمعته ، وعندئذ يسهل التخلص منه •

ولقد لاحظت أن الدولة هى التى سربت الى صحف الخارج قصة زواج عبد الحكيم العرفى ، وقصة الطفل عمرو الذى رزق به عبد الحكيم من برلنتى ، واعترف به عبد الحكيم • والمقصود من هذا النشر هو القضاء علىسمعة عبد الحكيم ، بحيثينشغل الناس بغرامياته وينسون كيف مات ولماذا مات ؟ •• وأنا أتصور أنه بالقضاء على عبد الحكيم تم القضاء على كل أعوانه وأنصاره فى الجيش ، فالذين كانوا يحبونه أحبوه لعلاقات شخصية معه ، وليس لارتباطهم بمبادىء معينة ••• ولا أتصور أن الاظلام التام الذى أحيط به حادث المشير سوف يستمر الى الابد ، بل أن التاريخ كثيرا ما حدثنا عن أحداث مماثلة أحيطت بالكتمان وأسدلت عليها الاستار ، ثم جاءت الايام وأزاحت التراب عن الاسرار المدفونة تحت الارض •

ولا أتصور أنه سيخلف أحد عبدالحكيم في صداقة عبدالناصر ، بل لا أصدق أن أحدا من الذين حول عبد الناصر سيرث نفوذ

عبد الحكيم . ستبقى دائما مسافة كبيرة بين عبد الناصر وبين من حوله ، وسوف يعاملهم كأتباع لا أصدقاء . وستتضاعف وحدته ويزداد انعزاله عن النـاس ، وسوف يصبح من المستحيل تقديم النصح له . ولهـذا فانني أختلف مع الذين يقولون أن خـلاص عبد الناصر من عبد الحكيم سوف يخلصه من الطابع العسـكرى ، وسيجعله يتجه الى الديموقراطية والحريات . على العكس ، أن حكايته مع عبدالحكيم ستضاعف من شكوكه فيالناس . وسيزداد اعتماده على أجهزة المخـابرات والمبـاحث ، وسيزداد اعتمادا على الجيش كقوة تحافظ على الامن أكثر من اعتماده عليه كقوة تحارب خارج الحدود .

ومن الغريب أنه فييوم انتحار المشير صدرت أوامر غريبة من وزارة الداخلية الى السجن . هى انقـاص عدد السجـاير التى أتسلمها ! ويظهر أن الذى أصدر هذا الامر كان فاضيا جدا فى هذا اليوم فلم يجد شيئا يفعله سوى اصدار هذا الامر الغريب .

وهـكذا فى الوقت الذى يتوهم فيه السـذج أن الفرج قريب تصدر الاوامر بتضييق النطاق حولى . كأننى المسئول عن انتحار المشير . ولم أهتم بهذا القرار فقد كنت مشغولا بتحليل الاحداث السياسية الكبرى التى تجرى الآن على البلاد . ولقد عودت نفسى من زمن على أن تصدر كل يوم قرارات متنـاقضة بشأنى . فمرة يتقرر منع الطعام ، ومرة يتقرر منع السجائر ، ومرة يتقرر منع الصحف ، ومرة يتقرر منع الرسـائل ، ومرارا يتقرر أن تكون مقابلاتى مع أسرتى من خلال السلك الذى يشبه قفص القرود . وكل هذه القرارات لم تهز أعصـابى . ولم تشغلنى عن متابعة الاحداث التى تأخذ كل وقتى ..

اننى أذكر أن عبد الناصر كان يهاجم باستمرار أمامى الفريق سليمان عزت قائد البحرية والفريق صدقىمحمود قائد الطيران ، ويقول « انهما لا ينفعان » وأنه تعب فىاقناع عبدالحكيم باخراجهما من منصبيهما ، ولكن عبد الحكيم متمسك بهما . وكان عبدالناصر يضيق بالشلة التى حول عبد الحكيم . ويغار منأن الضباط يحبون المشـير أكثر منـه ، وكان ينسب هـذا الى أن « سيف المعز مع عبد الناصر ، ومال المعز مع عبد الحكيم » أى أن الضباط يرهبونه

هو لانه يقطع الرؤوس ، بينما يحبون عبدالحكيم لانه يغدق عليهم مال الدولة بغير حساب • وقد لاحظت أن الذين حول عبد الحكيم يحبونه • ولكن الذين حول عبد الناصر يخافونه • الذى بجوار عبد الناصر كان مستعدا أن يفعل نفس الشيء مع أى رجل آخر يعطيه نفس السلطة ونفس النفوذ ونفس السلطان • وسوف ينقلب على عبد الناصر إذا وجد من يعطيه سلطة أكبر ، وسوف ينقلب مع عبد الناصر اذا وجد أن السلطة أقل • والذين كانوا مع عبد الحكيم يحبونه لكرمه ولطيبة قلبه ولصراحته ، وهم مطمئنون الى أنه لن يقدر عليهم ، أو لن يتآمر ضدهم ، أو لن يغضب عليهم لسبب تافه • ولكن القول بأن سبب الخلاف هو الديموقراطية وحماس عبد الحكيم لها وتمسك عبد الناصر بالدكتاتورية ، هذا القول أشك فيه كثيرا • ان عبد الحكيم كان يطالب بالديموقراطية كلما اختلف مع عبد الناصر ، فاذا تعانقا وتصالحا • عاد وتحمس للدكتاتورية ، ونسى مطالبته بالديموقراطية • انه مثلا كتب خطابا لعبدالناصر يطالب بالديموقراطية ، ومع ذلك قبل أن يكون رئيسا للجنة الاقطاع بعد ذلك بأربع سنوات ، وأصدر كثيرا من القرارات الاستبدادية التى لا تستند الى دستور أو قانون ، وقد كان دائما يعتبر القانون شيئا ضد الثورة ، وأن الثائر الحقيقى هو الذى يدوس على كل قانون ، حتى لو كان هو الذى وضع هذا القانون •

ولا أتصور أن وفاة عبدالحكيم سوف تجعل عبدالناصر يحتضن الديموقراطية حتى يسلب من عبدالحكيم أنه هو نصير الديموقراطية الوحيد •••

عبدالناصر بطبيعته الآن لا يستطيع أن يحكم حكما ديموقراطيا • لقد كان فى أول الثورة متحمسا حماسا كبيرا للحكم الديموقراطى. وكان زملاؤه يقولون أن هذا « حماس تكتيكى » الغرض منه هو التخلص من الاحزاب الموجودة ومن الدستور القائم ••• وكان المفروض أن يكون مجلس الثورة هو الذى حل محل البرلمان ، ولكنه لم يطق مجلس الثورة وحله ••• ثم أدى الانفصال الى تأليف مجلس الرياسة ، ولم يطق عبد الناصر مناقشات مجلس الرياسة وحل المجلس بعد أن جعله كمية مهملة !

وفي أواخر هـذه السـنوات لم يكن يطيق مجلس الوزراء ولا مناقشات الوزراء ٠٠ وقد كان فىأول الامر صبورا علىالمناقشة ، ولكنه بعد مرضه أصبح يثور على الذى يعارضه ٠

وقد حدث مرة أن قلت له أن بعض الوزراء يشـكون من أنهم يعينون فى الوزارة ، ويبقون فيها سنوات ويخرجون منها ، دون أن يقابلوا عبد الناصر ! ٠٠ وقال عبد الناصر أنه لا وقت عنده لمقابلة الوزراء ٠ فقلت له أنه من الممكن أن يعقـد مجلس الوزراء مرة كل أسـبوع ٠ قال : هـذا كثير ٠٠٠ سوف أعقده مرة كل أسبوعين ٠

وفعلا بدأ يعقد مجلس الوزراء مرة كل أسبوعين ٠٠٠ وبعـد أسابيع قليلة توقفت الاجتماعات ، وقال لى عبد الناصر أنالوزراء يضيعون وقته بكلامهم الفارغ !

واليوم يعودون الى الكلام عن عقد مجلس الوزراء من جديد ، ويظهر أن هذا كان نتيجة السخط العام بأن ماحدث لمصر من هزيمة هو نتيجة الحـكم الفردى ، وأن الرئيس لا يستشير الوزراء ٠٠٠ وهذا اتجاه طيب وأرجو أن يستمر ٠٠٠

ولقد كان عبد الناصر يروى دائما حكاية مشهورة فى تاريخالرئيس ابراهام لنكولن رئيس جمهورية الولايات المتحدة ٠٠ وهى أنه عقد مجلس الوزراء برياسـته ، وعرض على المجلس اقتراحا ٠ وجرى التصويت على الاقتراح ٠

فاذا تسعة وزراء ضد الاقتراح ٠ والرئيس لنكولن وحـده مع الاقتراح وعندئذ قال الرئيس :

ـ اذن وافق مجلس الوزراء على الاقتراح !

وكان هذا هو السبب الوحيد لاعجـاب الرئيس عبد النـاصر بالرئيس لنكولن !

ان فى رأيى أنه اذا كان عبد الحـكيم عامر انتحر فسبب ذلك هو خيبة أمله فى عبد الناصر ، لانه أدخله الحرب وهو يؤكد له أن اسرائيل لن تحارب ، وانه أراد أن يجعله كبش الفداء ليحمله وحده مسئولية الهزيمة ٠

أما اذا كان عبد الحكيم لم ينتحر ، فسيكون سبب مصرعه هو خيبة أمل عبد النـاصر فيه . لقد تعود عبد النـاصر فى الخلافات الماضية أنه ما يكاد يجتمع بعبد الحـكيم بعد الخلاف حتى ينهـار عبد الحكيم متأثرا بحبه لعبدالناصر ويغرق فىالدموع ، ويتبادلان القبلات ، ولكن فى المرة الاخيرة وجد عبد الحكيم صلبا ، لا يقبل

أنصاف الحلول ، لم يغرق فى الدموع ... وعندئذ وجـد الذين حول عبد الناصر أن عبد الحكيم قد تغير ، وأصبح من الممـكن أن يكون خطرا ، وأن برلنتى عبد الحميد غيرته وجعلته واسع المطامع ولهذا رأوا ضرورة التخلص منه ..

وعلى كل فسيبقى مصرع عبد الحكيم لغزا الى سنوات طويلة .

شوربة من هيـــلتون !

٧ أكتوبر ١٩٦٧

عزيزتي ...

من الحوادث الطريفة التي وقعت لنا أن أحد زملائنا المسجونين السياسيين لم يعجبه الطعام الذي يطهيه لنا مطبخ الليمان ، وأفهمنا أنه « أسطى باشا » وأنه خبير في صنع أفخر المأكولات ، وأنه اذا أتيح له فرصة العمل في مطبخ الليمان فسيقدم لنا أشهى أنواع الطعام ...

وتحمسنا للفكرة ، واستطعنا أن نقنع الضابط المشرف على المطبخ بتشغيله في المطبخ ..

ووعدنا بأن يصنع لنا شوربة كالتي يقدمها فندق هيلتون للزبائن ! ..

وأحضر الزميل حلة كبيرة جدا وضع فيها فول مدمس ، ثم وضع فوقه شوربة عدس . ثم وجد بقدونس في حديقة الليمان فاقتلعه ووضعه كما هو في الحلة ، ووجد كرات مع أحد المسجونين فوضعه فيها ، ثم وضع فلفل وشطة . وصرف السجن جبنة بيضاء فوضعها فوقها ..

وحدث أن كان أحد المسجونين يمر أمام المطبخ . وتوقف وخلع حذاءه فاذا بالحذاء يقفز ويسقط في الحلة ..

وتقدم المسجون نحو زميلنا الطباخ الماهر وقال له :

ـ آسف ان حذائى وقع فى الحلة !

ومد الطباخ يده داخل الحلة ثم أخرج حذاء المسجون وسأل المسجون :

ـ هل هذا حذاؤك ؟

فقال المسجون : لا .. موش دى .

وظهر أن عددا من الاحذية سقط قبل ذلك في الحلة .

وقال المسجونون السياسيون أن السبب فى كثرة الاحذية هو كثرة المسجونين الذين ذاقوا هذه الشوربة العجيبة ، أو أنهم أرادوا أن يعبروا عن رأيهم فى الشوربة فألقوا عليها الاحذية .

وبينى وبينك كانت هذه الشوربة ألذ من الشوربة التى اعتاد الليمان أن يقدمها لنا !!

تدبير انقلاب عسكري في السجن؟

١٠ أكتوبر سنة ١٩٦٧

عزيزتي ...

استيقظت من النوم فوجدت في داخل زنزانتي اثنين من ضباط المباحث وثمانية من المخبرين يملأون زنزانتي الصغيرة . فتحوا الباب بهدوء أثناء نومي ، ودخلوا على أطراف أصابعهم . ودهشت وأبديت أسفي أن الزنزانة صغيرة ولا يستطيع العشرة أن يتحركوا فيها ، وخرج ضابط وستة مخبرين ، وبقي ضابط ومخبران ، وراحوا يفتشون كل مليمتر في الزنزانة . يقرأون كل خطاب . يبهدلون الملابس . يضعون أيديهم في جيوب بدلة السجن ، يتحسسون قماش البدلة خشية أن أكون أخفي في ثناياها ورقة ، يفتحون زجاجات الدواء ويفرغون الحبوب التي فيها . وبعد ذلك فتشوني شخصيا . فتشوا ملابسي الداخلية . ثم فتشوا مكانا في جسمي قالت الصحف أن المشير عبد الحكيم عامر كان يخفي فيه السموم . ثم فتشوا الشبشب الذي في قدمي . وبدأوا يدقون الجدار بأيديهم بحثا عن مخابيء سرية قد أكون صنعتها لأخفي فيها الممنوعات . ثم انبطحوا على بلاط الزنزانة يبحثون عن مخابيء تحت البلاط . ثم مدوا أيديهم بين قضبان نافذة الزنزانة يبحثون عن مخبأ في الجدار الخارجي . وبان عليهم الذهول لأنهم لم يجدوا شيئا ..

وأرسلوا يستنجدون بالضابط الآخر الواقف أمام الزنزانة ، فدخل وبدأ يفتش من جديد ، ويتفنن في البحث عن أمكنة لاجراء التفتيش وكان مهتما اهتماما خاصا بجردل البول ! وفي الوقت نفسه وقف عدد من المخبرين تحت نافذة زنزانتي في فناء السجن حتى لا أرمي من النافذة شيئا ...

واكتشفت أنهم يبحثون عنـدى عن جهـاز ارسال وديناميت ومنشورات · وضحكت كثيرا وأنا أرى خيبة الامل فوق وجوههم ·
وكان فريق آخر مؤلف من ضـابطين و٢٥ مخبرا يفتشون باقى زنازين المسجونين السياسيين · حتى لا أكون قد خبأت المفرقعات والقنابل عند أحد زملائى من المسجونين السياسيين ·

وأخبرنى الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين أنهم مكثوا ساعة يفتشون زنزانته ، ويقلبونها رأسا على عقب ، وأنه علم من أحد الضباط الذين فتشوه أن لدى المخابرات تحريات تقول انه وأنا نعد من داخل السجن انقلابا مسلحا ضد الحكومة، وأننا نخفى داخل السـجن الاسلحه التى سوف يسـتعملها المسجونون السياسيون عنـدما ينقضون على السجن ، ويقبضون على الحراس والضباط ، وينطلقون للاستيلاء على الحكم · وأن لدى جهاز ارسال أتصل به بقوات عسكرية فى الثكنات المحيطة بالليمان ، وأن الاتفاق تم بين الهضيبى وبينهم على اخفاء الذخائر داخل ليمان طرة لتكون بعيدة عن أى شك · وضحك الهضيبى وقال أنه يعتقد أن المسئول الذى أجرى هذه التحريات لابد أنه أكثر من تدخين الحشيش حتى وصل الى كل هذه النتائج والاقتراحات ·

ومن الغريب أننى فى الليلة السـابقة تلقيت هدية من أحـد أصـدقائى عبارة عن جهـاز راديو ، ورفضت أن أتسلمـه ، لان الراديوهات ممنوعة فى الليمان ، وأهديته الى مسجون غير سياسى

★★★

أفكر أحيانا فى شقتى فى الزمالك · أحن اليها وأنا أسترجع ذكرياتى فيها · الذكريات هى السيقان الخشبية التى نستعين بها على المشى عندما يحولنا الزمن الى مقعدين · ولكن هذه السيقان الخشبية تتحول أحيانا الى أطراف صناعية حقيقية كالتى استطاع الجراحون أخيرا تركيبهـا فى الجسـم ، فجعلوا المقعـدين يتحركون ويقفزون ويجرون · فى هذه الشقة نبضات قلبى · اننى أعشق الحجر · أتصـور أن هذه الاحجـار الجامدة الصماء ليست جامدة ولا صماء · فيها بقايا أنفاس · بقـايا زفرات · بقـايا أنين · بقـايا ضحكات ·

لقد عشت فى هـذه الشقة منذ عام ١٩٤٩ أى ١٨ سنة أدفع

ايجارها بانتظام وأرادوا أن يطردوني منها ويرغموني على التنازل عنها في أثناء المعركة ليقيم فيها ضابط برتبة فريق ! حتى لو أخذوا مني هذه الشقة فانني سوف أسكنها بذكرياتي ·· لا أحد يستطيع أن يستولى بقرار جمهورى على ذكريات انسان !

انني أحب الارض لانني أتخيل أنه مشت فوقها أقدام عشاق وحالمين · أعشق الزهر لأنني أتصور أن في رائحته أنفاس محبين · لا أنظر للأشياء بظواهرها ، وانما بما هو خلفها · أرضية الصورة هي التي تصنع جمالها · الظلال الباهتة فيها هي التي تبرز روعتها أحيانا أطل من نافذة عنبر السجن المطلة على شارع الكورنيش · فأرى غلائل السحب الرقيقة تحاول أن تخفى جمال السماء ، كما كان يحاول اليشمك الابيض في أيام جداتنا أن يخفى وجه حسناء فاتنة الجمال · أنا لا أتطلع الى اليشمك ، ولا أتسمر أمام الحجاب ، بل تقفز عيناى لارى الجمال المختفى خلفه · فقد أرى التراب فوق بعض البيوت الجرداء ، ولكن الغبار لا يستوقف نظرى · أرى تحت الغبار جمال الناس الطيبين الذين يعيشون في هذه الاطلال والاكواخ · قد ألقى نظرة على شجرة جافة ورقها شاحب أصفر ، فروعها ذابلة فلا يقذى عيني ان الخريف جردها من ورقها الاخضر الجميل ، ولكن بصرى يمتد الى الربيع فلا أرى الا الشجرة وهي مورقة مزهوة جميلة مخضرة ·

وعندما التقى بملكة جمال في شيخوختها ، كنت لا أرى التجاعيد في وجهها وانما أرى شبابها قبل أن يذهب ، ونضارتها قبل أن تذبل · السنون لا تقف بيني وبين الجمال · أنا لا أحب ما أراه ، وانما ما أبصر · ولست أعرف هل هذه هي خاصة بي وحدى ، ام أن كل الناس مثلى ؟ من حسن حظى أن بصيرتي أقوى من بصرى · وكلما ضعفت عيناى قويت بصيرتي · ولهذا فان الشوارع الكئيبة المعتمة المهجورة تذكرني بميادين الحياة المشرقة الباسمة ·· كأنني أسمع من بعيد أجراس الحياة تدق بعنف وأنا جالس في زنزانة الصمت · الوحدة القاتلة تنقلني الى الحياة خارج الجدران بضوضائها ورنينها ، بسرعتها وبطئها ، بصرخاتها وضجيجها ، بدويها المروع وصمتها المخيف · في هذا كله أسمع صدى أنغام حلوة وألحان عذبة كلمات رقيقة وهمسات ناعمة تسكبها ذكرياتي وأحلامي في أذني ·

وعندما أنظر حولى وأرى بلادى لا أرى حاضرها التعس وانما أشهد مستقبلها المشرق . لا تفجعنى خرائبها وانما تثيرنى أحلامى بما سوف يقوم فيها من عمارات ومشروعات ومصانع . فى رأيى أن مصر سيكون لها أكبر مستقبل فى هذه المنطقة كلها ، والذى تسمعونه الآن ليس أنين الحاضر ، بقدر ما هو مخاض المستقبل .

اننى أمضى وقتى فى سماع اذاعة السجن وتتبع أنباء المعركة . الذى تريد أن تقوله الاذاعة والصحافة للناس أنه لن تمضى أيام حتى نكون قد أعلنا الحرب من جديد ، وحولنا الهزيمة الى نصر .

وقد كنت أتمنى أن نكون تعلمنا من الهزيمة ألا نعود الى الكذب وخداع أنفسنا .

ويبدو أننا مصممون على أن نرتكب كل الاخطاء .. لاننا نعيد أنفسنا .. ونعيد كل شىء فينا .. حتى أخطاءنا .

المعركة سوف تطول .. سوف تستمر سنوات . ويجب أن يعد الشعب لذلك . ويجب أن يعلم أنه لن ينتصر الا اذا فكوا قيوده أولا .. الحرية هى الخطوة الأولى للنصر ..

ايمانى لا يتزعزع بأن مصر سوف تنتصر باذن الله . هذه المعركة هى معركتنا كلنا لانها معركة مصيرنا وحياتنا وأحلام **شعبنا . وفى هذه الظروف يجب أن ينسى كل فرد فينا آلامه** الشخصية ولا يذكر الا مصلحة وطنه . اننى كما قلت لك أفضل أن أعيش سجينا فى بلد منتصر ، على أن أعيش طليقا فى بلد مهزوم .

التعـــذيب مســـتمر

٩ نوفمبر سنة ١٩٦٧

عزيزتى ...

لا أعرف هل أكتب لكم أكثر من اللازم ؟ هل أرهقكم بالاكثار من الكتابة ؟ قلت لكم قبل الآن أننى أجد لذة فى الكتابة الى الذين يحبوننى .. كلما وجدت نفسى وحـدى أشعر أننى فى حاجة الى أن أمسك بقلمى وأكتب الى كل النـاس . أن أكتب طويلا . ولا أنتهى من الـكتابة أبدا . لعل السبب فى ذلك أننى تعودت طول حياتى أن أكتب الى الملايين . أحدثها . أناجيها . أفتح لها قلبى . ربما لاننى أحس ان الذين يحبوننى يشعرون أنهم فى وحـــدة . الحياة فى ظل انعدام الحرية هى وحـدة مريرة . الخوف والصمت أشبه بجدار الزنزانة . ربما أشعر أننى ألعب لعبة استغماية مع الحياة ، أصدقائى هم الأم أخفى فى حجرها رأسى فلا يمسكنى من يحاولون امساكى واخراجى من اللعبة .

الكتابة فى السجن ليست أمرا سهلا . تحتاج الى مجهود شاق واحتياطات للوقاية من الضبط ومع ذلك أجد هناء فى هذا المجهود ، ولذة فى هذه المحـاولات . المسجون الذى يضبطونه يكتب أكثر من خطابين فى الاسبوع يضعونه فى التأديب . والتأديب زنزانة ليس لها نافذة كالزنزانة التى وضعونى فيها عندما دخلت الليمان . ينام المســجون على الارض . لا سرير ولا مرتبــة . يرتدى بدلة زرقاء اما واسعة جدا يهرهر فيهـا ، واما ضيقة جدا يختنق فيها .. يأكل من طعام السجن الملعون . يمنع من تدخين السجائر . لا يفتح باب الزنزانة الا خمس دقائق فى اليوم ليذهب الى دورة المياه . ومع ذلك فاننى أغامر وأكتب ، وأجـد فى تهزيب رسائلى الى الخارج ، واستقبال الرسائل المهربة الى داخل السجن

متعة تحدى هذه الانظمة الظالمة ! وبهذا التهريب تصل خطاباتى لكم بسرعة . وتصلنى خطاباتكم بسرعة الصاروخ ...

وقد يهمكم أن تعرفوا كيف تصل خطابات أسرتى التى تصل بالطريق الرسمى . تذهب أولا الى مكتب أركان حرب السجن ، وبعد أن يفتحها ويقرأها يرسلها الى مكتب بريد الليمان ، وبعد ذلك ترسل الى ضابط العنبر . وبعد أن يقرأها يوقع عليها ، ثم يرسلها مع المسجون النوبتجى الذى يعمل فى مكتبه . وهو رجل فى السبعين من عمره . قصير القامة . أسمر الوجه . له لحية بيضاء . يحمل دفترا . وعندما يصل الى خطاب يقفز المسجون ساعى البريد درجات السلم أربعا فى أربع ، وكأنه يحمل الى بشرى الافراج . وفى يوم الاحد الماضى عندما أحضر خطاب ابنتى الذى فيه أن بعض الصحف فى الخارج نشرت أنباء الافراج عنى كان يرقص . وكانت لحيته ترقص معه . وذكر لى أن ضابط العنبر قال أن نبوءته قد صدقت . فقد قال له أن مصطفى أمين سيفرج عنه . وهذا الخطاب يؤيد ذلك . وأخذ ساعى البريد المسجون يصرخ بأعلى صوته معلنا نبأ الافراج . والتف حوله زملائى المسجونون السياسيون يريدون أن أقرأ الخطاب عنيهم . كل مسجون منهم يتوهم أن معنى الافراج عنى هو الافراج عنهم جميعا . أنا الذى سوف أفتح لهم باب السجن ! وهم يدعون لى وكأنهم يدعون لانفسهم بالافراج . ولقد رويت لهم ما فى الخطاب . ولولا الفضيحة التى سببها لى ساعى البريد لما قلت شيئا . فأنا لا أريد أن يبنوا قصورا فى الهواء . وفى هذه الايام تتوافر الاشاعات بشدة عن قرب الافراج عنى . وقد قال لى مدير السجن أن العادة جرت ألا يسجن المسجون السياسى أكثر من عامين ، ثم يفرج عنه . هكذا حدث لابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء السابق ، ولفؤاد سراج الدين وزير الداخلية السابق . ولمحمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق . ولعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية السابق ، ولرشاد مهنا الوصى السابق على العرش ، ولغيرهم وغيرهم من الضباط الذين اتهموا بتدبير مؤامرات وحكم عليهم الفريق الدجوى بالاشغال الشاقة المؤبدة .

قلت له لقد توسطت لدى الرئيس عبد الناصر عن الافراج عن بعض هؤلاء ، وتوسط المشير عبد الحكيم عامر للافراج عن أكثرهم

وأنا الآن في السجن . والمشير في القبر ، والذين حول الرئيس الآن من رأيهم وضع نصف الشعب المصرى فى السجن ، لا الافراج عن المسجونين السياسيين .

وقال لى مدير السجن أن من رأيه أن أكتب خطابا للرئيس أذكر له أمراضى وأطلب منه الافراج عنى .

فقلت له اننى عندما كنت على صلة وطيدة بالرئيس لاحظت أنه لا يتأثر بخطابات الشكوى من المسجونين ، وهو يعرضها على زواره ، ليروا كيف أن فلانا الذى كان يبدو بطلا خارج السجن تحول الى أرنب داخل السجن ..

وحدث مرة أن سمعت أن اللواء محمد نجيب أرسل خطابا من معتقله الى الرئيس عبد الناصر . فانتهزت فرصة مقابلتى للرئيس وسألته عن فحوى هذا الخطاب .. وفوجئت بالرئيس يقول لى : أنا لم أقرأ هذا الخطاب .

قلت : ولكنى سمعت أن محمد نجيب أرسله لك منذ أسبوعين.

قال عبد الناصر : نعم وصلنى الخطاب منذ أسبوعين ، ولكنى لم أفتحه . وتركته مغلقا كما هو فى مكتبى .

وعندما رأى الرئيس دهشتى . قام من مكانه واتجه الى مكتبه ، وفتحه وأخرج الخطاب مغلقا . وقد كتب على الغلاف من : اللواء أركان حرب محمد نجيب ...

وفض الرئيس الخطاب فاذا به من محمد نجيب عن ظلم تعرض له أحد أولاده ..

وطوى الرئيس خطاب محمد نجيب وانتقل الى موضوع آخر . وقلت لمدير السجن : فاذا كان هذا مصير خطاب رئيس الجمهورية السابق فما بالك بمصير خطابى . اننى أكتب لجمال عبد الناصر عن رأى سياسى . وعن استعدادى لأخوض معه معركة ، ولكنى لا أكتب له أبدا أطالب بالافراج عنى ..

وأنا فى رأيى أن اشاعات الافراج عنى اشاعات ليس لها أساس ٠٠ وأنها جزء من حملة مرتبة ، مقصود بها حقن الناس بكلوروفورم من الامل ، لكيلا يشعروا بآلام الهزيمة وجروحها ٠٠ فيقال للناس سنفرج عن المسجونين السياسيين ، ولا يفرج عنهم ٠ ويقال لهم سنلغى المعتقلات ثم تبقى المعتقلات ٠ ويقال لهم ستعود الحريات ويبقى الارهاب ٠٠ والمقصود أن يتحمل عبد الحكيم عامر وشلته وزر كل الكبت وكل المساوىء التى يشكو منها الشعب ٠ ان المشير فى القبر وصلاح نصر فى السجن وشمس بدران فى السجن وحمزة البسيونى فى السجن ، ومع ذلك تجىء لى الاخبار من السجن الحربى أن التعذيب لا يزال مستمرا ٠

ولا أتصور أن المشير أصدر قرارا من قبره بتعذيب أصدقائه الضباط الذين اتهموا فى مؤامرته !

تنظيم حملة صحفية من داخل السجن

١٠ نوفمبر ١٩٦٧

عزيزتي ...

أشعر بخجل من نفسي ، وأصدقائي وتلاميذي ينهالون على بخطابات من خارج السجن .. ان معي في السجن عشرات من المسجونين السياسيين حرموا منذ أكثر من عامين من أن يكتبوا خطابا واحدا أو يتسلموا من أهلهم خطابا واحدا . حرموا من أن يشربوا سيجارة . حرموا من أن يقابلوا أولادهم وزوجاتهم وأمهاتهم . لا يعرفون هل أولادهم أحياء أو أموات ، مرضى أو أصحاء في عالم الحرية أو في غياهب السجون . ان ما أتحمله من عذاب في سجني أقل كثيرا مما يتحمله غيري ، وأحمد الله على ما أنا فيه اذا ما قارنته بأيام سجن المخابرات في شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٦٥ . عندما كنت لا أعرف هل أصدقائي وأحبائي وأعضاء أسرتي في السجن أم مطلقو السراح ! هل أخي موجود في الخارج أم خطفوه ووضعوه في صندوق وأرسلوه الى القاهرة ؟ لا أتلقى خطابا ولا أقرأ جريدة أو كتابا . حتى المصحف الشريف حرمت منه . ثم أقارن بين حياتي الآن وحياتي في أيامي الأولى في ليمان طره . كيف أمضيت أيامي الأولى لا أجد طعاما آكله ، ولا سيجارة أدخنها . أيام كنت أنام على الارض ، والروماتيزم الملعون يفترس مفاصلي ، والبرد يلدغ سلسلتي الفقرية مثل لدغات الثعبان . أيام كنت لا أستطيع أن أقرأ جريدة واذا وقعت في يدي خبأتها داخل ملابسي كقطعة من الحشيش ، ثم أستيقظ عند الفجر وأمزقها اربا اربا ، لكي أخفي معالمها . حتى لا يجيء الشاويش ويضبطها

معي كأنها قنبلة ذرية أخفيها ، أيام كنت أمضي ليالي أقتل الصراصير في زنزانتي ، وأتصور أن كل حشرة منها واحد من الذين ظلموني ، وأن حذائي هو السلاح الوحيد الذي بقي معي لأعبر به عن رأيي ! أيام كنت لا أملك ورقة ولا قلمـا ولا مظروفا ولا ورقة بوستة . أيام كنت أعيش أسابيع ببدلة زرقاء ممزقة ، لا أملك سواها ، أخرج بها ، وأنام فيها . أيام كانت تعليمات الدولة بأن أعامل في السجن مثل وباء الكوليرا . ممنوع على أي انسان أن يقترب مني ، أو يتحدث الي . أيام كان يهدد كل مسجون بأنه اذا حياني من بعيد بأنه سوف يسجن في التأديب أو سوف يجلد أو سوف ينزل به أشد أنواع العقوبات . أيام أخلوا كل الطابق الذي أقيم فيه من جميع المسجونين ، وبقيت فيه وحدي مع خمسين زنزانة خالية . أيام كان ممنوعا على أي مسـجون أن يقترب من الزنزانة التي أنا فيها أو يمر أمامها ، واذا نزلت الى فناء السجن لاتمشى فيه ، أخلى الفناء من مئات المسجونين ، ومن الحراس لامشي وحيـدا منفـردا منبـوذا لا يـراني أحـد ، ولا أرى أحـدا ، ولا يكلمني انسان ولا أكلم انسانا . كانت هذه أياما مريرة شاقة قاسية كريهة مؤلمة . وكانت الليالي أشد مرارة وشقاء وقسوة وكراهية وبؤسا وفظاعة . مرت على هذه الايام الملعونة وكنت أحـرص على الا أكتب لكم شيئا عنها ، حتى لا أزيد من عذابكم وآلامكم ولا أضاعف شقاءكم وأحزانكم . ومع ذلك لم أفتـح فمي مـرة واحـدة بالشكوى ولا بالاعتراض ولا بالاسترحام . انني لا أجيد الكلمات الراكعة . كنت واثقا أن اليد التي تضرب سوف تتعب من الضرب . وأحمد الله أن ايماني بالله كان يشتد مع اشتداد الاذى . وكان يتضاعف مع العذاب . كلما زادوا في ايلامي زدت في صمودي . ما أبعد الفرق بين حياتي الاولى في غرف التعذيب وحيـاتي في زنزانة ليمان طره . انها كالفـرق بين الجحيم والجنة ! اليـوم يفتشون زنزانتي كل صباح وكل مساء . وأنا لا أشكو من ذلك بل أنني أدعو الشاويش بنفسي ليفتش الزنـزانة اذا نسى أن يفتشها . أصدقائي من المسجونين العاديين يخفون الممنوعات في زنازينهم او في أماكن أخرى لا تخطر على البال . بعض أوراقي مدفونة تحت الارض ، وبعضهـا مخبـوء في مكاتب الضباط دون

علمهم ! أما زنزانتى فليس فيها أى شيء ممنوع سواى ٠ اننى مدين لذكرياتى الحلوة التى استطاعت أن تمحو حاضرى المرير ٠ الانفاس الحارة للذين يحبوننى كانت تدفئنى فى برودة الزنزانة ٠ لم تكن زنزانتى هنا هى زنزانة العذاب أبدا ، بل كانت قصر الشوق دائما ٠ لم تكن قبرا لى كما أرادوها ، بل كانت خزانة لاحلامى ٠

اننى أشعر بسرور اليوم لاننى استطعت وأنا فى زنزانتى أن أثير مسألة بعض المظلومين ٠ قانون المخدرات الذى صدر عام ١٩٥٢ قضى بالحكم على أى حامل للمخدرات بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وفى ظل هذا القانون حكم على الألوف بالسجن المؤبد ، بينما صدر قانون آخر سنة ١٩٦٠ هبط بالعقوبة من الاشغال الشاقة المؤبدة الى الاشغال الشاقة المؤقتة ٠ وحاول المسجونون أن يطلبوا تطبيق القاعدة القانونية بأن المحكوم عليه يستفيد من صدور قانون جديد يهبط بالعقوبة القاسية الى العقوبة الأخف ٠ ولم يسمع لهم أحد ولم يهتم بهم أحد ٠ وبرغم أنه لم يعد لى حول ولا طول ، وبرغم أننى لا أستطيع أن أطلب من صحفى واحد أن يكتب عن هذا الظلم ، فقد استطعت أن أجعل الصحف تكتب عنه ٠ ونظمت حملة واسعة من داخل السجن ، وأمطرت الوزراء والنواب والصحفيين بخطابات تطالبهم بأن يتحركوا وينقذوا القانون ٠ ونجحت في أن أجعل تلميذى رأفت بطرس المحرر بأخبار اليوم يكتب عن هذا الظلم تحقيقا رائعا نشرته آخر ساعة ٠ واستطعت من زنزانتى أن أجعل هذا الموضوع موضوع الساعة ، وكانت النتيجة أن صرح وزير العدل للصحف أنه سيبحث حالة هؤلاء المظلومين ٠ وتلقيت اليوم أنباء مؤكدة بأنه سيفرج عن كثيرين منهم نتيجة هذه الحملة الصحفية ٠ كانت لذتى الكبرى فى عالم الحرية أن أرفع الظلم عن المظلومين ، أو أن أمنع الظلم عنهم ٠ لم أتصور أبدا أن الله سوف يعطينى الفرصة لافعل نفس الشيء وأنا مقيد فى زنزانتى ٠ هذا شيء أسعدنى كثيرا ٠ شعرت أن يدى لاتزال تستطيع أن تتحرك ، وتمتد لانقاذ المظلومين ، حتى وهذه اليد مقيدة بالسلاسل والاغلال ٠ واذا تم ما أرجوه وأفرج عن هؤلاء الالوف فسوف تنفتح بيوت أغلقت ، وتعود الروح الى ألوف الاسر المشردة ، وسوف أكون

نجحت فى إسعاد ألوف من الامهات والزوجات والابناء والبنات · ان عندى عشرات من هذه القضايا · أتمنى لو أستطيع وأنا هنا فى زنزانتى أن أرفع الظلم عن أصحابها · ناس لا أعرفهم ولا يعرفوننى · ولكن يجمعنا أن كل واحد منا مظلوم · هذا الاشتراك فى الظلم يجعل بيننا نوعا من الصداقة والزمالة والأخوة · والمهم اننى استطعت أن أفعل كل هذا فى صمت وهدوء ، وكان يهمنى أن أحمى أصدقائى الذين ساعدونى خارج السجن فلا يعرف أحد أنهم استجابوا لرغبتى وقاموا بهذه الحملة الممتازة · فلو عرفت الحقيقة لامتلأت المعتقلات بعدد من الصحفيين والمحررين · لذتى أن أرى الوجوه الحزينة اليائسة يعلوها الامل من جديد · اسعاد الناس هوايتى · وسجنى لا يجعلنى أمارس هذه الهواية كما أتمنى وأريد · ولكنى أحاول أن أفعل شيئا فى حدودى الضيقة ·

لدينا بعض المسجونين تسعدهم سيجارة · نعم سيجارة واحدة! أحد المسجونين جاءنى اليوم يرجونى بألا القى أعقاب سجائرى فى الزبالة ، فهو يحتاج اليها ليجمعها ويصنع من مجموعها سيجارة يدخنها بشراهة · هذه السيجارة تعنى لبعض الناس رغيف عيش زيادة ، وتعنى لدى آخرين أن ينجو من ضرب شاويش شرس · وتعنى لدى بعضهم أن يأخذ حقه من الفول المدمس · ومن العجيب أن وزير الداخلية أعطى تعليمات بألا تكون عندي سجاير كافية خشية أن أعطى سيجارة لمسجون · يا لهم من مغفلين · السيجارة لا تشترى مسجونا ، وانما تستطيع شراء الناس بأن تحبهم · اننى أمشى فى السجن وأبذر بذور الامل فى اليائسين · أملأ صدر المقهورين بالاحلام · أحاول أن أجفف دموع المعذبين المهزومين بمناديل من مشاعر انسانية ومشاركة بالاحساس · أضمد جراح المخنوقين المذبوحين بابتسامات مشجعة · أحاول دائما أن أكون ساحرا أجد تعاويذ وأحجبة مسحورة لكل داء · ولست أزعم أننى أنجح دائما ، ولكننى أقول أننى أحاول دائما · تسعدنى المحاولة ويشقينى الفشل · ومن الغريب أننى أحاول أن أسعد الذين لا أعرفهم وأنجح ، وأفشل فى أن أساعد زملائى المسجونين السياسيين الذين معى فى نفس القبر · كل ترياق أرسله اليهم

لا يشفيهم من لدغة ثعبان السجن • كأنها وصفات دجال لا أدوية طبيب • اننى أعلم أن عذابهم لن ينتهى الا بالافراج عنهم • فهل أستطيع وأنا هنا فى زنزانتى أن أقوم بحملة للمطالبة بالافراج عن المسجونين السياسيين كما نجحت فى الافراج عن المحكوم عليهم بالمؤبد فى قضايا المخدرات ؟

ان الصحف المصرية تحت رقابة شديدة • فى كل دار صحفية رقيب يقرأ كل شىء ويراجع كل شىء • الارهاب يملأ صدور الصحفيين الذين ذاقوا التشرد والجوع والفصل والنقل من الجريدة الى مصانع الاحذية ومصانع السردين • لم يبق صحفى كبير فى مصر لم يذق طعم البطش والارهاب والجبروت الا اذا قبل أن يكون حذاء فى قدم الحاكم يدوس به على الابرياء !

وعندما أتطلع فى وجوه زملائى المسجونين السياسيين أقرأ عذابهم • أقرأ عذاب زوجاتهم وأمهاتهم وأولادهم • أفكر فى الاجزاء التى بقيت من كل واحد منهم خارج السجن • فى أقارب لهم يعيشون فى زنزانات وهمية ، ولكنها أشد قسوة من الزنزانات الحقيقية • أحيانا أحاول أن أخدع نفسى وأقول لهم ان هذا العذاب لن يطول • قطعنا أغلب طريق العذاب ، ولم يبق الا بضع خطوات الى نهاية الطريق ولكن نفسى لا تنخدع • أنا أعرف أن الظلم سيطول بطول عمر حكم الظالمين • ومع ذلك أرى أنه لابد أن تجىء نهاية الظلم والظالمين •

تعلقى بالامل هو نوع من المقاومة • مقاومتى الوحيدة ، أقاوم اليأس ، أقاوم الانهيار • وأعتقد أن الله هو الذى جعلنى أنجح فى هذه المقاومة ، لم أسقط تحت الضربات التى انهالت على رأسى • لم أركع تحت وطأة السياط النفسية التى أدمت روحى والسياط الجسدية التى نزفت دمى • ان صمودى هو صلاة أؤديها • لم تكن صلاة واحدة مرة فى اليوم • بل صلاة مستمرة متواصلة • عندما أنظر ورائى أجزع لطول الطريق الذى اجتزته ، لضخامة الاهوال التى مرت بى • ويزيد فى جزعى اننى لم أكن وحدى • معى فى السجن ألوف المظلومين انهالت على رؤوسهم كل الضربات وكل الطعنات •

هل أستطيع وأنا فى السجن أن أنظم حملة فى صحف العالم والصحف العربية للمطالبة بالافراج عن المسجونين المصريين والمعتقلين المصريين ...

لو ضبطونى فسيقولون انها خيانة وطنية .. طبعا هى خيانة وطنية أن تطالب بالعدل فى دولة الظلم ، وأن تنادى بالحرية وأنت فى زنزانة !

لا يهمنى ما يصيبنى .. ولكن الذى يهمنى أن أعرف هل هذه الحملة سوف تفيد المسجونين السياسيين أم تضرهم ؟

سألت الاستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين معى فى الزنزانه المجاورة عن رأيه فى أثر هذه الحملة .
فقال باسما :

ـ رأيى أنه سيصدر أمر بعدها بقتل جميع المسجونين السياسيين ودفنهم سرا فى الصحراء ، وبعد ذلك يصدر بلاغ رسمى بأنه لا يوجد فى مصر مسجون سياسى واحد !

الخطاب المضبوط !

١١ نوفمبر سنة ١٩٦٧

عزيزتي ...

اليوم عيد ميلاد أخبار اليوم .. اليوم مرت ٢٣سنة على انشائها. واحتفلت أنا بعيد أخباراليوم .. بطريقة غريبة لم تخطر على بال . صدرت الاوامر باغلاق جميع الزنزانات علينا . لا نخرج منها أبدا الا لمدة نصف ساعة . قرار ثان بأن يمنع جميع المسجونين السياسيين من التحدث مع بعضهم البعض . قرار ثالث بأن يمنع أي مسجون من التحدث معي أو أن أتحدث الى أي مسجون . قرار رابع بنقل مأمور العنبر . قرار خامس بنقل شاويش العنبر . ودهشت لهذه التعليمات الجديدة التي تشبه تماما المعاملة القاسية التي عوملت بها في أول دخولي الليمان . وأحسست أنني المقصود بها وان شيئا ما قد حدث . ثم فوجئت « بكبسة » عدد من الضباط والحراس يقتحمون زنزانتي ويفتشونها ، ويقلبون كل شيء فيها . وتضاعفت دهشتي عندما علمت أن السبب في اصدار هذه التعليمات المشددة أن الدولة ضبطت خطابا أرسلته أنا الى احدى الجهات !

واستدعاني مدير الليمان وسألني اذا كنت هربت خطابات ..

وتماسكت وقلت انني أكتب خطابات الى أسرتي بالطريق الرسمي

وتركني المدير في مكتب مأمور السجن ، ليتحدث في التليفون مع المسئولين الذين كانوا ينتظرون نتيجة التحقيق ..

والتف حولي ضباط السجن ليسألوني ألم ترسل خطابات تهاجم الحكومة ؟ وكانوا يتصورون أنه لا بد أنني كتبت شيئا خطيرا أدى الى أن تقوم الدنيا وتقعد !

واستدعيت مرة أخرى لمكتب مدير الليمان وقال لى : أن الخطاب الذى كتبته موجود تحت يدى ، وهو الآن فى درج مكتبى ..

وانخلع قلبى . معنى ذلك أن طريقة تهريب الخطابات قد انكشفت . ولكنى تجلدت ولم أقل شيئا ، ومضى مدير الليمان يقول :

ـ سوف أواجهك بالخطاب الذى كتبته بخط يدك ..

وفتح المدير درج مكتبه ، وأخرج مظروفا صغيرا وقال لى : أليس هذا واحدا من الخطابات التى ترسلها ؟

ونظرت الى المظروف فاذا به ليس من المظاريف التى أستعملها اطلاقا ، وتمالكت نفسى ولم تبد على الفرحة بالنجاة وقلت : هـذا ليس خطابى .

وفتح المدير الخطاب ، فقلت له : وهذا ليس خطى .

فقال المدير : أكتب كلمة « صحافة » .

فقلت له : لا ... سأكتب لك سطرا كاملا من الخطاب ، حتى نعرف أن هذا ليس خطى ..

وكتبت سطرا ، وبينما أنا أقفـل السطر ، قرأت الخطاب كله ، فاذا به مطالبة صحف أخبار اليوم بالاهتمام بمشكلة المحكوم عليهم فى قضايا المخدرات طبقا للقانون القديم ، وشكر مجلة « آخر ساعة » على اهتمامها بالموضوع .

وقارن المدير خطى بخط الخطـاب ، فوجـد أنه ليس خطى على الاطلاق ولا يشبهه !

والحقيقة أن الخطاب كان منى فعلا الى بعض تلاميذى فى « أخبار اليوم » ولكنى حرصت ألا أكتبه اليهم بخطى ولا بامضائى حرصا عليهم ... وحدث أن كان الضابط أركان حرب السجن يزور رأفت بطرس المحرر بمجلة آخر ساعة فى مكتبه بدار أخبـار اليوم ورأى

الضابط على مكتب المحرر هذا الخطاب ، فاعتقد أنه بخطى ، وسرق الخطاب ووضعه فى جيبه ، وقدمه للمسئولين باعتباره خليفة شارلوك هولمز الذى وفق الى اكتشاف السر الخطير ٠

وهذا الضابط شارلوك هو لمز كان مشهورا بالتجسس على المسجونين ، ومعرفة مايقولون ويفعلون ، وكان يتولى جلدهم بنفسه فى سجن التأديب ٠٠٠ وكان يجند بعض المسجونين للتجسس علينا ومعرفة أخبار المسجونين السياسيين ، ووجدنا أن خير ما نفعله أن نجند جواسيسه أنفسهم ضده !٠٠ وأن نجعل مكتب أركان حرب الليمان نفسه هو المخبأ الذى نضع فيه الممنوعات ٠

وشعرنا عندئذ أننا رددنا التحية بأحسن منها ٠٠

اننا نمشى بحذر داخل الليمان ، نقدم قدما ونؤخر أخرى ، نتلفت وراءنا لاننا نعلم أننا تحت رقابة صارمة ، المخابرات لها عيون ، والمباحث لها عيون ، ومباحث المصلحة لها عيون ، وادارة السجن لها عيون ، وأى غلطة يمكن أن تكشف عن جهاز التهريب كله ٠ داخل السجن وخارج السجن ٠ هذا الجهاز من الاصدقاء المجهولين يمنحنى حرية الحركة وأنا مقيد فى الاغلال ٠ يجعلنى أستطيع أن أجعل صوت المظلومين داخل الزنزانات يخترق الاسوار وينفذ من الحصار المضروب ٠ والذين وضعونا فى هذه القيود ودفنونا تحت التراب يتصورون أنهم كتموا أنفاسنا وقطعوا ألسنتنا وداسوا بأقدامهم على أعناقنا ٠ وسوف تتضاعف وحشيتهم اذا اكتشفوا أن أصواتنا تخرج من القبر ، وأن رسائل أصدقائنا تدخل الى القبر بانتظام ، وأن كل ما يحدث لنا من تعذيب وتنكيل يصل الى الناس ٠ والفضل فى نجاحنا حتى الآن لا يعود الى كفاية التنظيم الذى اخترته ولا الى عبقرية الخطة التى وضعتها ٠ انه تنظيم بسيط وخطة ساذجة وانما الله هو الذى يتستر علينا ٠ هو الذى يعمى عيون الجستابو فلا يرانا ٠٠ ومن سخرية القدر أننا استطعنا أن

نصل الى المسجونين الذين رضوا لأنفسهم أن يكونوا « جستابو » علينا ، وأصبحنا نقرأ التقارير السرية المكتوبة ضدنا ، بل تمادى بعض زملائنا من المسجونين السياسيين وأصبح يملى على هؤلاء الجستابو بعض كلمات تقريرهم ، ويضع فيها ما يضلل الذين بعثوا بهذه العيون تتعقب خطواتنا ، والغريب أن هذه العيون قبلت أن تخدم الله والشيطان فى وقت واحد ! تقبض من خصوم البشرية ثمن الاكاذيب ، وتعطينا الحقائق مجانا ! لا يوجد شرف ولا ذمة ولا ضمير بين الذين يتعاملون بأسلحة الغدر والوقيعة !

اننا نعيش كل يوم مع الخطر فى زنزانة واحدة ·

ولكن الله معنا ·

الحاكم له الحاضر
والله له المستقبل

أول ديسمبر سنة ١٩٦٧

صديقى العزيز

لا تتوهم أن صورتى فى سجنى هى صورة الرجل الضجر بحياته ، المليء بالهموم ، الذى يعيش حياة كئيبة حزينة فى وحدة مطلقة · أبدا بل أنا أحاول أن أصنع حياتى فى السجن بيدى ·

ذكرياتى وأحلامى أشبه بأنابيب الالوان ، وخيالى أشبه بالريشة · أنا أمسك الريشة واغمسها فى الالوان ، ثم أبدأ فى تلوين واقعى · أضيف اليه ألوانا بهيجة من الماضى والمستقبل ، وظلالا باهتة من الحاضر ، حتى تجيء الصورة أقرب الى صورة موكب فرح منها الى موكب جنازة ·

خيالى هو ايمانى · ليس أوهاما وانما هو عقيدة · كلما زاد ايمانى بالله ارتفعت فوق مستوى واقعى · كأننى أركب طائرة نفاثة ، وكلما ارتفعت تضاءلت الآلام على الارض · اننا نتصور آلامنا ونحن على الارض كأنها ناطحات سحاب فاذا ارتفع ايماننا فوقها صغرت وتضاءلت حتى أصبحت فى حجم علبة الكبريت ·

اننى لم أنتج فى خلال هذا العام كل ما أريد من قصص وكتب · الرقابة الصارمة والحذر الشديد لا يعطينى الفرصة لاكتب كل ساعات الليل والنهار · رأسى أشبه بمكتبة فيها عشرات من الكتب والقصص · لا ينقصها الا أن تدون على الورق · الذى يحدث لى هو نوع من التخزين · أخزن الافكار فى رأسى · أرتبها فوق بعضها البعض وعندما تنتهى فترة الظلام سوف أكتب ، وأكتب · أنا لا أنام وانما أحلم · لا أسكت وانما أفكر · لا أضحك من الناس وانما أسخر مما نحن

فيه ! اذا صمتت شفتاى عقلى يدوى . لا أتصور أن السجن أنهى حياتى بل أومن أنه بدأها ! أنا اليوم أشبه بعطلة نهاية الاسبوع ، ثم بعد ذلك أبدأ يوم السبت فى حياتى الادبية والصحفية . أصبحت أرى أن دخول الكاتب أو الفنان الى السجن ضرورة كدخول الجامعة . بعد أن بقيت فى السجن هذه المدة الطويلة أصبحت أعتقد أننى فى الماضى قمت برحلات عديدة فى أنحاء العالم ولم أر شيئا . الدنيا الحقيقية هى هنا بين الجدران العالية ، ووراء هذه الاسوار والقضبان . هنا يرى الواحد منا ألوانا وأشكالا من الناس . نحن أشبه بمرضى فى مستشفى . بعضنا لا علاج له ، وبعضنا شفاؤه أكيد ، وبعضنا لم يستطع المرض أن يشوه جماله الداخلى . وبعضنا مشوه . فينا كاملون وناقصون . ملائكة وحيوانات . مظلومون وظالمون . أقوياء وضعفاء . طغاة ومسحوقون . مع ذلك لا أشعر بالاشمئزاز هنا عندما أرى شيئا كئيبا . أشعر بالشفقة . أنا أحبهم جميعا . بما فيهم من نقائص وفضائل ، من مزايا وعيوب . قبل ذلك كانت مثل هذه المناظر تصيبنى بالغثيان الداخلى ، بشىء من القرف . الآن لم أعد أقرف من شىء . اننى هبطت الى أعماق الحياة ، وفى هذا العمق السحيق وجدت نبلا وخلقا وفضلا وانسانية . ليس ضروريا أن يكون وراء كل بدلة زرقاء مجرم بطبعه ، بل كثيرا ما يكون وراء هذه البدلة الحقيرة انسان طيب لا يختلف عن الذين يرتدون ملابسهم الكاملة الانيقة . وجدت السجن مليئا بالناس الطيبين . الاشرار فيهم أقلية . وهم أشرار بالسمات ، وأنا شخصيا لم أجد حتى الآن شريرا حقيقيا . أنا من طبعى أعذر الناس . أعطى أعذارا للطبيعة البشرية . تجربتى أن ليس كل من حمل فى يده كتاب الصلوات قديسا ، وليس كل من حمل على ظهره صليبا مسيحا ، وليس كل من حمل خنجرا مجرما . أقضى وقتى في محاولة درس الناس . قراءة الناس لاتقل متعة عن قراءة الكتب . وكلما تعمقت فى أعذارهم وجدت أشياء جميلة لاتبدو على ملامحهم . بعض الذين تضحك شفاههم تنتحب قلوبهم . بعض الذين تبدو على ملامحهم القسوة والعنف تجد فى أعماقهم طفلا بريئا !

الجحيم هو الآخرون فى رأى الفيلسوف الفرنسى سارتر . ولكن الجحيم فى رأيى هو أنفسنا . نحن نعذب أنفسنا ونحرقها بتصور

السوء في الآخرين ، بينما الذى نراه هوالقشرة الخارجية ، وبشىء من الصبر والفهم نجد نفوسا طيبة خيرة بريئة ، وذلك عندما ننزع هذه القشرة بغير أن نؤلم صاحبها أو نسيل دمه • هذه النفوس التى خدعنا مظهرها الخارجى المنفر هى ضحية ظروفها • وكل واحد من هؤلاء المسجونين القساة العتاة الذين أرى فى وجوههم الشراسة يحمل قتيلا فى داخله ، وعندما يغادر الواحد منهم السجن يستيقظ الميت الذى فى داخله ، ويغادر مكانه ويتحول الى رجل عادى بعد أن تخلص من الحمل الثقيل الذى فى أعماقه • والقتيل هو حريته • ولهذا يبدو فى بعض الاحوال وكأنه يعيش مع رجل ميت • ما أقسى الحياة مع ميت فىزنزانة واحدة ، ولكن أقسى منها الحياة مع ميت داخل جسم واحد • ومن هنا نحن نخطىء اذا تصورنا أن المسجون هو الجثة الميتة فىداخله ، وليس الانسان الذى يحمل الجثة •

أخشى أن أكون أخذتك معى الى أغوار السجن وأبقيتك فيه طويلا • الآن أعود اليك • العودة الىالحديث معأصدقائى تنسينى أننى فى السجن • كنت أرتعش من البرد قبل أن أكتب اليك • ولكن ماكدت أسطر أولى كلماتى اليك حتى أحسست بالدفء ينساب الى • التفكير فىأصدقائى وأحبائىهوجهاز تدفئة لا يفسد أبدا • الصداقة الحلوة تكمل الحواس الخمس ! ما قيمة النطق اذا لم أستطع التحدث الى صديق • ما قيمة السمع اذا لم أسمع صوت محب ! ما قيمة اللمس اذا لم ألمس يده • ما قيمة الذوق اذا لم أذق طعم حلاوة الحياة ونقتسمها معا • ان ذكرياتى مع أصدقائى وأحبائى هى راقصات يرقصن حولى ، ويغنين لى • هذه الذكريات بألوانها وأشكالها وأنغامها وألحانها ، ومرحها وخبرتها تكون سيمفونية رائعة فيها مزيج من موسيقى باخ وموسيقى الجازباند المجنون • ماضينا ليس بعيدا عنا • أنه قريب منا • لانه يعيش فينا • لم يكن الماضى أياما ذهبت ، وانما هو ايام لا تموت •• باقية ما بقينا • لانها حياتنا وأحلامنا • ذكرياتى مع أصدقائى أشبه ببيك آب فيه ١٤ اسطوانة ، له أزرار سحرية • لا أكاد أضغط على زر حتى تدور مائة اسطوانة في كل اسطوانة ، وعندما أستعيد سماع هذه الاغانى أطرب ، كأننى أسمعها لأول مرة ، وهذا شأن الموسيقى الخالدة • كلما مضى عليها الزمن

تضاعفت عذوبتها ، وبدت حلاوتها ، وظهر جمالها · حياتى مع أصدقائى وتلاميذى هى مجموعة ضخمة من الموسيقى الرفيعة والموسيقى الخفيفة · كثير منها اسطوانات جيدة وقليل جدا منها اسطوانات مشروخة !

اننى أعود نفسى على الحياة فى الزنزانة · أصبحت الحياة فى الجحيم عاديه · كل ما نتمناه الا ينقلونا الى جحيم اشد سعيرا · لا أريد أن أشعر أننى محروم من شىء · لا أريد أن أبدو صغيرا أمام رغباتى · من رأيى أنه عندما يفقد الانسان حريته تتضاءل كل الضروريات بعد ذلك · تبدو تافهة لا قيمة لها · أنا فى زنزانتى بايمانى أبدو أقوى من السجان الذى يراقبنى · أقوى من الحاكم الذى وضعنى فى السجن · أنا مطمئن وهوخائف · أنا باق وهو ذاهب · الزلزال عندما يقع لن يطيح بى الى الحضيض فقد وضعونى فى الحضيض . ولكن الزلزال اذا وقع فسيهز عرشه ويهوى به من حالق ! الوقت على الارض أكثر ثباتا من الذى يتبوأ قمة الهرم !

أحمد الله أن السجن لم يؤثر حتى الآن على روحى . ولا على قلبى . ولا على ايمانى . ولا على صمودى ، ولا على أعصابى . وهذا مكسب عظيم · ما دام قلبى مؤمنا فلن أشعر بضعف وما دامت روحى عالية فلن أجزع أمام الظلم ·

الحاكم له الحاضر ··· والله له المستقبل ·

حفلة رأس السنة فى السجن !

٣ يناير سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

... أما أنا فقد امضيت ليلة رأس السنة في زنزانتى . هذا هو ثالث عام أستقبله فيعالم السدود والقيود . لمأطفىء الانوار ، فقد كانت الانوار منطفئة . ولم أرتد بدلة السهرة ، فقد كنت ألف جسمى بالبطاطين من شدة البرد . فى منتصف الليل لم يكن فى قدرتى أن أطفىء النــور أو أضيئه ، ولهذا أكتفيت بأن أفتح عينى وأغمضهما ! كانت صلواتى الى السماء هيحفلتى الساهرة . حفلة ليس فيها موسيقى ولا رقص ولا صخب ولا ضوضاء . حفلة صامتة . مرت أمامي عيون الذين أحبهم فى موكب كبير . راحت الاحلام تتراقص والامانى تتمايل ، والذكريات تتعانق على أنغام لا وجود لها . أدب اللامعقول لم يتخيل حفلة عيدرأس السنة التى أقمتها فى زنزانتى . كنت المدعو الوحيد فيها . الرحام كان شديدا . الافكار حشرت فى رأسى كما ينحشر الراقصون والراقصات فى حفلات رأس السنة الصاخبة المرحة . أفكارى تكشف عن صدرها وظهرها وساقها كما تفعل النســاء والفاتنات فى سهرات الاعياد فى الخارج . رأسى كان أشبه بحلبة رقص . فيها ضحك وصراخ . فيها أذرعتتشابك وصدور تتعانق ، وأقدام تدقعلىالارض بشدة . فيها صفير مزامير . وفرقعة سدادات زجاجات الشامبانيا . فيها بالونات تطير وبالونات تسقط . فيها صخبوضوضاء ... كانت بعض أفكارى تضعأقنعة علىعيونها كما يفعلون فيحفلاتالكرنفال . ومن حقك أن ترفع الاقنعة عن بعض أفكارى لترى ما وراء الاقنعة السوداء .

كنا نحتفل أنا وأنت برأس السنة بطريقتنا الخاصة . كنت أجلس معك فى مكتبك ، أو تجلس معى فى مكتبى . وندون برامجنا للسنة القادمه ، وللعشر السنوات المقبلة . وكان الله كريما معنا واستطعنا دائما أن نحقق كل سطر تمنيناه ودوناه فى مفكرتنا فى أول صفحة من صفحاتنا ، وكنا ننتقل طول السنة من تنفيذ فكرة الى تنفيذ فكرة أخرى . كما ينتقل الراقص الرشيق من ذراعى فاتنة الى ذراعى فاتنة أخرى على أنغام كل لحن جديد ..

هل أستطيع أن أجلس اليوم وأدون فى مفكرتى مشروعاتى للعام الجديد ؟

لا أظن أن تقدمى فى السن هو الذى يجعل أحلامى تمشى كالعجائز متوكئة على عكازين .

احلامى لا تزال شابة . تريد أن ترقص ، وتقفز ، وتثب ، وتعدو . ولكن قيود السجن تجعل هذه الاحلام تحرك خطواتها على غير أنغام . فتجىء الخطوات متعثرة وكأنها تمشى فى جنازة لا ترقص فى حفلة رأس السنة . ما أشبه أفكارى الليلة بالعجائز الذين يجلسون حول حلبة الرقص ، يضعون نظاراتهم فى أيديهم ، ويحملقون فى وجوه الراقصين من الشباب وأقدامهم ، ويتنهدون ويتحسرون لان الروماتيزم يمنعهم أن يدخلوا الى الحلبة المجنونة ، ويرقصون فى عنف مع الراقصين المرحين المملوئين حيوية ونضارة وشبابا .

لا أريد أن أتعبك طويلا معى فى حفلة رأس السنة الجديدة . الزنزانة ليست واسعة لكى تتسع لأفكارى وأفكارك . ربما تدوس أفكارى على أفكارك ، كما تدوس قدم الراقص الغشيم على قدم زميلته فى زحام الرقص لسهرة العام الجديد .

أهم صلاة لى فى رأس السنة أننى أقمت فى قلبى صلاة شكر . نعم شكرت الله لانه فعل لى أشياء كثيرة جميلة رائعة كانت أجمل من كل أحلامى وأروع من كل خيالى . كان كل يوم من أيام حياتى من قبل أن أدخل السجن ، حفلة رأس سنة ، أعطانى الله كثيرا جدا . أكثر مما طلبت ، وأضعاف ما تمنيت . ليلة القدر تجىء

للناس مرة كل عام ، وكانت تجيء لنا كل يوم ، وأحيانا كل ساعة · حتى العمل الشاق المضنى جعله الله عملا لذيذا · طعم العرق فيه مثل طعم الشهد ·صوت الآلات فيه كألحان السيمفونيات ·· اذا كان الله قد شاء أن أفقد حريتى فقد ضاعف ايمانى · أخذ القليل وأعطى الكثير · حرمنى ترف الحياة وغمرنى بترف الصبر والصمود والايمان ··

كلما قرأت عن البرد فى أوربا فكرت فيك · موجة البرد فى السجن كانت شديدة فى هذا العام ، فكيف بها فى لندن · اننى أتصورك مسجونا فى غرفتك فى لندن ، لا تستطيع أن تفارقها · وأتصور نور الكهرباء مضاء فيها بالليل والنهار لاختفاء الشمس ·

ولكن أرجو أن تشرق الشمس من جديد ··· لابد أنها ستشرق ، وستعود الى مشاهدة مباريات الكرة فى انجلترا من جديد · اننى منذ مدة طويلة لم أشهد مباراة كرة · ألغينا موسم الكرة بسبب ظروف العدوان · وألغت الحكومة مشاهدة المساجين للتليفزيون عقابا للمسجونين على هزيمتهم فى ٥ يونيو ··· نعم نحن الذين هزمتنا اسرائيل لا حكومتنا !

أرجو أن تتحقق آمال بلادنا وينصرها الله ، وعندئذ ستعود الحياة الطبيعية ··· وعودة الحياة الطبيعية فى رأى بعض الناس هنا هى الافراج عن المسجونين السياسيين واغلاق المعتقلات ، وفى رأى آخرين هى السماح للمسجونين السياسيين بالتفرج على التليفزيون !

سمعت أن أم كلثوم استقبلت استقبالا هائلا فى باريس · أسعدنى نجاحها كثيرا · أسعدنى أكثر ما أبدته من بطولة أثناء المحنة ، وكيف أنها قامت بدور المواطنة الاولى بجدارة واستحقاق

لا أكاد أخرج من زنزانتى · البرد الشديد يجعلنى أفضل البقاء فى الزنزانة ·

حياتى الآن فى داخل زنزانتى · وبالرغم من أننى فى الجهة القبلية الا أننى لا أستطيع أن أفتح الا نصف النافذة بسبب الريح

الشديدة . أحاول أن أهرب من الزكام اللعين . استطاع مرة واحدة أن يمسك بخناقي ، وبقيت أعاني حوالى الاسبوعين . استطعت أن أنجو منه فى فترة البرد الشديدة التى جعلتنى أتصور أننى فى سيبريا !

حدثت فى السجن هذا الاسبوع مأساة أحزنتنى . معنا فى العنبر مسجون سياسى له سبعة أولاد ، أصغرهم اسمه خالد . وهو يحب ولده هذا حبا لم أر مثله كثيرا . كان يكتب كل خطاباته الى أسرته باسم خالد الصغير . وقابلته أسرته فلاحظ أن ابنه خالد ليس بينهم ، وسأل عنه ، فقيل له أنه مشغول باستذكار دروسه .

فسأل الأب لماذا لم يعد خالد يكتب له . وأجاب أولاده أنهم نصحوا خالد بأن يتفرغ لدروسه ويترك لهم مهمة الكتابة . ثم جاءت زيارة الشهر الثانى فلم يجد خالد بين الزائرين . فسأل عنه ، فقالوا له أن خالد لا يزال مشغولا فى دروسه .

فثار الاب وقال : اننى أكتب الى خالد باستمرار فكيف لا يرد على ؟

قال الاولاد : ان لدى خالد عذرا يمنعه من الكتابة .

وصرخ الأب غاضبا : لا يوجد سبب فى الدنيا يمنع ابنى خالد من الرد على خطاباتى منذ ستة أشهر ، ولا يحضر لزيارتى منذ ستة أشهر ..

وأجهش الابناء بالبكاء وقالوا له أن خالد مات منذ ستة أشهر ، وأنه لهذا لم يستطع الرد على خطابات أبيه ، وأن الاولاد اتفقوا على اخفاء الخبر عن أبيهم لانه مريض بالذبحة الصدرية . ولكن أم خالد وأولادها لم يستطيعوا أن يتحملوا هذا العذاب أكثر مما تحملوه . كان كل خطاب يرسله الاب الى البيت باسم خالد يجعل البيت يتحول الى مأتم وكأنه لم يمت الا ساعة وصول هذا الخطاب ، وكان سؤال الأب فى كل زيارة عن خالد أشبه بطعنة سكين تغمد فى قلوبهم .

وأمضيت وقتا طويلا أواسى هذا الأب المفجوع المنكوب ، وكنت طوال وقت مواساتى له أسائل نفسى ترى كم هى عدد الاخبار السيئة التى يخفيها عنى الذين يحبوننى ؟ أى الأمرين أرحم أن أسمع الاخبار المؤلمة عند وقوعها ، أو أن أبقى جاهلا بها ؟ من الغريب أنه كلما تأخر خطاب أعيش فى قلق وهم وعذاب ٠

الزنزانة هى خير مكان يفرخ فيه التشاؤم ويبيض ٠ جوها المقبض ٠ جدرانها الجرداء ٠ قضبانها القاسية ٠ بابها المغلق ٠ كلها أشبه بأقفال ضخمة وأبواب مسدودة تمنع التفاؤل من الدخول اليها ، أكثر مما هى قضبان تمنع المسجون من الخروج منها !

أشعر أن خطاباتى هى سمك لبن تمر هندى ٠ أذكر أيام كنت أكتب سلسلة عن أسرار ثورة ١٩١٩ أن حصلت على الخطابات التى كان يرسلها شفيق منصور أحد أبطال الثورة ، من منفاه فى جزيرة مالطة الى أسرته فى القاهرة ٠

وفرحت بهذه الثروة التاريخية ٠ وتصورت أننى سأجد فيها وصفا رائعا لحياة المصريين المنفيين ٠ ماذا قال سعد زغلول عندما عرف أن الشعب ثار من الاسكندرية الى اسوان احتجاجا على الانجليز ؟ ماذا قال حمد الباسل باشا عندما علم أن فرسان الفيوم ركبوا خيولهم وحاولوا الزحف على القاهرة ٠ ماذا قال محمد محمود باشا عندما عرف أن أهالى الصعيد تصدوا لقطار بريطانى مسلح وقتلوا كل الضباط الانجليز الذين كانوا فيه وأخذوا كل ما يه من أسلحة وذخائر ؟ ما هو الحديث الذى جرى بين الشبان الذين نفاهم الانجليز الى مالطة سنة ١٩١٤ ولم يتحرك أحد ، وبين الساسة الكبار الذين نفوهم سنة ١٩١٩ فاهتزت مصر من أقصاها الى أقصاها ٠

واذا بى أفاجأ بأن الخطابات كلها بصيغة واحدة وبمعنى واحد ٠ « أرسلوا لى الشيك بحيث يصل فى أول الشهر » ٠ « أرسلوا لى جوارب ثقيلة وفنلات ثقيلة فالبرد شديد » ٠ « لا تنسوا تحويل أماناتى بحيث تصل فى أول الشهر » ٠

« أرجوكم الاهتمام بارسال الشيك بانتظام » ٠ « البرد شديد فلا تنسوا الفنلات الصوف » ٠

وعندئذ شعرت بخيبة أمل شـديدة أن يتحدث الزعيم المسجون عن مسائل تافهة مثل الفلوس والفنلات والجوارب ، ولا يتحدث عن حياة الزعماء فى المنفى ٠

وأعتقد أن المؤرخين سوف يصابون بخيبة أمل أيضا عندمايجدون خطاباتى مليئة بالحـديث عن المسـائل الدنيوية مثل علبة الفلنيت ودواء الصراصير وأدوية السكر والشبشب الذى أريده ! وبعد أن دخلت السجن عذرت شفيق منصور ، وفهمت لماذا تضيق الحيـاة فى السجن وتضيق وتضيق حتى تصبح هذه المسائل التافهة مسألة هامة يتحدث عنها فى خطابات قد تكون فى يوم من الايام خطابات تاريخية ٠٠٠ فيبحث مثلا عن رأى السجين فى المعركة الاخيرة بين فيتنام الشمالية وفيتنـام الجنوبية فلا يجد الا وصف المعركة التى وقعت فى الزنزانة بينه وبين الذباب والناموس والصراصير ٠

وكل سنة وانت طيب ٠٠٠ ومصر طيبة ٠

من الذى يدق الباب

الحرية .. أم الكرباج؟

١٢ يناير سنة ١٩٦٨

أخي العزيز

لا أعرف كيف أشكرك على الانتظام فى الكتابة الى . اننى فى المدة الاخيرة لم أكتب اليك كما كنت أحب أن أكتب . ولكنك لم تجازنى على عدم انتظامى فكنت تكتب لى بانتظام .. وأنت لا تتصور قيمة الخطاب للمسجون . انه زيارة غير منتظرة . لقاء سعيد فى أيام محنة . زهرة فى عالم الشوك . نسمة هواء لمخنوق . كوبرى بين الحياة والعدم . عندما أعيش فترة بغير خطابات أحس كأن كل شىء انقطع بينى وبين العالم . هذا هو الخيط الرفيع الذى يربطنى به . قد يكون خيطا وهميا ولكنى أشعر أنه شىء أتعلق به . ولا أغطس فى بحار الاوهام .

بين ما يربطنى بالحياة « الاذاعة » ! عندما يغلق باب السجن فى الساعة الرابعة بعد الظهر يدخل الظلام الى الزنزانة . وأبقى جالسا فى فراشى أنتظر موعد اضاءة الانوار لأستطيع أن أقرأ فى جريدة ، أو مجلة أو كتاب . وفى بعض الاحيان يطول انتظارى ساعتين أو ثلاثا الى أن يجىء النور . وفى أحيان يشفق السجان النوبتجى ويضىء النور بعد ساعة ونصف ساعة . وفى خلال هذه المدة أقبع فى فراشى ، أفكر وأتذكر وأتخيل . ثم تجىء الاذاعة فتخفف وحدتى . لقد أصبحت أعرف أسماء المذيعين والمذيعات كما أعرف جدول الضرب ! وأستطيع أن أعرف الساعة من مواعيد البرامج الاساسية . فاذا سمعت القرآن فى المساء فمعنى ذلك أن الساعة الثامنة ، واذا سمعته فى الصباح فمعنى ذلك أننا

فى الساعة السادسة صباحا · ما أشق الحياة بغير ساعة ! لقد أردت أن أصنع لنفسى مزولة على طريقة القدماء ، فأعرف الساعة من قياس أشعة الشمس ، ولكن هذه الساعة تخوننى كثيرا ، فان تقلب الجو يجعل ساعتى تتأخر ساعة أو تتقدم ساعتين · ومن هنا أصبحت الطريقة الوحيدة لمعرفة الساعة أن أتابع ساعة راديو السجن · ويحدث أحيانا أن ينسى السجان النوبنجى فتح الراديو فأتصور أن الساعة هى الخامسة صباحا بينما هى فى الواقع الثامنة صباحا · ولقد حدث مرة أن استيقظت من النوم على أننى فى الصباح ، ثم اكتشفت بعد ذلك أننى لا أزال فى منتصف الليل !

والاذاعة تجعلنى أعيش مع أصدقائى ومعارفى وتلاميذى · وربما أكون المسجون الوحيد فى العالم الذى يسمع صوت أصدقائه فى الاذاعة باستمرار ·

اننى أسمع صوت أنيس منصور باستمرار · أصبح القاسم المشترك فى جميع البرامج وفى برنامج المرأة وفى برنامج الادب وفى برنامج الفن وفى برنامج القصص ·· حتى أصبحت أدهش اننى لا أسمعه فى برامج الاطفال · وسمعت صوت سعيد فريحة وهو يتحدث فى الاذاعة عن المرأة ويتغنى بها وبجمالها وسحرها وعظمتها حتى خشيت أن تكون امرأة ما ضربته «مقلبا» ! وأسمع باستمرار صوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وشادية . ومن وقت لآخر صوت موسى صبرى وكمال الطويل واحمد رجب وكمال الملاخ وجليل البندارى · وكأننا نتعشى معا عندى فى ليالى الاربعاء والسبت من كل أسبوع أو نتغدى على مائدتك يوم السبت · ويحدث أحيانا أن يجىء سجان نوبتجى له مزاج فنى خاص فيفتح الاذاعة اذا غنى فريد الاطرش ويغلقها اذا غنى عبد الوهاب · أو يفتح الاذاعة فى حديث الاطفال ويغلقها فى نشرة الاخبار !

اننى أمضى وقتى فى قراءة الصحف الاجنبية · أتابع التجديدات المستمرة فى جريدة التيمس ، وأعتقد أنه اذا استمر التجديد فانها ستصل الى المليون نسخة فى خلال هذا العام ، مع أننى علمت أن هدفهم هو الوصول الى نصف المليون · وأجد التيمس أحسن ألف مرة من الديلى تلجراف ترتيبا وتبويبا واخراجا وصحافة · ومضت على مدة طويلة لم أقرأ الديلى اكسبريس ولا

الديلي ميل ولا نيوز أوف ذاورلد وغيرها من الصحف الشعبية ٠ ولا تعجبني جريدة « الاوبزرفر » في الوقت الحاضر ، ولكن تعجبني جريدة «السانداي تيمس ، انها تنطلق كالصاروخ ٠ الاوبزرفر تحاول أن تكسب عقول القراء ، والسانداي تيمس تحاول أن تكسب العقول والقلوب ٠ انني أجد في بعض الاحيان مواضيع ممتازة في جريدة « الاوبزرفر » ، ولكن أرى في كل عدد من السانداي تيمس صحافة وحيوية واندفاعا الى الامام ٠٠ ولهذا فانني أتوقع أن تكسب السانداي تيمس السباق ٠

وقد رأيت التجديدات الجديدة في جريدة «الاخبار» فلم تعجبني ٠ انها عودة بالصحافة الى القرن التاسع عشر ٠ الذي ينقص صحفنا هو الحرية ٠ ومهما فعلنا فيها وهي مكممة فهو أشبه بواضع زهور جميلة على جثة ميت ! صحافة مصر لن تعود الى الحياة الا اذا عادت الى الحرية ٠ عندما زارني هيكل قال لي أنه حقق في بناء الاهرام الجديد أحلام علي أمين ٠ والواقع أنني لاحظت أن كل مشروعاتنا في مبنى « أخبار اليوم » الجديد نقلها هيكل الى مبنى الاهرام الجديد ٠ وفي رأيي أن هيكل بنى هرما كبيرا ليدفن فيه الصحافة ! فصحافة مصر ليست في حاجة الى بناء جديد وانما في حاجة الى حياة جديدة ٠٠٠ الى حرية جديدة !

ولكن هيكل يتصور أن الصحافة المصرية في حاجة الى طوب أكثر مما هي في حاجة الى حرية ! وقال هيكل أنه سينقل الى مبنى الاهرام الجديد في مارس ٠

كتبت لي ابنتي رتيبة أنك أرسلت لها حذاء « بوت » اسود ٠ وقالت أن « البوت » ـ وهو يظهر لأول مرة في مصر ـ سبب لها مشاكل كثيرة ، فأينما ذهبت أوقفها الناس وسألوها من أين أتيت به ٠٠ حتى وسط الشارع ٠ ولاشك أنه يسرك كعم « محافظ » أن تعرف أن الناس لا تنظر الى وجه ابنة أخيك وانما تنظر الى حذائها !

ان الاخبار السارة التي تتوقعها في رسائلك ، وفي رسائل أصدقائي وتلاميذي عن قرب الافراج عني لا أصدقها ، انني لا أتوقع أن أخرج من هنا الا اذا شممت رائحة الحرية ، وما أشمه حتى الآن هو رائحة الاستبداد ٠ لا أصدق أن العدل يمكن أن يخصني وحدي بينما الظلم يشمل كل الناس ٠ لا أتصور أن اليد

التى أغلقت باب الزنزانة يمكن أن تفتحهـا . لا أتصور أنه فى امكان انسان واحد أن يقوم بدور « عشمـاوى » الذى ينفذ حكم الاعدام والطبيب المولد في وقت واحد ... ومع ذلك فان هـذه الانباء المتواترة تجعلنى ألغى عقلى وأعيش فىقلق . كلما سمعت في الليل صلصلة المفاتيح فى يد الشاويش تصورت أنه جاء ليفتح باب زنزانتى ويفرج عنى . وأنصت بشدة ، ويخفق قلبى ولكن أقدام الشاويش لاتلبث أن تغيب ، وصوت صلصلة المفاتيح يموت فى هدوء الظلام . ولست أعرف هل أنا أخدع نفسى ،أمالانباء تخدعنى . ان فى كل خطاب من خطاباتك رائحة التفاؤل ، أكاد أشمها فى كل صفحة ، وفى كل سطر . وأحاول أنأعرف مبعث هذا التفاؤل فلا أجد . ان ذكائى لم يدخل معى الى السجن . يبدو أننى تركته مع ما تركته خارج السـجن . أحيـانا أتصور أن تفاؤلكم هو نوع من المخدر ليستطيع المريض أن يتحمـل عملية السـجن . ولـكن لا أكاد أفيق من هـذا المخـدر ، حتى يجىء كلوروفورم جديد . ان كل شىء حولى متفائل ، ولكنى أشـبه بالاطرش فى الزفة . وبعض زملائى هنـا يتصورون أننى أخفى خبرالافراج عنهم ، والله يعلمأنهم يعرفون أكثر مما أعرف . وفى بعض الاحيـان أتشـبه بجحا الذى قال للاولاد أن هناك فرحا فى شارع آخر ، فجروا اليه ، واذا به يجرى معهم ! وعلى كل حال فالجرى الى الافراح لذيذ ، حتى اذا لم يكن هناك فرح على الاطلاق . ومع ذلك أجد نفسى دون أنأدرى أعيش فىجوالتفاؤل ، وأتصور أننى تركت جحيم السجن الى جنة الحرية . وهكذا أحيا فى حلم وردى وأكاد أنسى باب الزنزانة المغلق ، وقضبان النوافذ الحديدية وزئير الابواب الضخمة وهى تقصف . ما أقـدر الانسان : أنه يستطيع أن يحول الآهات الى أنغام ، والانين الى زغاريد ، ويلون اللون الاسود بألوان الصباح البهيج . اننا نهرب من واقعنا الى أحلامنا . ان هذه الاحلام هى مخابىء ، تحمينا من القنابل الذرية والهيدروجينية . وأن أوهامنا تصـبح أكسير الحياة ونحن ننسى عندما نشربها ونسكر منها أننا نحن الذين صـنعناها . أنا مثلا أشفق على زملائى المسجونين هنا أن أكشف لهم عن تشـاؤمى ، وأتظاهر بأننى أسير معهم فىموكب التفاؤل ! أنا أخفىعنهم أننى أعرف عبد الناصر أكثر كثيرا مما يعرفه الـكثيرون . أعرف أنه

سريع جدا في الامر بالقبض على الناس ، وبطىء جدا في الامر بالافراج عن الناس . أنه يتصور أن القبض علامة القوة والعنفوان والافراج علامة الضعف والهزال !

وكم حاورته وناقشته في الافراج عن بعض الناس . فاذا به يقول أنه يخشى اذا أفرج عن هذا الشخص أن يقول الناس انه خضع لضغط ، أو أنه يخشى شيئا .. أما اذا ملأ السجون بالناس فهذا سوف يقوى صورة الحكم في أذهان الناس .

لاحظت كثيرا أنه يفضل أن يبدو مرهوبا ، على أن يبدو محبوبا . كثيرا ما قال لى أن الشعب لا يحترم الا الحاكم القوى ، ويستهين بالحاكم الطيب ..

وأذكر أنه استدعاني عقب انفصال سوريا وسألني عن رأيي فيما يجب أن نفعله .

قلت له ان من رأيي أن يمنح الشعب المصرى الحرية والديمقراطية وحرية الصحافة . وأن هذه الاشياء لا يمكن أن تمنحها حكومة الانقلاب في سوريا للشعب السورى ، فاذا رأى الشعب السورى بعد الانفصال أن الشعب المصرى أصبح يحكم حكما ديمقراطيا ثار على حكم الانفصال ، وطالب بالديمقراطية ، واقتلع حكم الانفصال الديكتاتورى . وقلت له أن من رأيي الافراج عن المسجونين السياسيين والغاء المعتقلات .. فقال لى الرئيس غريبة! أنني قابلت قبلك عشرة من رجالي وكلهم أشاروا على بأن ألجأ الى العنف في مصر .. وأخرج الرئيس عبد الناصر من درج مكتبه تقريرا من المخابرات بأن شابين من عائلة البدراوى وسراج الدين شربا في نادى الجزيرة نخب انفصال سوريا .. وقال أنه قرر القبض على جميع أفراد أسرة البدراوى وسراج الدين وجميع رجال الوفد والاحزاب القديمة .

قلت له أنه ليس من رأيي أن يأخذ الكبار بذنب الصغار !

قال : اذا لم ألجأ الى العنف فسوف يفكر بعض المصريين في عمل انقلاب كالذى حدث في سوريا .. ولابد أن أضرب بشدة حتى يدخل كل هؤلاء الى الشقوق .

وتركني الرئيس عبد الناصر نصف ساعة أدافع عن رأيي بأننا نربح بالحرية أكثر مما نربح بالاستبداد ..

ولم يقاطعني ، حتى شعرت أنه اقتنع بكلامي .

وانصرفت من بيته الى مكتبى فى أخبار اليوم ٠

وعند منتصف الليل اتصل بى محررو أخبار اليوم يقولون لى أنه تم القبض على عدد كبير من أفراد أسرة البدراوى وسراج الدين ومن الوفديين ومن أعضاء الاحزاب القديمة ٠ وعندئذ تأكدت أن عبد النـاصر من السهل اقناعه بالقبض على النـاس ومن الصعب اقناعه بالافراج عنهم ٠

وهذا يجعلنى لا أصدق الاشاعات التى تؤكد أن تغييرا سيحدث فى أسلوب الحكم ، وأن أغصان الزيتون سترتفع بدلا من السياط !

اننى أفهم تمـاما عقلية الذين حول الرئيس ، وأتصـور أنهم يقولون له الآن : لو كنا شنقنا ألف مصرى لما حدثت هـزيمة ٥ يونيو !

هؤلاء لا يمكن أن ينصحوا بالافراج عن المسجونين السياسيين أو يطالبوا بالغاء المعتقلات ٠

انهم سينصحون بالشدة كما نصحوا بعد انفصال سوريا ٠

العدالة تدخل الزنزانة !

٣٠ يناير سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

زارنى هيكل • سألنى رأيى فيما يجب أن يفعل الرئيس جمال عبد الناصر بعد الهزيمة وبعد انتحار المشير عبد الحكيم عامر • قلت أن من رأيى أن يفتح صفحة جديدة • أن يعوض الشعب عن هزيمته العسكرية بانتصار داخلى • أن يعلن انتهاء حكم الفرد وبداية حكم الشعب • أن يحل مجلس الامة ويجرى انتخابات حرة • أن يسمح بعودة الاحزاب وأن يسمح بقيام معارضة فان البلد تعتقد أن ماجرى لنا سببه انعدام الديمقراطية والشورى • وأن يفرج عن المسجونين السياسيين والمعتقلين ويصفى المعتقلات ويلغى الحراسات ، ويضمد جراح الناس ••• ويلغى الرقابة على الصحف • وابتسم هيكل ، وشعرت أن كلامى لم يعجبه ، وأن ماأطلبه هو « انقلاب » ••• بينما المطلوب هو « اصلاح » فقط !

وفهمت أن الاتجاه هو اعطاء الشعب حرية بالقطارة ••• وأن هناك من يرى أن الحل هو الاتجاه الى العنف أكثر • ودهشت أن أصحاب الآراء التى أدت الى الكارثة التى نحن فيها لا يزالون موجودين ، وأنهم لم يتعظوا من الدرس القاسى ، وأنهم يريدون أن يداووها بالتى كانت هى الداء •

وفهمت من هيكل أن الاتجاه كذلك هو أن تقتصر قضية صلاح نصر على اشتراكه فى انقلاب المشير عامر ضد الرئيس عبد الناصر ، وفى انحراف المخابرات فى شأن مئات الالوف من الجنيهات التى أنفقها من مال الدولة على الغانيات والعشيقات ، وعلى لياليه

الحمراء ، وعلى بعثرة أموال الشعب لكي يعيش هو وعصابته كما كان يعيش هارون الرشيد فى قصة ألف ليلة وليلة ، وقال أن الرأى متجه الى أن يحاكم شمس بدران عن جريمة محاولة القيام بانقلاب في وقت يحتل فيه العدو أرض الوطن ٠

وقلت لهيكل أنه يجب أن يحاكم صلاح نصر وشمس بدران وحمزة البسيونى عن جرائم التعذيب ، وأن هذه الجرائم ضد الشعب وضد الانسانية وضد العدالة ، وهى فى رأيى أخطر من صرف الاموال على الغانيات ، أو محاولة القيام بانقلاب ٠٠٠ ان الشعب يهمه أن تظهر الثورة براءتها من هذه الجرائم ، وخاصة أن صلاح نصر وشمس بدران يقولان فى السجن أن كل ما فعلاه انما فعلاه بأوامر من الرئيس جمال عبد الناصر ٠ بل ان حمزة البسيونى المعتقل الآن فى سجن القلعة يقول لزملائه المسجونين أنه كان ينفذ الاوامر !

وقلت له تأكد يا هيكل أن التاريخ سوف يسجل جرائم التعذيب ، وقال هيكل أن المسئولين يرون أن اثارة قضايا التعذيب سوف تسيء الى العهد ، وأنه يكفى الاقتصار على قضية تعذيب الدكتور الشرقاوى ٠ وذكر أنه لا يعتقد أنه سيصدر فيها حكم ، وأن بعض المسئولين هاجموه لانه نشر فى الاهرام تفاصيل تعذيب الدكتور الشرقاوى ٠

وعدت وقلت له أن من رأيى أن تفتح قضايا التعذيب كلها ٠

ولم يوافقنى هيكل على رأيى ، وفهمت منه أن هناك من يعارض بشدة فى التحقيق فى أى قضية تعذيب ٠

وذكر لى هيكل أن الرئيس كان قد قرر الافراج عنى فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ ولكن نكسة ٥ يونيو اضطرته لتأجيل اصدار هذا القرار ، ولكن هذا القرار جاهز ومؤكد ٠

ولم أعلق على هذا النبأ ولم أصدقه وعدت أطالبه بأن يبلغ الرئيس رأيى بأنه لابد من التحقيق فى قضايا التعذيب ٠

ووعدنى بأن يبلغ رأيى للرئيس ٠٠

وعلى كل حال سواء قبلوا رأيى أو رفضوه ، فانني مؤمن بأن الصباح لابد أن يجيء ، وسوف تفتح الصحف ذات يوم فتجد عناوين ضخمة بالخط العريض تقول : « التحقيق فى قضايا التعذيب » •

ويومها سنرفع عيوننا الى السماء شاكرين الله الذى يظهر الحق ، حتى ولو حاول خصوم الحق أن يخفوه فى التراب •

لقد قلت لهيكل أننى أعتقد أن الرئيس جمال عبد الناصر والثورة والبلد كلها سوف تستفيد كثيرا من كشف الحقائق • وأومن أنه اذا عرفت الحقيقة كلها ، واذا اتخذت اجراءات فعالة لرفع الظلم عن الذين ظلموا ، واذا اتخذت اجراءات صارمة لكيلا تتكرر هذه الجرائم ، فان بلادنا سوف تخرج من هذه الهزيمة منتصرة ومرفوعة الرأس ، وسوف نستطيع يومها تنقية الثوب الابيض من البقع السوداء ••

ولكن هيكل فيما يبدو لم يكن مقتنعا بهذا الرأى •

★★★

ان زنزانتى تغلق على الآن ١٨ ساعة كل يوم • لا يسمح لنا بالفسحة • جاءت أوامر من الوزارة بالتشديد على المسجونين السياسيين لمناسبة ٥ يونيو • أصبحوا يفتشون زنزانتى باستمرار يراقبوننى باستمرار • خطاباتى تفتش ، ويحاولون أن يقرأوا ما بين السطور •• اننى لم أشك ولم أعترض ، بينما أنا أكتب هذه السطور اليك دخل مقبل شاكر رئيس نيابة حلوان فى جولته الشهرية التى يقوم بها لتفقد السجن ، ومعه الضابط هانى الغنام •

وفوجئت به يسألنى : هل لديك شكوى ؟

قلت : نعم • اننى موضوع فى زنزانة مكتوب عليها ملحق مستشفى السجن ، ومع ذلك تغلق على الزنزانة ١٨ ساعة كل يوم • وهأنتذا ترى أن الوقت الوحيد الذى تظهر فيه الشمس فى هذا المكان هو الوقت الذى يغلقون فيه باب زنزانتى وأنا

مريض بالروماتيزم وفى حاجة الى بعض الشمس · وفى الزنزانة التى بجوارى الاستـاذ حسن الهضيبى المرشد العـــام للاخوان المسلمين والمستشارالسابق بمحكمة النقض والابرام ، وعمره ٧٦ سـنة ، وهو مريض جـــدا ، والمفروض أن نوضع فى مستشفى السجن ، ولكن صلاح نصر عندما كان مديرا للمخابرات العـامة أمر بأن نوضع فى زنازين يكتب عليها « ملحق بالمستشفى » ·

وسألنى رئيس النيابة مقبل شاكر : هل عذبت ؟

قلت : نعم · تعذيبـا لا يخطر لك على بال · وكل الذين معى فى هذا الطابق عذبوا مثلى وأكثر منى ···

ورويت له ما تعرضت له من تعذيب ·

قال رئيس النيابة : اننى مستعد أن أثبت هذا فى تقريرى ·

قلت : اننى طلبت من محامى تقديم بلاغ الى النائب العام ·

قال : اننى سأحضر بعد شهر ، ويمكنك فى أى وقت تطلبنى لأسمع أقوالك فى التعذيب ·

هذه أول مرة تدخل فيها العدالة الى زنزانتى !

البحث عن الأخبار في باب حظك اليوم!

أول فبراير سنة ١٩٦٨

أخي العزيز

انتظامك في الكتابة يسعدني في زنزانتي . صحيح أن الخطابات تتأخر . ان ماتكتبه في يناير أقرؤه في فبراير الا أن هذا التأخير لا يقلل من أهمية خطاباتك لي . حروف خطاباتك هي أنفاسك التي تدفيء روحي . كلماتها هي الموسيقى التي أسمعها . ورقها هو شخصك الذي ألمسه بيدي . أنا مسرور أنك أصبحت تكتب بيدك بدلا من الآلة الكاتبة . أصبحت الحروف مقروءة . لم أعد في حاجة الى انتظار شروق الشمس حتى أتبين الكلمات على ضوء شعاعها . الذي ينقصك الآن أن تكتب سطرا وتترك سطرا . وخاصة أن الكثيرين يقرأون خطاباتك ويحسن أن تشفق على عيونهم . اللهم الا اذا كنت تريد أن يزيد الاقبال على أطباء العيون وبائعي النظارات ! ستدهش اذا علمت أنهم قبل أن يسلموا الخطاب الى يطبعون منه ١٧ نسخة ، ويرسلون نسخة من خطابك الى الرئيس عبد الناصر ونسخة الى سامي شرف ونسخة الى مدير المخابرات ونسخة الى مدير المباحث ونسخة الى وزير الاعلام ونسخة الى هيكل والى ١١ موظفا كبيرا .. وأنا أقرأ خطابك بعد أن يقرأه هؤلاء جميعا . خطابك المؤرخ ٢١ ديسمبر وصلني في ١٤ يناير . ومع ذلك فقد كان جديدا . أشبه برغيف ساخن خرج مباشرة من الفرن . ولهذا التهمته التهاما . لاتتضايق من تأخير خطاباتي لك . ان عملية تهريبها من هنا عملية شاقة مضنية . فلا تتضايق اذا هنأتك بعيد الفطر فوصلت اليك التهنئة في عيد الاضحى . أو

اذا أرسلت لك تهنئة بعيد ميلادنا فى ٢١ فبراير فوصلت اليك في عيد المسيح فى ٢٥ ديسمبر !

أهم أخبارى أن موسم البرد قد انتهى والحمد لله · والبرد عدو لدود لساكنى الزنازين ·

المهندس الذى بنى ليمان طره لم يقصد أن يبنى سجنا ، وانما قصد أن يبنى أكبر ثلاجة فى العالم ! أو أن الفكرة أن المسجون يجب أن يرتعش أمام السجان ، ولهذا فان البرد يجب أن يجعله يرتعش باستمرار . وعندما ينتهى موسم البرد القارس يبدأ موسم الذباب والناموس وكل أنواع الحشرات ، وهكذا لا نودع مصيبة حتى نستقبل كارثة ·

لا تزال خطاباتك مليئة بالتفاؤل عن قرب الافراج عنى · وأخشى أن يكون أنفك الصحفى معتمدا على ما قاله لى هيكل أمام سعيد فريحة عندما زارنى فى الليمان · كان ذلك يوم ١٧ ديسمبر وقد مر الآن شهران · قال هيكل لى يومها « أقسم بشرفى أن الرئيس سيفرج عنك فى خلال ثلاثة شهور ·· » وها نحن دخلنا الشهر الثالث · وأقول لنفسى أن صاحب هذا الوعد نفسه قال لى وأنا مسجون فى سجن الاستئناف « الريس طلب منى أن أؤكد لك أنك لن تدخل السجن يوما واحدا ، وانك ستنقل الى مستشفى خاص هو مستشفى الكاتب » ··· وقال هيكل أنه تحدث مع الدكتور عبدالله الكاتب شخصيا فى هذا الموضوع · وأن الدكتور الكاتب رحب وقال أنه سيخصص جناحا فى مستشفاه لى · وبدلا من أن أدخل مستشفى الكاتب دخلت ليمان طره . وفى ليمان طره زارنى عقب دخولى مباشرة وقال لى « الريس طلب منى أن أبلغك أنك لن تبقى في الليمان سوى شهر واحد وبعد ذلك سيفرج عنك» وقد مضى على فى الليمان سنة وسبعة شهور !

ولا أعرف ماذا يقصد هيكل بهذه الاخبار الكاذبة ؟ هل هو الذى يكذب ؟ أم أن الروس وأصدقاء الروس هم الذين يضغطون لمنع قرار الافراج ؟ هل المقصود هز أعصابى وتحطيمها فيرفعونى الى سماء التفاؤل ثم يهبطوا بى الى حضيض الواقع ..

وهل هذا نوع من التعذيب ؟

والمسجونون يقرأون الصحف ، يبحثون فيها عن أخبار الافراج ، فاذا لم يجدوا شيئا فى السطور بحثوا بين السطور ، فاذا لم يجدوا شيئا بين السطور بحثوا بين الحروف ، فاذا لم يجدوا هذا راحوا يستنتجون الفرج من أى خبر . فاذا قرأوا أنه أفرج عن المسجونين السياسيين فى العراق تصوروا أن هذا لابد أن يحدث فى مصر . واذا قرأوا أن مجلس الوزراء سيجتمع فى الغد تخيلوا أنه سيبحث مسألة الافراجات . واذا لم يروا شيئا فى الصحيفة سوى أن لجنة الزراعة فى مجلس الأمة اجتمعت توهموا أنه لا بد أنها ستبحث مسألتهم لان أغلب المسجونين من الفلاحين أو أبناء الفلاحين !

وأجد نفسى فى موقف سيىء . فأنا لا أستطيع أن أجعلهم يهدمون القصور التى بنوها فى الهواء ليعودوا الى سكنى الزنازين، ولا أستطيع أن أتركهم معلقين فى الهواء ، فيسقطوا من أوهامهم الى هاوية الحقيقة ، فأتركهم يعيشون فى خداع النفس راجيا أن تتحقق الاحلام .

ومن الغريب أن بعضهم يقرأ باهتمام بختى فى باب البخت فى جريدة الاهرام ، وبعض السذج منهم يتصور أن « تلميذى المخلص ! » هيكل يكتب لى يوميا تحت بختى الاخبار التى تهمنى .. فاذا جاء يوم قال بختى «موضوع هام يحققه لك صديق مخلص» استنتجوا من ذلك أن موضوعى تحت البحث وأنه سيتم قريبا ! واذا قرأوا انتظر أخبارا سارة ، فرحوا وهللوا واعتقدوا أن الافراجات

أصبحت على الابواب · واذا قال البخت « عقاب فى طريقك ··· اصبر » وجموا ، واصفرت وجوههم ، ووضعوا رؤوسهم منكسة بين أيديهم ، واستنتجوا أن هناك عقبات فى طريق الافراج ·

★★★

التعساء يبحثون دائما عن ثغرة فى الظلام يدخل منها شعـاع الشمس ·

فاذا لم يجدوا الثغرة ، أغمضوا عيونهم ، وتوهموا أن الليل قد انتهى وطلع النهار ·

الفرق بينى وبينهم أننى أعرف أن النهار لابد أنيطلع ، ولكن ليس فى باب « حظك اليوم » المنشور فى الصحف والمجلات ·
ربما تجده فى صفحة الوفيات !

٥

مجلس الأمة فى الليمان

١٥ فبراير سنة ١٩٦٨

عـــزيزتى ..

قيل لنا أن عددا من من أعضاء مجلس الأمة ، ومعهم وزير العدل ووزير الداخلية ، سيزورون ليمان طره . صـــدرت الاوامر بأن تدهن الجدران . فرشوا الارض بالرمل الاحمر . وزعوا على كل مسجون بدلة جديدة وقميصا وطاقية . أسرعوا يحضرون سراير لمرضى المستشفى فى الدور الرابع فى عنبر واحد ، بعد أن بحت أصواتهم سنوات من طلب « مرتبة » بلا مجيب ، فقد كان هؤلاء المسجونون السياسيون المرضى ينامون على البلاط ! لم يصرف للمسجونين نصيبهم فى الكانتين ، وذلك حتى يجىء أعضاء مجلس الامة فيجـدوا رفوف الكانتين مليئة بالبضـائع ! أوقف توزيع خطابات المسجونين لان المشرفين على توزيع البريد كانوا مشغولين فى عملية التنظيف والتجديد . أصبح كل شىء يلمع فى الليمان . من الخارج فقط طبعا !

بروفات لغرفة مسرح العرائس المكونة من المسجونين ، والتى سيقال كذبا للنواب بأن المسجونين يستمتعون بها باستمرار ، مع أن الحقيقة أن مسجونا سياسيا واحـدا لم يشـهد هذه العرائس مرة واحدة .

بروفات بالليل والنهار لفرقة الموسيقى التى ستعزف للنواب ، سوف يقال للنواب كذبا أنها تشنف آذان المسجونين باستمرار ، مع أن المسجونين المساكين لا يسمعون باستمرار الا صوت الضرب والصراخ والانين يتعـالى من عنبر التأديب . أوامر مشـددة بأن ينظف المسـجونون الزنازين والاحواش والممـرات لان العقليـة

البوليسية تعتقد أن الدولة مهتمة بالنظافة المظهرية أما الوساخة من الداخل فهى مسألة لا تستحق الاهتمام ·

فرح المسجونون جميعا بالزيارة · تصور مسجونو المخدرات أن اللجنة البرلمانية جاءت تسمع شكواهم · تصور المسجونون السياسيون أن اللجنة جاءت لتحقق قضايا التعذيب · تصور الفلسطينيون المسجونون أن اللجنة جاءت لتصدر العفوعنهم ، بعد أن فقدوا بيوتهم فى الحرب سنة ١٩٤٨ ثم سنة ١٩٥٦ ثم فى سنه ١٦٦٧ ·

تصور عساكر الليمان أن اللجنة جاءت لتحقق فى تفاهة مرتباتهم ، فان مرتب الواحد منهم ١٤ جنيها فى الشهر وعنده سبعة أو ثمانية أولاد · تصورت مصلحة السجون أن النواب جاءوا ليشاهدوا البط الذى يربيه الليمان ، والصابون الذى يصنعه السجن · وتصور المسجونون الذين يقومون بكسر الاحجار فى الجبل أن النواب جاءوا ليلغوا هذا النوع من الاشغال الشاقة الذى لم يعد له مثيل فى سجون العالم المتمدين ، بعد أن نشرت الصحف منذ عشر سنوات أن هذا العمل غير الانسانى ألغى من عقوبة الاشغال الشاقة ، ثم تبينت بعد دخولى السجن أنه ألغى على صفحات الصحف فقط ! وتصور المسجونون الذين ينامون على الارض بأن النواب سيأمرون بأن يناموا على سرير ، أو على مرتبة على أقل تقدير ! وترددت اشاعات بين المسجونين ، اشاعة تقول أن اللجنة التى ستزور السجن هى لجنة تقصى الحقائق ، وأنها جاءت لتعرف ايرادات مزرعة البط فى الليمان · واشاعة تقول أنها لجنة الدفاع عن الحريات وأنها ستبحث جرائم صلاح نصر وشمس بدران فى التلفيق والتعذيب ، واشاعة تقول أنها لجنة الداخلية وأنها جاءت لترى ما يجب اختصاره من ميزانية السجون · واشاعة أخيرة تقول أنها لجنة العدل ، وأن كل عضو سيجىء ليأخذ مجانا خمسة كيلو صابون وبطتين !

ثم قيل أن النواب لن يقابلوا أحدا من المسجونين · وأذاع مدير الليمان فى أذاعة السجن آمرا للمسجونين بألا يقدموا للنواب

أى شكوى ، لانه « مالهمش دعوى » وأنه مستعد أن يتسلم أى شكوى ...

ومر الضباط على المسجونين السياسيين يقولون لهم أن الاوامر صدرت بمنع أى صوت يرتفع أثناء زيارة اللجنة . وهاج المسجونون فقيل لهم أن الادارة ستختار ستة من المسجونين يقابلون اللجنة بالنيابة عن المسجونين ، ثم قيل أن مصلحة السجون لم توافق على هذه الفكرة ، وأن الوزارة أمرت بألا يقابلوا أحدا .

وكنت على ثقة بأن اللجنة لن تقابل أحدا . وضعوا على المسجونين حصارا كاملا . ووضعوا برنامجا يجعل النواب لا يرون أى مسجون سياسى .

وجاء يوم الاربعاء الماضى ، وهو يوم الزيارة ، ومشى كل شىء بنظام عسكرى دقيق ثم حدث أن أصيب جارى الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين بنزيف حاد فى الصباح .

ووقع الجميع فى ورطة . أن الرجل نزف فى الوقت غير المناسب . ألم يجد وقتا ينزف فيه الا يوم الزيارة الميمونة ؟
وقرر الاطباء ضرورة نقله على نقالة الى مستشفى السجن لاجراء الاسعافات اللازمة فورا .

ولكن ما العمل اذا رأى النواب حسن الهضيبى فوق نقالة ؟ سيعرفون أن رجلا فى السادسة والسبعين من عمره وضع فى زنزانة عادية يغلق عليه بابها ١٨ ساعة كل يوم ، ورفض وزير الداخلية وضعه فى مستشفى السجن على الرغم من أمراضه العديدة حتى حدث له ما حدث .

وزادت حيرتهم . لو تركوه فى زنزانته فقد يموت فى أثناء الزيارة وتصبح فضيحة . وسيقال يومها أن الهضيبى مات بسبب انشغال ادارة السجن فى استقبال النواب .

وأصر الاطباء على ضرورة نقله فورا . وتم نقله فوق نقالة بسرعة مذهلة وغطوه بملاءة بيضاء حتى لا يراه النواب اذا تصادف وصولهم فجأة أثناء عملية النقل . ووضعوه فى غرفة بعيدة فى الطابق الثانى من المستشفى وألغوا زيارة النواب للطابق الثانى كله .

ثم وصل النواب ، وصحبهم وكيل وزارة الداخلية وكبار موظفيها ومدير مصلحة السجون ، وذهبوا الى المستشفى ، وتفرجوا على الدور الارضى وأتخذت الاحتياطات لكيلا يصل نائب الى الطابق الثانى ، وهكذا لم ير أحد الهضيبى المذبوح وهو ينزف دما ٠

وتنفس المسئولون الصعداء ٠

ثم دخلوا عنبر التأديب ، ولكنهم لم يدخلوا عنبر الايراد ، لقد كان فيه ١٨٦ مسجونا سياسيا من الذين عذبوا وضربوا بالسيلط ونهشتهم الكلاب فى السجن الحربى على أيدى شمس بدران وحمزة البسيونى ٠ كان كل ثمانية منهم ينامون فى زنزانة مساحتها متران فى ثلاثة أمتار ! مضى على كل واحد منهم ثلاث سنوات لم ير أولاده أو زوجته أو أمه لانهم محرومون من الزيارة ، ومحرومون من تلقى الرسائل أو من كتابة الرسائل ، ومحرومون من الحق الذى يستمتع به القاتل وهو يشترى حاجاته من الكانتين فى حدود خمسة جنيهات !

وكانت وزارة الداخلية فى اليوم السابق للزيارة أرسلت اللوريات الى السجن لنقل ٨٦ مسجونا سياسيا الى سجن القناطر ، خشية أن يصر نائب فضولى على دخول عنبرهم فلا يرى فضيحة علبة السردين التى هى زنازينهم ، ويرى آثار التعذيب البشعة ! ولكن من حسن حظ المسئولين فى السجن أنه لم يكن بين النواب نائب فضولى واحد يصر على دخول عنبر الايراد ٠

وعاد المسئولون يتنفسون الصعداء ٠ بعد أن اجتازت اللجنة بسلام هذه المنطقة الشائكة المليئة بالالغام ٠

ثم اتجهوا الى عنبر واحد ، حيث يوجد المسجونون السياسيون فى الطابق الرابع ، وأنا معهم ٠ وأسرع الضباط والحراس يدخلوننا الزنازين ، ويغلقونها بالمفاتيح حتى لا نرى أحدا ولا يرانا أحد ٠

ودخل النواب الى حوش الطابق الأول ، وتطلعوا الى الابواب المغلقة ثم أداروا ظهورهم ، وهنا صاح معتوه من سجن المخدرات :

ـ « عايز بطيخ » :

وأمر مدير مصلحة السجون أن يفتح له باب الزنزانة ، وأن ينزل لمقابلة النواب وأعطاه أحد النواب خمسة جنيهات ، فدعا للبرلمان بطول البقاء !

ومال أحد كبار موظفى الداخليـة على النواب وقال لهم « كل المسجونين كهذا المسجون » ٠

وفهم النواب أن كل المسجونين يطلبون بطيخا ، ولا أحد منهم يريد حرية أو عدالة أو تحقيقا فى جرائم التعذيب ٠

وخرج النواب من البوابة الحديدية لعنبر واحـد وتنفس مدير مصلحة السجون الصعداء ، وقال : الحمد لله خرجنا من عنبر واحد بسلام فقد كان من رأى المسئولين جميعا أن عنبرنا هذا هو العنبر المفروش بالالغام ، ولكن لم ينفجر أى لغم والحمد لله ٠

وخرج النواب الخمسة والعشرون ، ولم يقابلوا مسجونا سياسيا واحدا من ضحايا صلاح نصر أو حمزة البسيونى أو شمس بدران ٠

ثم ذهب أعضاء مجلس الأمة الى مزرعة البط ، وكانت الاوامر قد صدرت قبل ذلك بيوم بمعاملة البط معاملة المسجونين ، ولهذا أبقى المشرفون البط داخل حظائره ٢٤ سـاعة بغير طعام ، وبغير فسحة ، وما كاد النواب يصلون الى مزرعة البط حتى فتحت أبواب الحظائر ، وخرج البط يقفز ويرقص فى منظر رائع ، ولم يتصور النواب المتفرجون أن هذا الرقص والقفز هو نتيجة الجوع والحبس الطويل ، وأبدوا اعجـابهم بأن بط ليمان طرة تعلم كيف يرقص الباليه !

ثم تفرجوا على مسرح العرائس ، وعزفت لهم الموسـيقى أعذب الالحان ، وفى وسط هـذه الزفة تقـدم أحد المسجونين الى النائبة كريمـة العروسى وقال لهـا : مصطفى أمين محبوس فى الطـابق الرابع فى عنبر واحد ٠

ففتحت كريمة فمها فى ذهول وقالت : موش معقول !

ان المسكينة هى الاخرى كانت تصدق الاشاعة التى تؤكد أنه تم الافراج عنى من زمن طويل ، وتقدمت كريمة الى بعض الضباط وقالت : أريد أن أرى مصطفى أمين ٠

وبهت الضبـاط ٠ وأصرت كريمة ٠ وقالوا لهـا أنه يجب أن نستأذن المدير ٠

وأذن المدير ٠ وأراد الضباط أن تتم المقابلة فى مكتب المدير ٠ وأصرت كريمة على أن تذهب الى فى زنزانتى ٠ وقال لها أحد الضباط:

أصل عنبر واحد ملىء بالوحوش والقتلة والسفاكين وهذا خطر على حياتك ومايصحش • وأصرت كريمة • قال الضابط : ولكن مصطفى أمين فى الطابق الرابع ، وستتعبين من صعود السلالم • قالت كريمة : أنا مستعدة أن أصعد اليه فى الطابق العاشر •

وجاءت كريمة العروسى الى زنزانتى • قلت لها أننى فى دهشة أن يجىء ٢٥ عضوا من مجلس الأمة ليتفرجوا على البط ، بينما لا يقابلون المسجونين السياسيين الذين عذبهم صلاح نصر وشمس بدران وحمزة البسيونى •

ورويت لها بعض التعذيب الذى تعرضت له ، وآثاره على جسدى • فاقشعر بدنها ، وامتلأت عيناها بالدموع • ثم أحضرت لها مسجونا سياسيا آخر كووه بالنار ، ولا تزال آثار الحرق فى كل جسمه • ومسجونا ثانيا حطموا جمجمته • ومسجونا ثالثا نزعوا أظافره • وأدخلتها زنزانة مسجون حطم شمس بدران عموده الفقرى فأصبح عاجزا عن الوقوف على قدميه ، ومسجونا آخر أصيب بالشلل نتيجة التعذيب الوحشى ، فأصبحنا نحمله على كرسى ليذهب الى دورة المياه •••

وقالت كريمة أنها لن تسكت على هذا ستذهب الى مجلس الأمة ونطالب باعادة التحقيق فى كل القضايا التى لفقها صلاح نصر ، وفى المذابح التى حدثت فى السجن الحربى وباقى السجون ••

واعتبر المسجونون السياسيون دخول كريمة العروسى الى العنبر ومشاهدتها ضحايا جرائم التعذيب انتصارا ضخما على الذين أرادوا أن تكون زيارة الخمسة والعشرين نائبا عبارة عن زيارة البط وراح المسجونون يرقصون من الفرح لهذا الذى استطاعوا أن يحققوه !

ولكن ما حدث بعد ذلك كان لا يخطر على بال •••

عادت كريمة العروسى الى غرفة مدير الليمان ، فوجدت أعضاء مجلس الامة جالسين يشربون الشربات ، وتقدم منها أحد الضباط الكبار وقدم لها كوبا من الشربات وهو يقول :

ـ هذا شربات مصنوع فى الليمان •

ودفعت كريمة العروسى كوب الشربات بيدها وهى تصرخ :

ـ شربات ؟ أنا بعد الكلام اللى سمعته من مصطفى أمين ، وشوفته بعينى لازم أشرب سم ٠

ثم التفتت نحو أعضاء مجلس الأمة وصاحت فيهم :

ـ سيبوا الشربات ٠ وتعالوا شوفوا مصطفى أمين ٠ واسمعوا بآذانكم ٠٠٠ وشوفوا بعيونكم ٠

وانتفض النواب ٠ رموا أكواب الشربات من أيديهم ٠ أسرعوا يعدون كالمجانين الى عنبر واحد ، والضباط ، ووكيل الداخلية ومدير مصلحة السجون وكبار موظفى الداخلية وضباط المباحث يهرولون وراءهم !

وصعدوا درجات سلالم الطوابق الاربعة وهم يلهثون ٠

وسرى النبأ كالكهرباء داخل السجن ، قام السجن كله على قدم وساق ٠

المسجونون وقفوا متعلقين بقضبان زنازينهم يشاهدون وكيل الداخلية يجرى ، ومدير مصلحة السجون يعدو ٠ الحراس فى ذهول وهم يرون هذا الموكب الذى كان يمشى منذ دقائق فى تؤدة وجلال ووقار ، وقد تحول فجأة الى سباق فى العدو ٠ الضباط يمسحون عرقهم بمناديلهم فى شهر فبراير البارد ٠

الكل فى دهشة وذهول ٠ ماذا حدث ؟ ماذا جرى ؟ ما الذى أعاد كل هؤلاء الى عنبر واحد بعد أن انتهت زيارة العنبر ٠ صدرت الاوامر بدخول جميع المسجونين الى زنازينهم ٠ رفض المسجونون الدخول ٠ كان الضباط يأمرون الحراس بادخال المسجونين الى زنازينهم ويغلقون عليهم الابواب ، ولكن الحراس وقفوا كالاصنام ٠ تسمروا فى أماكنهم ٠ كأنهم فقدوا حاسة سماع الاوامر والتعليمات عندما رأوا الرعب فى عيون مدير المصلحة وكبار موظفى الداخلية ٠ أوامر المصلحة ماتت فى الدوى الكبير ٠ تعليمات مدير الليمان ماتت على شفتيه ٠ خرج كل شىء من أيدى المسئولين فى الليمان ٠ كأن المسجونين قاموا بانقلاب داخل السجن ، وتحول المسجونون الى سجانين وأصبح الضباط والحراس هم المذنبين ٠ كأن هذا الموكب الذى كان يعدو الى زنزانتى داس فى طريقه كل شىء ٠ داس على النظام الموضوع ٠ داس على الترتيبات العسكرية الدقيقة

التى أرادت أن يمشى النواب فى طابور دون أن يتجهوا الى اليمين أو اليسار . داس على مظاهر الاحتفال الرائع : فى لحظات لم يعد أى شىء يلمع فى السجن . الجدران التى كانت تتوهج بسبب الطلاء الجديد بهتت فجأة ، شحبت ، اصفر وجهها من الرعب . الرمل الاحمر اصفر هو الآخر ، أو لعله اسود من الخجل والكسوف . بينما عنبر واحد الذى كان فى سكون المقابر من دقائق ، ترمى فيه فيه الدبوس فتسمع رنينه ، عادت اليه الحياة .

وأراد النواب أن يدخلوا زنزانتى الضيقة . ولاحظت أن عددهم كبير . فهى لا تتسع الا لنائب واحد أو ثلاثة نواب محشورين ، ويبقى الآخرون خارج الزنزانة لا يسمعون ما أقول ..

قلت لهم : ان زنزانتى لا تكفيكم جميعا ! سأقابلكم فى الردهة أمام الزنزانة لتسمعوا كلكم ما أقول ...

واصطفوا جميعا حولى ، ووراءهم وكيل الداخلية ومدير مصلحة السجون ، ومدير الليمان ، وكبار ضباط المصلحة ، وضباط المباحث ، وضباط السجن ، وعدد من الحراس بينما تعلق المسجونون بقضبان نوافذهم ، واحتشدوا فى الممرات يتطلعون فى ذهول .

وتكلمت بصوت عال جهورى ، كان يدوى فى العنبر كله ، حتى أن المسجونين فى الطابق الارضى كانوا يسمعون ما أقوله فى الطابق الرابع .

قلت لهم :

ـ اننى كنت نائبا فى البرلمان لمدة خمس سنوات وأنا أعرف ما يستطيع البرلمان أن يفعله لمصلحة الشعب . ولقد دهشت عندما جاء ٢٥ نائبا من أعضاء مجلس الامة الى ليمان طره ، ليتفرجوا على البط ، وليشهدوا مسرح العرائس ، ثم لا يدخلوا زنازين المسجونين السياسيين . ان فى كل زنزانة هنا مذبوحا . أريد أن تدخلوا كل زنزانة لتروا ضحايا تعذيب صلاح نصر وحمزة البسيونى وشمس بدران . أحب أن تسمعوا بآذانكم وتروا بعيونكم آثار التعذيب . كل واحد منا عذبوه تعذيبا وحشيا . هدد بهتك عرض زوجته أو خطيبته أو بناته . خلعوا ملابسنا حتى أصبحنا عرايا كما ولدتنا أمهاتنا . صلبونا على الجدران ،

ضربونا ضربا مبرحا حتى يغمى علينـــــا · كانوا ينزعون بأظـافرهم شعر العانة · كانوا يربطون جهـازنا التنـاسلى بسلك كهربائى ويجذبوننا منه ، ويلفون بنا ويدورون فى غرف التعذيب ·

أناحدث لى كل هذا · هددونى بالاعتداء على عرض سكرتيرتى وبناتى أمامى · كانوا يديرون أشرطة فيها أصوات أطفال تصرخ وهم يضربون بالسيـاط · كانوا يمنعوننى من النوم عدة أيام · يمنعون عنى الماء فى أشد أيام شهر يوليو وشهر أغسطس حرارة عدة أيام · كانوا يتركوننا بلا طعام · وأخذونى الى السجن الحربى صلبونى · أطلق على حمزة البسيونى الكلاب البوليسية الهائجة تهاجمنى وتنهشنى !

أنا لا أريد أن أتكلم عن نفسى · أنا أستطيع أن أدافع عن نفسى · انما فى هذه الزنازين ألوف لا يستطيعون الكلام ، لا يستطيعون أن يفتحوا أفواههم ، لا يســتطيعـون أن يرفعوا أصــواتهم · ان واجبكم أن تفتحوا كل زنزانة · سترون فى كل زنزانة مذبوحا ، ذبحه صــلاح نصر وحمزة البسيونى وشـمس بدران · سترون بأعينــكم آثار الضرب والتعــذيب آثار الحرق ونزع الاظـافر · ستسمعون بآذانكم القصص البشعة عن التعذيب والتلفيق والظلم والارهاب ·

قال مدير الليمان : دى حاجه غريبة · هــذه أول مرة يشكو فيها الاستاذ مصطفى أمين · انه هنــا منذ عامين ، ولم أســمعه يشكو مرة واحدة !

ثم التفت مدير الليمان نحوى وقال :

ـ ألم أطلب اليك أن تشكو ؟

قلت : أنا لا أشـــكو لضباط · لقـد جاء وزير الداخلية الى زنزانتى وسـألنى الوزير : هل عندك أى شـكوى ؟ فقلت له : لا ·· متشكر ·· أنا لا أشكو ·

قال مدير الليمان : نعم حدث هذا أمامى ·

قلت : ولكن الآن أتكلم أمام نواب الأمة · أنتم ممثلو الشعب · اننى أضـــع فى رقبتكـــم هــذه المســئولية · أنا شـــخصيا عشت حيـاتى · انما الذى يهمنى حيـــاة وشرف وحرية وكرامة

وآدمية ثلاثين مليونا٠انكم اذا سكتم سيظهر فى كل يوم صلاح نصر جديد ٠ وستوضعون أنتم فى هذه الزنازين ٠ تنتهك أعراض زوجاتكم وبناتكم ٠ سيهدد شرفكم ٠ ستلفق لكم التهم والاكاذيب٠ سترغمون على الاعترافات الكاذبة ٠٠ ستضربون بالسياط ٠

والأهم من هذا نحن نستطيع أن نتكلم ٠ أن نصرخ ٠ أن نفضح ما جرى فينا ٠ ولكن هناك غيرنا ، هؤلاء الذين دفنهم المجرمون في السجن الحربى وسجن صلاح نصر ٠ ان الموتى لا يتكلمون ! لقد كنت أتصور أنه بدلا من أن تزوروا البط أن تنتقل لجنة برلمانية منكم الى السجن الحربى وتبحث عن الجثث المدفونة هناك ٠ كنت أتصور أنكم ستذهبون الى مقر صلاح نصر وتضبطون آلات التعذيب التى اشتريت بآلاف الجنيهات من دم هذا الشعب المسكين ٠ هل يستطيع هؤلاء المدفونون فى السجن الحربى أن يتكلموا ؟ وأن يشكوا ؟ ولمن يتكلمون ولمن يشكون ؟

ان التاريخ سوف يثبت أن صلاح نصر وعصابته والذين ظلموا هم سبب الهزيمة ، هم الذين وضعوا العصابة على العيون فلا ترى ، ووضعوا الكمامات على الافواه فلا تتكلم ، ووضعوا الاصابع فى الآذان فلا تسمع ٠ ان التاريخ سوف يثبت أن سبب الهزيمة هو الكبت والارهاب وحكم الفرد والتعذيب والتلفيق واشاعة الخوف والرعب بين الناس ! المقيدون بالسلاسل لا يمكن أن يكسبوا حربا !

اننى فى دهشة أن يحاكم صلاح نصر لانه خان الحكم ، ولا يحاكم لانه خان الشعب ! دهشت أن تكون جريمته أنه تآمر على الدولة ، ولا تكون جريمته أنه قتل الالوف وعذب الالوف ونشر الارهاب بين الشعب كله ٠٠٠ يجب أن يحاكم صلاح نصر على جرائمه الحقيقية ٠ اما أنه برىء فيجب أن يخرج من السجن ، واما أنه مجرم ملفق معذب ، فيجب أن يخرج كل هؤلاء الذين ظلمهم أو عذبهم !

وهنا قال أحد النواب : لماذا لم يتقدم الذين أصابهم التعذيب بشكاوى ؟

قلت : شكوا ٠٠ كتبوا شكاوى وأحيلت شكاواهم ضد صلاح نصر الى صلاح نصر، والى تلاميذ صلاح نصر ! ومن سخرية القدر أن صلاح نصر فى السجن الآن ٠ ولكن الأوامر التى أصدرها لاتزال تنفذ علينا ٠ كان السياسيون المرضى يوضعون فى الماضى فى المستشفى ، فأمر صلاح نصر بأن يوضع المرضى فى الزنازين ٠ وتغلق عليهم الابواب ١٨ ساعة كل يوم ٠

فسأل أحد النواب : ما رأيك فى أنظمة السجن ؟

قلت : انها قوانين وتعليمات أصدرها مجرمون ، وينفذها شرفاء اننى أقترح أن يوفد مجلس الامة لجنة تجيء الى السجون ، وتقابل كل مسجون ، وترى الناس والمذابح والجرائم التى صنعها صلاح نصر وزبانيته وشمس بدران وحمزة البسيونى ضد الابرياء ٠٠
أنا أرفض أن تكتفوا بكلامى ٠ أنا أطلب اليكم ان تفتحوا كل زنزانة ٠ أن تدخلوا الى كل مذبوح ٠ أن تسمعوا بآذانكم أنين المعذبين والمصلوبين ، وتروا بأعينكم آثار التعذيب على أجسادهم ٠
وانتهيت من كلمتى ٠ وانتشر النواب ٠ دخلوا كل زنزانة ٠ اقشعرت أبدانهم مما سمعوا ٠ امتلأت عيونهم بالدموع لما رأوا ٠ كانوا يمشون مترنحين ، ذاهلين كأنهم يمشون فى جنازات لاتنتهى ، فقد كان فى كل زنزانة نعش ميت !

وكانوا يصرون على فتح باب كل زنزانة ٠ حدث أن وجدوا بابا مغلقا فطالبوا بفتحه ٠

قال الضابط : هذا مخزن ٠
فصاح فيه أحد النواب بغضب :
ـ افتح ! فقد نجد هنا مذبوحا آخر تخفونه !

ووقف معى بعض النواب ، وتحدثت معهم فى كل شيء ٠

تحدثت معهم عن المحكوم عليهم بالمؤبد في قضايا المخدرات،وقلت لهم انه من العار أن تنشر كل صحفنا بيانا بامضاء النائب العام ٠ وبشهادة الطب الشرعى ، يقول ان النائب الاول لرئيس الجمهورية والنائب العام للقوات المسلحة كان يمضغ الافيون ، ولا يسأل أحد عن مصدر هذه المخدرات٠ بينما اذا ضبطت الشرطة فقيرا ومعه قطعة أفيون أو حشيش يحكم عليه بالسجن المؤبد ، والعار الاكبر أن كثيرا

من أحكام المؤبد هذه بتوقيع النائب الاول لرئيس الجمهورية نفسه • ان فى السجون آلافا من هؤلاء •

وتحدثت معهم عن الفلسطينيين المحكوم عليهم•وقلت لهم : ما هو شعور الفلسطينيين الذين فى السجن عندما يرون الجاسوس الاسرائيلى لوتز ، الذى أعطى لاسرائيل كل أسرار مطاراتنا قبل العدوان ، وهو يعفى عنه ويخرج من السجن بقرار جمهورى ؟ ما هو شعور الفلسطينيين وهم يرون المسجونين اليهود من عصابة لافون يعفى عنهم بقرار جمهورى وهم يعرفون أن هؤلاء اليهود كانوا من المخابرات الاسرائيلية وكانت مهمتهم القاء قنابل على الابنية الامريكية فى القاهرة لايقاع الخلاف بينمصر وأمريكا• ماذا يقول الفلسطينيون وهم يشهدون هذا التسامح مع الاسرائيليين ، وهذا التشدد مع الفلسطينيين الذين أصبحوا لاجئين ثلاث مرات عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ؟

وتحدثت مع النواب عن حالة حراس السجن • •كيف أن الواحد منهم يتقاضى حوالى عشرة جنيهات وعنده خمسة أو ستة أطفال • والصحف تقول ان جميع المواطنين والعمال يعملون سبع ساعات فى اليوم ، وهؤلاء الحراس يعملون ١٢ ساعة ، ولا يعطون أجرا على زيادة ساعات العمل • وقلت لهم أن فى ميزانية السجون ٨٠ ألف جنيه لطعام الحراس ، ولو وزعت عليهم نقودا ، لاصاب كل واحد منهم جنيهان فى الشهر أو ثلاثة جنيهات •

قلت لهم ان السجون فى البلاد المتمدينة التى يوضع فيها أعتى المجرمين تسمح بالزيارة لاسر المسجونين كل يوم من أيام الاسبوع ومن حق المسجون أن يبقى مع أسرته سبع ساعات فى الزيارة ، بينما المسجون هنا يزوره أهله مرة كل شهر ، وتستمر الزيارة بضع دقائق ، ويفصل سلك غليظ بين المسجون وأسرته ، وكأن المسجون فى قفص القرود فى حديقة الحيوان•وفى سجون الخارج كل مسجون فى غرفته راديو وينفقون فى سجن « سنج سنج » فى أمريكا على طعام كل مسجون خمسة دولارات فى اليوم ويتقاضى المسجون حوالى دولارين • وسألنى أحد النواب لماذا لا أشكو المخابرات •• اننى لو نبهت لخطر مخابرات صلاح نصر من قبل كنت جعلت البلاد تتفادى كوارث كثيرة ••

قلت : اننى كتبت كل شىء للرئيس جمال عبد الناصر ، وأتصور أن عبد الناصر محاصر ولا تصله الحقيقة !

قالوا : لماذا لم تكتب الى غيره ؟

قلت : لمن أشكو المخابرات ؟ أشكوها لرئيس الوزراء وقتئذ ؟ لقد كان زكريا محيى الدين مدير المخابرات الاسبق ؟ أشكوها للامين الاول للاتحاد الاشتراكى ؟ لقد كان على صبرى مدير المخابرات السابق ؟ أشكوها لوزير الداخلية ؟ انه شعراوى جمعة وكيل المخابرات السابق ؟ أشكوها لوزير الحربية ؟ أنه أمين هويدى وكيل المخابرات السابق ؟ أشكوها لوزير الشباب ؟ انه طلعت خيرى وكيل المخابرات السابق ؟ أشكوها لمساعد أمين الاتحاد الاشتراكى فى الوجه القبلى حيث أملك خمسة أفدنة ؟ انه عباس رضوان الصديق الصدوق وكاتم أسرار صلاح نصر مدير المخابرات السابق ؟ أذهب الى بنها وأشكوها للمحافظ ؟ ان محافظ القليوبية هو كمال أبو الفتوح وكيل المخابرات السابق ! أترك بنها وأذهب الى شبين الكوم ؟ ان محافظ المنوفية هو ابراهيم بغدادى الضابط السابق بالمخابرات ؟ أترك شبين الكوم وأذهب الى بور سعيد ؟ ان محافظ بور سعيد هو فؤاد طولان وكيل المخابرات السابق ٠٠ ان المخابرات كالاخطبوط لها أرجل وأيد وعيون فى كل مكان ٠

قالوا : أذن هم أكبر قوة فى البلد !

قلت : هناك قوة أكبر هى الله ٠٠٠ وسوف تثبت الايام انه قادر ان يفعل بصلاح نصر مالا يخطر لاحد على بال !

وكان كبار موظفى وزارة الداخلية والسجون ينظرون الى ساعاتهم بأستمرار ، أن النواب بقوا معنا أكثر من ساعة ٠ وكانوا يتعجلون النواب ، والنواب يرفضون مغادرة الزنازين ٠ كان الضباط يحاولون انهاء الزيارة ، ولكن النواب كانوا مصرين على البقاء ٠

وباظت المأدبة الفخمة التى كانت معدة للنواب ٠ الاطعمة الساخنة بردت الحلوى الفاخرة ساحت ٠ أكثر النواب لم يستطيعوا أن يأكلوا شيئا ٠ ان مارأوه من أهوال وما سمعوه من مخاز سد نفسهم عن الطعام !

وكان موقف مدير الليمان عبد الله عماره وجميع ضباط السجن ممتازا ٠٠ تركونا نتكلم ٠ لم يمنعوا أى مسجون سياسى من ان

يقول كل ما يريد . كانوا يصحبون النوأب الى كل زنزانة . ورأيت الدموع في عيونهم عند ما تحدثت عما أصابني من تعذيب ، وكانوا سعداء لانني لم أشك من أى شيء عن داخل السجن . كانت كل الشكاوى عما إصابنا فى سجن صلاح نصر والسجن الحربى .

وكان بين النواب سيد جلال ، وهو الآن فى السبعين من عمره ، وما أن رآنى حتى عانقنى وقبلنى وبكى وهو يقول :

ـ أن الاطباء منعونى من أن اصعد السلالم . ولكنى عندما علمت انك فى الدور الرابع قررت أن أصعد ، حتى لو اصبت بذبحة صدرية جديدة .

وقبل أن ينصرف النواب صافحونى . وقالوا لى أننا نشكرك لانك ساعدتنا على أن نعرف واجبنا .

وانتهت الزيارة ..

كان كل من فى السجن سعيدا .

الضباط سعداء لان أحدا لم يشك منهم ، بل على العكس أثنينا عليهم

الحراس سعداء لاننا تحدثنا عن مطالبهم .

المسجونون العاديون سعداء لانهم وجدوا من يرفع صوتهم .

المسجونون السياسيون سعداء لانهم أخرجوا كل ماكان محبوسا فى قلوبهم وشجعهم كلامى على أن يقولوا كل ما تحملوه من عذاب .

وفى اليوم التالى كان السجن فى عيد . كان كل المسجونين فرحين مبتهجين لان صوتا ارتفع يعبر عن أنينهم ، وعذابهم ، وآلامهم وصرخاتهم المحبوسة ودموعهم المكتومة ، وحزنهم المدفون ...

وقال لى الكثيرون منهم : نشكرك ... أنك جعلتنا ننام الليل كله ، لاول مرة منذ عدة سنوات .

أننى لم أفتح لهم باب السجن ، وأنما فتحت لهم باب الآمل .

لم اضمد جراحهم ، وأنما تركت تأوهاتهم تخرج من أفواههم المكممة .. لم أرفع الظلم عنهم ، ولكنى مكنت كل واحد منهم أن يصرخ ويقول أنا مظلوم !

وانا ايضا نمت نوما سعيدا عميقا .

لاننى قلت كل ما فى قلبى !

كنا سعداء لان خمسة وعشرين رجلا وامرأة سمعوا صراخنا .

ترى ...هل يجىء اليوم الذى سوف تسمع فيه الملايين صراخنا ؟

نعم ! سيحدث هذا بأذن الله !

كل نائب يفتح فمه عن التعذيب
سيفصل من مجلس الامة !

١٨ فبراير سنة ١٩٦٨

عـــــــزيزتى

كان زملائى فى السجن يتوقعون نتائج باهرة لزيارة النــواب لليمان ! اما انا فلم اتوقع شيئا من مجلس الامـــة ، المجلس الذى رقص بعض نوابه « عشره بلدى » عندما عدل الرئيس جمـــال عبد الناصر عن استقالته ، بعد خمسة أيام فقط من هزيمة ٥ يونيو ــ المجلس الذى أعطى للرئيس تفويضا على بياض · المجلس الذى لم يجرؤ على تأليف لجنة تحقيق فى أسـباب الهزيمة المروعة · كان كل ما يهمنى هو الرأى العام · أن يخرج النواب من عندنا ، ويرووا للناس ما سمعوه عن بشاعة التعذيب ··· وبذلك نهزم مـــؤامرة الصمت عن التعذيب التى فرضت علينا !

وفعلا صدق ظنى · خرج النواب من عندنا متحمسين ومصممين على اثارة مسألة التعذيب فى مجلس الامة ، وتقديم أسئلة واستجوابات والمطالبة بالافراج عن المسجونين السياسيين · واذا بالاوامر تصدر اليهم تقول لهم ((هس)) ! لاتفتحوا افواهكم · ! وكتب لى تلاميذى يقولون أن النواب كانت لديهم الشجاعة على أن يرووا لزملائهم ما رأوه · وأن الاجهـــزة تحركت على الفور · وأن بعض النواب هددوا بالفصل من الاتحاد الاشتراكى ومن عضوية مجلس الامة اذا أثاروا مسألة التعذيب ···

وقيل لهم ان التعذيب سياسة عليا وليس من حق أحد أن يتحدث عنه ! وصمت النواب وخرسوا وعـــرفوا ان مهمتهم هى التصفيق الحاد !

ولكنى لا ايأس من هذا الظلام الدامس · ان الله يحل كل المشاكل وما كنت أراه دائمـا بلا حل تمتـــد يد الله وتحله بأحسن مما كنت أتمنى وأتصور · لقد كنت جالسا استعرض حياتى · تذكرت وانا طفل صغير اننى كنت أعيش وســـط أسرة تعيسة وحيدة بنفى رب الاسرة سعد زغلول · كانت كل الأنبـــاء التى تجىء لنا سيئة كنا نتوقع موته فى منفاه فى جزيرة سيشل بسبب شيخـــوخته وأمراضه العديدة وسوء معاملته · ثم أشرقت الشمس ، وعاد ســعد من منفاه ، واستقبلته مصر بما لم تستقبل به احدا فى التـاريخ · وعندما كان عمرنا ١٤ سنة قمنا بمظاهرة ضـــد دكتاتورية محمد محمود وقبض على وعلى أخى ، وفصلنامن مدرسة الاوقاف ، وضاقت الدنيا فىعيوننا وتصورنا اننا سنمضى حياتنابلا تعليم ، ثم اشرقت الشمس وانتصر الشعب ، وسقطت دكتاتورية محمد محمود وعدنا الى المدارس ·· وكان عمرنا ١٦ سنة وبعد شهور الغى الملك فؤاد واسماعيل صدقى دســـتور الشعب واغلق البرلمان ، فنظمت انا وأخى اضرابا فى جميع المدارس الثانوية وقدنا مظاهرة عنيفة تهتف بسقوط الملك وسقوط رئيس الوزراء · وقبض علينا · وصـــدر قرار مجلس الوزراء برفتنا من جميع مدارس مصر وحـــرماننا من جميع الامتحانات · وتصورنا اننا سنعيش جهلاء لا نحمل شـهادة عليا · ثم اشرقت الشمس وحصل أخى على بكالوريوس فى الهندسة من انجلترا وحصلت على ماجستير فى العلوم السياسية من الولايات المتحدة · ثم حدث وانا اعيش مع والدى وهو وزير مفـــوض فى امريكا أن غضب عليه الملك فاروق واحاله الى الاستيداع وتصورت انها نهاية الدنيا ، ولم البث أن اتممت دراستى · وكان رفت ابى خيرا علينا · واشرقت الشمس وأصبحت رئيسا لتحرير آخر ساعة وعاد أبى الى عمله · وحدث أن كتبت مقـــالا فى سنة ١٩٤٠ أغضب على ماهر رئيس الوزراء فرفت أبى من وظيفته ، وشعرت انهـــا كارثة نزلت علينا من السماء ، وانها ستعرضنا للجوع وعمـــلى الصحفى مهدد بسبب الرقابة الصحفيـــة · ولم البث أن أصبحت رئيسا لتحرير مجلة الاثنين ، وأصبح ايرادى ضـعف ايراد رئيس وزراء مصر واضعاف ما كان يقبضه أبى من الدولة وقتئذ · ثم غضب

رئيس الوزراء مصطفى النحاس على لانني كنت أعارضه فى مجلة الاثنين . واحال ابى للمعاش للمرة الثالثة . ثم أشرقت الشمس وأصدرت ((اخبار اليوم)) مع اخى ... وهكذا كانت حياتى سلسلة ازمات وكوارث ومتاعب ولكن الله دائما كان يحول المصيبة الى خير . والكارثة الى نعمة . لهذا أؤمن بالله عن يقين ، وعن عقيدة وعن تجربة . ولقد رايت الله كثيرا .... واحسست بيده تسندنى اذا تعثرت . وترفعنى اذا وقعت . وتنقذنى اذا هوت على رأسى مطارق الحياة . وكل مانتعرض له ليس جديدا على أسرتنا . فى سنة ١٩١٩ أصدر القائد العام البريطاني قرارابمصادرة أموال أبى .. ووجدنا الناس الطيبين الذين يساعدوننا حتى رفعت الحماية لبريطانية وألغيت المصادرات .

وفى سنة ١٩٦٥ صدر قرار بوضعى أنا وابنتى وعلى وزوجته وأبنتيه تحت الحراسة .

وسوف تلغى هذه الحراسة عندما ترفع الحمايه الروسية عن مصر باذن الله !

أن كل ما يصيبنى لا يفقدنى ايمانى ببلدى ، بل يزيدنى تمسكا بها ، وحبا لها ، ويضاعف ايمانى بالله .

أنا الآن فى الشهر الواحد والثلاثين فى السجن . أتممت السنتين ونصف السنة فى ٢١ يناير . وأنا اعرف ماذا تعنى هذه المدة الطويلة للذين يحبوننى من عذاب وشقاء وحرمان . ولقد احتملت نصيبى من هذا كله برضاء . ولكن الذى لا احتمله هو نصيبكم انتم من هذا الشقاء . هذا الشعور يجعل قلبى يدمى . لولا آلام الذين يحبوننى لما شعرت بأى فرق بين وجودى فى السجن ووجودى خارج السجن . الذى يحز فى نفسى أنكم تتعذبون أكثر مما أتعذب . وتشقون أكثر مما أشقى . اننى أقلق باستمرار عليكم أتتبع أخباركم . وعندما تصلنى كلمة منكم أعيش معها وبها . أحاول أن اجعل الكلمة الصامتة تنطق وتتكلم وتحكي وترد على ألوف الاسئلة وتسمعنى آلاف التفصيلات .

ان حياتى مليئة بالذين يحبوننى والذين أحبهم ، بناس لم أعرفهم ولكنهم يتصلون بى ويكتبون الى . اننى لا أشكو السماء لانها تركتنى فى هذا السجن ، بل أشكرها لهذا الحب الذى أعطته لى . لا أشعر هنا بشقاء ولا قسوة ولا حرمان . فان الذين حولى يغمروننى بالعطف والحب والحنان . لا أحس بالاختفاء داخل القضبان ، بل أجد روحى منطلقة الى الملايين التى أحبها وتحبنى . الى الفقراء . الى التعساء . الى المظلومين الذين أولونى ثقتهم . عندما أحس البرد وتعجز البطاطين عن أن تمنع جسدى من القشعريرة أفكر فى حب الناس فاشعر بالدفء .

أننى فى السجن لست وحدى أبدا !

أرسلت بلاغا إلى النائب العام
فاختفى من مكتبه
وظهر فى النيابة العسكرية

١٩ مارس سنة ١٩٦٨

عــــزيزتى ...

حدث فى هذا الاسبوع أشياء عجيبة .

وصل الى السجن اخطار من النائب العام ان أذهب الى رئيس النيابة فى دار القضاء العـالى فى يوم الخميس ١٤ مارس لادلى باقوالى فى بلاغ النائب العام .. وفى نفس الوقت وصلت اشارة مستعجلة تأمر بالغاء ذهابى بناء على أمر وكيل الداخلية .

وتكرر هذا الحادث الغريب عدة مرات . النائب العام يستدعينى للتحقيق ووزير الداخلية يأمر بعدم تنفيذ طلب النائب العام !

ولم أعرف سبب هذا الموقف الغريب العجيب المريب . لم أعرف الاسباب فى أن الحكومة لاتريد أن أدلى بأقوالى فى التعذيب وترفض أمر النائب العام الا سببا واحدا وهو أن الحكومة تريد أن تتستر على ماجرى لى ، ولا تريد أن يعرف الناس الجرائم البشـــعة التى حدثت ضدى .

ثم حدث أمس ان حضر الى السجن الرائد أحمد فهمى رئيس النيابة العسكرية وســـمع بلاغ الاســـتاذ حسن الهضيبى عن التعذيب ، ثم اســـتدعانى لسماع أقـــوالى . وذهبت الى رئيس النيابة العسكرية ، فوجدته جالسا فى غرفة بمستشفى السجن يسمع أقوال الاستاذ حسن الهضيبى .

وطلب منى رئيس النيابة العسكرية ان انتظر فى غرفة كبير الاطباء الى أن يستدعينى ثم أرسل يستدعينى · ولكن حراس السجن قالوا لى أن مدير الليمان أمر بألا أذهب للادلاء بأقوالى قبل أن أقابل مدير الليمان أولا !

وحرت هل أنفذ أمر رئيس النيابة العسكرية أم أمر مدير الليمان ؟

ولكننى كمسجون رأيت أن من الاسلم الا أنفذ أوامر مدير الليمان ·

وذهبت الى مدير الليمان ، فقال لى انه لا يستطيع ان يسمح لى بالادلاء بأقوالى قبل استئذان وزير الداخلية ·

وتركنى مدير الليمان فى مكتبه ، وذهب الى مكتب آخر ليتصل بمدير مصلحة السجون ، الذى سيتصل بوكيل وزير الداخلية ، الذى سيتصل بوزير الداخلية !

وقال لى الضباط ان مدير الليمان فى حيرة لان لديه أوامر مشددة من وكيل الداخلية بألا أدلى بأقوالى فى التعذيب ·

فماذا يفعل الآن ؟

وقام مدير الليمان باتصالاته ، ثم عاد وسمح لى بالذهاب الى رئيس النيابة العسكرية فى المستشفى للادلاء باقوالى ·

وحمدت الله أن الازمة قد حلت ··

وعندما قابلت رئيس النيابة العسكرية لاحظت أنه يحقق فى البلاغ الذى قدمته الى النائب العام فى ٢١ فبراير سنة ١٩٦٨ ·

وقلت له اننى لم أقدم بلاغا للنيابة العسكرية ، وانما قدمت البلاغ للنائب العام وان جميع زملائى المسجونين السياسيين الذين قدموا بلاغات عن التعذيب الى النائب العام سئلوا أمام النيابة العامة فى دار القضاء العالى ، فلماذا تسألوننى أنا أمام النيابة العسكرية ·· وانا لست من القوات العسكرية ؟

واكتشفت ان النائب العام ليس هو الذى حـــول بلاغى الى النيابة العسكرية واكتشفت أن وزير الداخلية والمخابرات العامة هم الذين منعوا ذهابى الى النيابة العــامة ، واكتشفت فوق هــذا أن بلاغى انتزع من مكتب النائب العام ، وارسلته المباحث العامة الى النيابة العسكرية لتمنع النائب العام من التحقيق !

ودهشت لهذا التصرف الغريب ، ولم أفهم الغرض منه · اللهم الا اذا قصدوا أن يكون سماع أقوال الهضيبى وأقوالى ـ دون جميع المسجونين ـ فى أضيق نطاق · ولهذا تولته النيابة العسكرية ، حتى لا يخرج شيء عن تعذيبنا الى الناس . ويعرفه القضاة ووكلاء النيابة · أو أن الامر أخطر من هذا · وهو أن الدولة ترغب في التستر على جرائم تعذيبنا وأنها وجدت انها قادرة ان تسيطر بسلطاتها على القضاء العسكرى ، بينما هى غير قادرة على السيطرة على القضاء المدنى ، وهى تستطيع ان تأمر الدجوى مثلا كرئيس للمحكمة العسكرية بان يحكم بأنه لا يوجد تعذيب . بينما هى لا تستطيع ان تفعل ذلك مع المستشارين المدنيين ·

ومع ذلك أدليت بأقوالى عن كل ماتعرضت له من تعذيب ، وسجل رئيس النيابة العسكرية أقوالى كاملة · وسجلت فى المحضر نص الخطاب الذى أرسلته الى الرئيس جمال عبد الناصر فى ديسمبر سنة ١٩٦٥ من سجن الاستئناف وذكرت فيه كل ما تعرضت له من تعذيب وهوان · كما ذكرت أننى أرسلت صورة من الخطاب الى أم كلثوم وفائق الســـامرائى سفير العراق الســـابق فى القـــاهرة وسعيد فريحه صاحب دار الصياد ، لانهم لا يتولون مناصب قد يصل اليها بطش وارهاب صلاح نصر · وان أم كلثوم قـــرأت الخطاب وبكت ، وأن فائق السمرائى قرأ الخطاب وذهل ولم يصدق عينيـــــه . وأن ســـعيد فريحه قرأ الخطاب وفزع ·· وأرسل لى ســـعيد فريحة رســالة يقول فيهـــا ان من رأيهم جميعــا الا يصل هذا الخطاب الى الرئيس . لانه لو وصـــل اليه ، فسوف

يعلم به صلاح نصر ، وسيقتلك صلاح نصر فى السجن . ان صلاح نصر كالاخطبوط فى الدولة ، واذا استطاع أن يفعل بك كل هذا من قبل فهو قادر على ان يفعل بك أضعاف هذا الآن .

وطلبت ان يسأل رئيس النيابة العسكرية هؤلاء الثلاثة .

وطلب منى رئيس النيابة العسكرية خلع ملابسى ، وقال لى انه درس الطب الشرعى .. فخلعت .. وسجل وجود آثار فى جسمى ناتجه عن التعذيب رغم مرور حوالى ثلاث سنوات .

وقلت له اننى أطلب أن أعرض على الطبيب الشرعى ليثبت الاصابات وقال انه لا يستطيع أن يأمر بارسالى الى الطبيب الشرعى ، ولكنه يجب ان يستأذن أولا .

وسألنى لماذا لم أخبر رئيس نيابة أمن الدولة بالتعذيب ؟

قلت له أن صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة كان جزءا من جهاز مخابرات صلاح نصر ، بدليل أنه لم يحقق معى مرة واحدة خارج بناء المخابرات ، وبدليل أنه لم ينفرد بى أبدا ، بل كان يحضر ثلاثة من ضباط المخابرات معى داخل غرفة التحقيق ، وبدليل أنه تركنى مسجونا أربعة شهور فى سجن المخابرات مع أنه ليس سجنا عموميا ، وبدليل إنه رأى بعينيه كل جرائم التعذيب مع المتهمين السياسيين الآخرين ولم يسجل فى محضره كلمة عنها !؟

وسألنى لماذا لم اتكلم فى محكمة الدجوى عن التعذيب .

فقلت له أردت ان اتكلم فى المحكمة عن التعذيب ، ولكن محامى الدكتور محمد عبد الله نصحنى بألا أتحدث عن التعذيب ، لان الدجوى لا يحب اثارة مسألة التعذيب ، وقلت اننى لما وجدتنى لا أستطيع ان اتحدث عن التعذيب فى المحكمة رفضت ان أفتح فمى أثناء المحاكمة، ولهذا خلت المحاكمة من أى أقوال لى الا فى

نهاية الجلسة ، عندما وقفت والقيت كلمة قلت فيها اننى برىء وسوف يثبت التاريخ براءتى !

وسألنى : هل جاءت لجنة وكشفت عليك لترى التعذيب ؟

فقلت : لم يحدث ..

وختم رئيس النيابه العسكرية المحضر بقـــوله « تم المحضر الساعة كذا .. وقررنا الانتقال الى ديوان الوزارة لعرض نتيجة التحقيق » .

واستمر التحقيق حوالى ثلاث ساعات .

ولقد كنت افضل ان يكون التحقيق فى النيابة العامة ، وان كان المحقق العسكرى أظهر روحا كلها عدل وانصاف ونـزاهة وشجاعة وقال ان هذا محضر تاريخى .

وقال لى ان كل التعليمات التى عنده ان يسمع أقوال الهضيبى وأقوالى ولا يطلع أحدا على التحقيق ، وان يرفعه الى وزير الحربية .

وعدت الى زنزانتى وقابلت الهضيبى وقلت له أن نزع التحقيق من النائب العام وتحويله الى النيابة العسكرية يؤكد لى أن ما يقال من أن النية اتجهت الى العودة الى العدالة والديموقراطية وسيادة القانون هو كلام فارغ . واننى اعتقد ان المقصود من التحقيقات ليس البحث عن الحقيقـة وانمـــا امتصـاص سخط الشعب ، ولن يمر وقت طويل حتى تعود الدكتاتورية كما كانت قبل الهزيمة .

وقال لى الاستاذ الهضيبى : انا لا انتظر خيرا من هؤلاء القوم . اننى لم أسمع أن طاغية أصبح رحيما ، وان ظالما أصبح عادلا ، وان الشياطين يصبحون فجأة ملائكة ! انهم لو مضوا فى تحقيقات التعذيب فسوف يحاكمون أنفسهم وسوف يحكمون على أنفسهم .

فهل نتصور ان الضمائر التي ماتت ممكن ان تعود الى الحياة !؟
انا أعتقد ان كل هذا الذى يقال عن الاتجاه الى تحسين الاحوال هو مسرحية يراد بها الهاء الشعب عن الهزيمة . في كل بلاد الدنيا عندما تنهزم دولة يستقيل حكامها على الفور . هذا حدث في كل صفحات التاريخ ولكننا عندنا نعتبر فقد ثلث مساحة بلدنا نكسة . ونعتبر بقاء حكامنا المسئولين عن الهزيمة في مناصبهم انتصارا !؟

قلت : ومن الذى ينقذ البلد مما هي فيه ؟

قال الاستاذ الهضيبي : ان ما وصلنا اليه هو اسوأ مما يستطيع أي واحد منا ان ينقذه .. أن الله وحده هو الذى يستطيع أن ينقذنا مما نحن فيه ..

الإفراج عن عيد الأم!

ليمان طره فى ٢٦ مارس سنة ١٩٦٨ ·

أخى العزيز ··

أقبلك وأشكرك على خطابك المؤرخ فى ١٨ فبراير فقد وصلنى اليوم · أى أنه قطع المسافة من لندن الى القاهرة فى ٣٧ يوما · وهو رقم قياسى فى السرعة ! ويظهر آن الخطاب جاء ماشيا على قدميه ! أو أنه تلكأ فى عواصم العالم ، وأمضى فى كل مدينة جميلة يوما أو يومين حتى وصل بسلامه الله الى ليمان طره · المهم أن الخطاب وصل · وهذا شىء يجب أن نشكر الله عليه · فالمهم أن أعيش معك فى هذه الخطابات وأنا أشعر وانا أحتضنها اننى احتضنك · خطاباتك تذكرنى بقطارات السكة الضيقة فى ريف بلادنا فى الزمن القديم · عندما كان سائق القطار يتوقف بالركاب فى الطريق ليشرب كازوزه ، أو يترك القطار واقفا ليزور حماته ، ثم يمر القطار على جماعة يتناولون افطارهم فيقولون له « بسم الله » فيوقف السائق القطار ، وينزل ليشارك الداعين الطعام ، ثم يوقف القطار ليشترك فى تشييع جنازة أحد المعارف ، ثم يرى فلاحة جميلة تحمل البلاص على رأسها فيهدىء سرعة القطار ويغازلها ، فاذا أبدت تفاهما أوقف القطار ولطع الركاب حتى ينتهى موعد الغرام ! وكان الفلاحون الركاب يقبلون أيديهم وجها وظهرا ويحمدون الله على وصول القطار بالسلامة فى نهاية المطاف! أما اذا كان أحد الركاب عصبيا ، واحتج على سائق القطار لهذه « اللكاعة » فانه يوقف القطار ، ويقسم بالطلاق أنه لن يتحرك من مكانه ، وينزل الركاب ويحضرون مأذون القرية ليفتى فتوى تسمح للسائق باستئناف مسيرة القطار دون أن يقع يمين الطلاق

وعلى كل فان خطابك كان يعدو بسرعة الصاروخ اذا قورن بخطاب ابنتى زنيبة المؤرخ يوم ٢٨ فبـــراير فوصلنى يوم ٢٦ مارس · أى أنه قطع المسافة بين الزمالك وطرة فى ٢٧ يوما ! ولابد أنه جاء راكبا سيارة أوتوبيس ، وكان ملطوعا على المحطة ، وسيارات الاتوبيس لا تتوقف له لانها كاملة العدد · ويظهر أن أزمة المواصلات فى القاهرة أصبحت أزمة خانقة · فقد سمعت فى الاذاعة أغنية للمطرب الشعبى محمد عبد المطلب يشكو فيها من الصعوبات التى يلاقيها فى حبه وهواه ويقول : « حبيبى ساكن فى السيدة وانا ساكن فى الحسين » ! فاذا كان المطرب محمد عبد المطلب لا يستطيع أن ينتقل من الحسين الى السيدة زينب ليصل الى حبيبته فلابد ان أزمة المواصلات أزمة خطيرة فعلا ! وهذا شىء يؤسف له · لانه يدل على ان العلم تقدم كثيرا عن الحب . فبينما العلماء يحاولون الآن الوصول الى القمر وينجحون ، فان محمد عبد المطلب يحاول أن يصل من حى الحسين الى حى السيدة زينب ليرى حبيبته ، فلا يجد مكانا يتعلق به على سلم الاوتوبيس !

أنا متفائل من المستقبل · نحن عندما نرى الظلام حولنا لا نلعن الظلام ، وانما نضىء شمعة · واذا انطفأت الشمعة اشعلنا عود ثقاب وتصورنا أنه شمعة ، واذا احترق عود ثقابنا الاخير أغمضنا عيوننا وتصورنا ان الشمس ساطعة · وهكذا لا نرى الظلام ابدا · اننا اذا وقفنا على حبل المشنقة فلن نفقد الامل · سوف نأمل بان حبل المشنقة الذى يحيط بأعناقنا سوف ينقطع ، أو يموت الجلاد بالسكتة القلبية : ولا أتصور أننا ســـنفقد تفاؤلنا عنـدما نسلم الروح ، سوف نأمل ان يجىء الدكتور الجراح المشهور برنارد بقلب آخر حى ، ويضعه مكان قلبنا الذى توقف ، فيعود قلبنا يدق من جديد ! واعتقد ان تفاؤلنا العجيب يغيظ الناس العاديين الذين لا يفهمون مدرسة التفاؤل التى انت أستاذها ! انهم عندما يرون رجلا على فراش الموت يجلسون يبحثون تفاصيل الجنازة ويعدون النعى الذى سينشر فى الصحف · أما نحن فاننا نذهب ونحجز له تذكرة فى حفلة غناء أم كلثوم ! أننا دائما حتى آخر لحظة نتصور ان الله قد يصنع المعجزة وينقذه ، ولهذا فنحن نشترى له التذكرة خشية ألا يجد له مكانا فى الحفلة الشهرية

لام كلثوم ! وعندما نرى صديقا عزيزا داسته سيارة ، لا نلطم خدودنا كما يفعل غيرنا في مثل هذه الظروف • وانما نلطم وجهه بايدينا وندلك قلبه ، محاولين ان نعيد اليه الحياة !

الناس العاديون يعيشون حياتهم وهم يتصورون أنهم يشيعون جنازة • ومشيعو الجنازة يفكرون طوال سيرها فى أنه سيجىء يوم يكونون فيه داخل النعش بدل الفقيد •

أما نحن فاننا نتصور اننا نعيش في فرح كبير ، وانه سيجىء يوم نكون فيه في الكوشه بجوار العروس •• والعروس هنا هى الحرية ! وفى بعض الاحوال نبدو أشبه بالمجانين ، ولكننا نجد هناء فى هذا الجنون • اننى فى الماضى عندما كنت أطل من مكتبى فى دار اخبار اليوم على خرابه ، لا أرى الخرابة البشعة وأنما أرى العمارة الشاهقة التى يمكن أن تقام مكانها • وعندما أرى هنيا مسجونا سيئا أحاول ان اجد فيه أشياء طيبة لا تراها العين المجردة • ان زنزانتى تطل على دورة المياه فى عنبر ٢ ، وعندما أطل من نافذتى لا أرى التواليتات وأقذارها ، وانما أرى بضع أشجار جميلة قائمة بجوارها • وعندما أقابل مسجونا أعور ، لا انظر الى عينه العمياء ، وانما اتطلع الى عينه الصحيحة •

ولهذا أنا لا أرى بلادى المهزومة المفلسة المقيدة بالاغلال فى الوقت الحاضر ، وانما أرى المستقبل ، أومن أنه سيجىء يوم تنتصر فيه بلادى ، وتسدد ديونها ، وتحطم قيودها ، وتستمتع بالحرية والديموقراطية ! •• وهكذا أنا أرى فى جنازة مصر مولدها الجديد !

***

انقضيت يوم ٢١ مارس معك • لقد عاد عيد الام • اننى أعيش اليوم انتصارنا • لقد صدر فى العام الماضى قرار بالغاء عيد الام ، حتى ينساها الناس ، وأطلقوا عليه عيد الاسرة • واذا بخطابات الاحتجاج تنهال على رئيس الجمهورية من مئات الالوف من الامهات فى مصر وخارج مصر • واضطر الرئيس ان يأمر باعادة احتفالات عيد الام كما كانت •• وهكذا انتصرت وانا فى زنزانتى وانت فى منفاك على قرار ظالم !؟ وتصورت سعادتك وأنت تمسك الصحف ، وفيها اخبار الاحتفالات بعيد الام ، الذى كان لك ولى

فضل ادخاله في بلادنا · ولقد حدثت لخبطة نتيجة الهرولة في تنفيذ قرار رئيس الجمهوريه باعادة عيد الام المغضوب عليه ، بعض المذيعين لم يعرفوا بامر الفرار ، فتحدثوا عن عيد الاسرة ، ولكن الغالبية تحدثت عن عيد الام · ولقد قيل للمسجونين انه لمناسبة عيد الام يمكنهم أن يكتبوا خطابا ثالثا فوق الخطابين المقررين كل شهر ، واعتقد انه سيجيء يوم تفتح فيه السجون يوم عيد الام لدخول الامهات لتمضية اليوم كله مع أبنائهن المسجونين · واعتقد أنه سيجيء يوم آخر يسمحون فيه للمسجون حسن السير والسلوك ان يخرج يوم عيد الام من السجن يمضيه مع أمه · وكنت اتمنى أن أضع زهرة على قبر أمي · وشعرت بأسى ان يبقى قبر أمي يوم عيد الام عاريا من الزهور · فبفضلها هي عرفنا قيمه الام ، وجعلنا لها عيدا في بلادنا وكل بلد عربي · انني على كل حال أغمضت عيني وتذكرت أمي ، واذا لم استطع ان اذهب اليها ، فقد احسست انها جاءت الى · وامضت معي اليوم في الزنزانة · عشت بخيالي معها في أحلام الصبا ، استعدت أيامنا الحلوة ، ضحكاتنا ، حنانها ، وعندما نمت شعرت بيدها ، وهي تمسك الغطاء وتغطيني · اننا أحيانا نعود أطفالا · نشعر كأن ذراع أمنا تمتد الينا من وراء الغيب ، تساعدنا على السير فوق أشواك الحياة ·

تلقيت اليوم الخطاب الذي كتبته في لندن بمناسبة عيد ميلادك ، عشت معك تلك السهرة · شعرت كأن الشمعتين الفضيتين اللتين تلقيتهما في عيد ميلادك تضيئان ظلامي · تفرجت معك على الراقصات الاسبانيات في فندق سافوي · شاهدت الاعيب الحاوي العجيب · في بعض الاحيان نحتاج الى حاو في حياتنا ، حاو يحول حياتنا الفارغة الى حياة مزدحمة كما كانت حياتنا ونحن نعمل في « أخبار اليوم » · حاو يحول زنزانة السجن الى فندق سافوي · حاو يحول دموعنا الى ضحكات · وكثيرا ما لا نجد حواة ولا سحره · يقومون بهذه الاعاجيب ، فنجعل من أنفسنا الحواة التي تسلينا · ونجعل خيالنا يخدعنا ، ويقرأ بصوت عال ما هو مكتوب في ورقة مطوية ! أتصور أحيانا أننا نغضب على أنفسنا ، اذا لم نجد من ينصب علينا ! ولكن الغريب أنني لا أشعر ابدا أنني أخدع نفسي بأيماني العجيب بالغد ، باحساسي العميق ان الغد فيه قوة قاهرة

ســـوف نسحق الحاضر بكــل ما فيــه من عنفــوان ٠ ســـوف يحطم الغد السلاسل التي تقيدني في زنزانتي ٠ سوف يكسر الاغلال التي تمنعني اليوم من الحركه ٠ سوف تجعلني أقـــوى كثيرا من الذين يبطشون بي اليوم ٠ انني لا أعتمد على رجل معين يفتح لي أبواب السجن ٠ أي رجل في مصر أو خارجها أضعف من أن يحطم اقفال السجن ٠ انما أنا اعتمد على حركة التاريخ ٠ أؤمن ان غدا سيكون كالاعصار يقتلع من أمامه كل ما يتوهم البعض الآن أنه كالقلعة لا يمكن اقتحامها ، أو كالجبل لا يمكن اقتلاعه ٠ اعصار الغد سوف يحول كثيرا من العمالقة الى أقزام ، وسيجعل كثيرا من القرارات التي تبدو مقدسة اليوم خرقا بالية تمسح بها الاقدام ، وسيجعل كثيرا من الشعارات والاعلام المرفوعة كفنا تلف به جثة الحاضر وهو يوارى التراب ٠ وهكذا فأنا عندما أبيع الامل والتفاؤل للناس ، أبيع بضاعة أعتقد أنها ستكون موجودة غدا٠ابيع في الظلام أشعة الشمس لانني واثق انها ستشرق في الصبـــاح ! وبعض الناس يتصورون انني أخدعهم وأنصب عليهم ، بينما انا عندما أزرع التفاؤل في قلوب الناس أحصد ابتسامتهم ٠ أجني السـعادة التي أراها في بريق عيونهم ، بعد أن زرعت في صحراء نفوسهم بذرة تفاؤلي وأيماني بالغد !

وعندما أسمعك تتحدث عن التفاؤل أتذكر أغنية شريفة فاضل التي تقول « على مين ؟ على مين ؟ ح تبيع الميه في حارة السقايين ؟ » أو شيئا من هذا القبيل ٠ انك أشـــبه بمن يجيء يزاحم بائعـــا متجولا في شارع ، ويحاول أن يبيع نفس البضائع لنفس الزبائن ٠ صحيح أن بضاعتك ملفوفة بورق مفضض ، وبورق سولفان ، أما أنا فانني ألف بضاعتي بالورق الموجود الوحيد عندي في الليمان وهو ورق جرائد أو ورق تواليت ! العجيب أنني وأنا أبيع نفس بضاعتك اقبل عليها بلذة ونهم . وأنا أجد لذة وأنا أضع أسناني في تفاحة تفاؤلك وكأنني اقبلها ! ٠

ولهذا لا تتصور أنني لست متفائلا بشأن البلد ٠ أنا متفائل جدا بمستقبل الحرية . ومتشائم جدا أن الاســـتبداد هو الذي سيفتح لي ولغيري أبواب السجن ! أنتم تحلمون بشمعة تضيء في الظلام . وأنا أحلم بشمس تشرق على البلد كله ٠ الشمعة الواحدة

قد تضيء زنزانتي ولكن ستبقى مصر كلها فى ظلام · وما فائدة أن أخرج من سجن كبير ؟ ما لذة أن تكون مساحة زنزانتى هى مساحة أرض مصر كلها ؟ وأى قيمة لحرية أنالها اذا كانت حرية بالقطارة ! ان حرية بالقطاعى معناها استبداد بالجملة · الحرية التى تعطى كمنحة يمكن استردادها · ان الحرية التي يتحدثون عنها هى أن أخرج من السجن ولا أفتح فمى ! وهذه هى العبودية الكاملة ! أنا فى السجن لا أخاف من أن أدخل السجن لاننى أعيش فيه ! أنا هنا أقول كل ما أريد أن أقوله دون أن أتلفت حولى فى ذعر ·· ان هذا أكثر حرية من أن أخرج من السجن وأعيش خائفا أن يعيدونى اليه ! الناس من خوف السجن فى سجن ! أنهم يريدون أن يخرج جزء من جسمى من السجن وتبقى يدى مقبوضا عليها لا أكتب · ويبقى لسانى معتقلا لا ينطق · ويبقى عقلى مجمدا لا يتحرك ولا يفكر · وهذا أشر من السجن وأقسى على نفسى من الزنزانة !

اننى أرفض حرية بالقطارة ! أرفض حرية لشخصى : أريد حرية كاملة · حرية لبلادى وعندئذ سيصبح كل العبيد أحرارا !

كيف طبقوا بيان ٣٠ مارس
فى الليمان

٣ أبريل سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

كان الجو فى السجن جو تشاؤم · توقف استدعاء المسجونين السياسيين الذين قدموا بلاغات للنائب العام ضد تعذيب صلاح نصر وشمس بدران لهم · شاع فى السجن أن أمرا صدر بوقف ارسال المسجونين السياسيين الى النيابة للادلاء بأقوالهم فى شأن التعذيب ··

ولكن اذا لم تكن هناك نية للتحقيق فى قضايا التعذيب فلماذا حققت النيابة فى قضايا التعذيب ، ولماذا أحالت بعضهم الى الطبيب الشرعى ، ولماذا سمحت للصحف أن تتحدث عن التعذيب ؟

اننى قرأت بيان ٣٠ مارس وتشاءمت ! انه مكتوب بأسلوب هيكل · وقد ذكرنى بالقرار الذى أصدره مجلس الثورة فى سنة ١٩٥٤ بعودة الضباط الى ثكناتهم وعودة الاحزاب وحرية الصحافة ·· وقد ظهر أن المقصود به أن الرئيس جمال عبد الناصر أراد أن يمتص السخط ، وبعد أيام ألغى القرار ، وبدأت الدكتاتورية تكشف عن أنيابها !

أننى أتصور أن كل ما هو مكتوب فى بيان ٣٠ مارس هو وعود لن تنفذ · وبالونات منفوخة بالهواء ، وعبارات مطاطة يمكن تفسيرها بألف تفسير وتفسير ، وأذكر كلمة قالها لى جمال عبد الناصر ·· « أنا لا أحب أن أحبس نفسى فى كلمات جامدة لابد أن يكون فى الكلمات ثغرات ليكون لى دائما حرية الحركة »

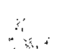

٠٠ وأنا أحسب أن بيان ٣٠ مارس يسمح للرئيس بحرية الحركة كما يشاء فالبلد يريد تغييرا ، وهو يقدم له تغييرا فى بعض الوجوه، وتغييرا فى بعض الشعارات، ولكن روح الحكم واحدة ٠ ولهذا فأنا أتوقع أن تبقى المعتقلات مع الافراج عن عدد محدود من المعتقلين السياسيين ٠ ويبقى المسجونون السياسيون فى سجونهم مع اغلاق الزنازين ١٧ ساعة بدلا من ١٨ ساعة ! وأتوقع أن تخفف الرقابة على الصحف مؤقتا ، ثم تشتد بعد ذلك وتصبح أعنف مما كانت ! وأتصور أن الحراسة سوف تستمر مع زيادة ما يصرف للموضوعين تحت الحراسة جنيهين أو ثلاثة جنيهات !

هذا هو التغيير المنتظر ٠٠ سوف يكتبون على زجاجات « السم » « ماء زمزم » ويقولون لنا اشربوا !

انني أتصور أن سبب تغيير وزير العدل وتعيين وزير جديد هو أن الوزير القديم سمح بالتحقيق فى قضايا التعذيب دون أن يستأذن !

ولقد حدث فى هذا الاسبوع أن أحيل اثنان من المسجونين السياسيين الى الطبيب الشرعى ، واستدعى مسجون سياسى ثالث لسماع أقواله فى بلاغ تعذيب ، ثم حدث أن زار السجن مقبل شاكر رئيس نيابة حلوان فى زيارته الشهرية لتفقد السجن ، وفتح باب زنزانتى ، وسألنى اذا كان لدى أى شكوى ؟ فقلت : ماذا جرى لبلاغى الى النائب العام ٠ أننى أرسلت بلاغا للنائب العام وليس لرئيس النيابة العسكرية ، فاذا ببلاغى يصل الى النيابة العسكرية بدلا من النائب العام ! وأكد لى رئيس نيابة حلوان أن بلاغى وصل الى النائب العام وأنه أمر بالتحقيق فيه ولا يعرف كيف وصل الى النيابة العسكرية !

وتركنى مقبل شاكر وذهب الى مدير السجن وسأله كيف لم يبلغنى بوصول بلاغى الى النائب العام ٠

وقال مدير السجن أن أمرا من الداخلية صدر بأن «يكتموا عليه» حتى تجىء الموافقة من فوق !

وطبعا لم تجىء الموافقة من فوق !

والسجن يعيش في جو مضطرب . فقد قيل لى أن وزارة الداخلية طلبت لفت نظر الحراس الى أنها لاحظت أنهم يعاملون المسجونين معاملة حسنة ، وأن هذه المعاملة الحسنة أسقطت هيبة الادارة ، وأنه يجب تفتيش المسجونين باستمرار حتى يعيش المسجون في قلق ولا يفكر في الهروب ! أن حياة المسجون في قلق مستمر تعرضه لانهيار عصبى ، وربما الى الجنون ، ولا أظن أن سياسة مصلحة السجون هي تحويل السجون الى مستشفى العباسية أو السراى الصفراء !

ثم صدر أمر بهدم الرفوف الخشبية التي يضع عليها المسجون حاجاته في الزنزانة . وقضى الامر بوضع كل شيء على البلاط ! ورأى أحد الضباط صورة رسمها أحد المسجونين على الجدار لابو زيد الهلالى والزير سالم فأمر بهدم الجدار . وجمع كل ما فى الزنازين وحرقها أمام العنبر ، ولم يترك لكل مسجون الا بطانيتين وبرش . أن دخول الحراس الى زنزانة مسجون وعبثهم بما فيها ، وتحطيم كل ما فيها ، يتعس المسجون تعاسة لاحد لها . والمهم أن المسجون القادر سوف يحصل خلال أيام على كل ما تحطم ، وسوف يشتريه بسجائر ، وبعضهم سوف يحرم نفسه من القوت ، لكى يحصل على البطانية الزائدة التي سحبوها منه . وينتج عن ذلك أن تسوء تغذية السجناء ويمرضوا بالسل ، وتنفق الدولة ألوف الجنيهات على علاجهم ، ويخرجوا من السجون وهم محطمون مرضى ، تعساء حانقون . لقد رأيت المسجونين اليوم بعد المذبحة التي حدثت لهم وكأنهم يسيرون في جنازة كبيرة ، كل واحد فيهم هو النعش وهو المشيعون ! .

وقيل للضباط أنهم يفرجون المسجونين على التليفزيون بغير اذن، وطلبوا أن يكون فتح التليفزيون بأمر المدير ، ومعنى هذا أن كثيرين من الضباط لن يجرؤوا على فتح التليفزيون ، وسيحرم المسجونون من متعتهم الوحيدة .

وجاءت تعليمات من مصلحة السجون بعدم ادخال أطعمة للسجون في الزيارة الشهرية العادية ، وأن يدخل الطعام للمسجون مرتين كل عام ! واذا تصورت نوع الطعام القذر الحقير الذى يقدم للمسجون ، وعرفت أن المسجون يعيش شهرا كاملا في انتظار

الزيارة العادية ليحصل على بعض الطعام الذى يعيش عليه ثلاثين يوما ، فتصور ما أحدثته هذه الاوامر الجديدة فى نفوس هؤلاء المنبوذين المعذبين التعساء !

هذه هى طريقة تطبيق بيان ٣٠ مارس فى ليمان طره .

كان الله فى عون باقى الشعب المسكين .

أننى أشعر بعذاب لاحد له ، عندما أرى حولى الافواه الجائعة والبطون الخاوية ، والاجسام الهزيلة ، والنفوس المحطمة ، والاشباح العليلة . اننى لا أجد طعما للطعام، وفى الزنزانة التى بجوارى جائع لا يجد الطعام .

كنت قد وضعت لنفسى قاعدة هنا ألا أشكو من شىء ، ولا أعترض على شىء ولا أطالب بشىء ، وأن أعطى مثلا للمقاومة السلبية . وكنت أتصور أن المسجونين يخطئون بالشكوى ، وأنهم لو وقفوا سلبيين فسيرغمون الطغاة على تحسين معاملتهم . ولكن يظهر أننى كنت مخطئا . يظهر أن هناك من لا يسمع الا اذا صرخت فى وجهه ، ومن لايرى الا اذا وضعت اصبعك فى عينيه . ان الحياة فى سجوننا تحتاج الى ثورة . ولكن الثورة يجب أن تقتلع الظالمين خارج السجن، فان كل أوامر الظلم تجىء من خارج السجن . اننا نعلم المسجونين كيف يكونون مجرمين وحاقدين وساخطين . اننا نحول البرىء الى مجرم ، والمجرم العادى الى معتاد للاجرام ، والمحكوم عليه فى جريمة ضرب الى قاتل . ان سجوننا مدارس لتخريج كبار المجرمين . ولوائح السجون هى برامج الدراسة ، ومنفذو اللائحة هم أساتذة فن الاجرام ! اننى عندما أقرأ عن معاملة المسجونين فى السجون الاجنبية فى البلاد الديموقراطية أذهل . الذى أخشاه أن يكون هذا ليس هو حال المسجونين فى السجون فقط ، أخشى أن يكون الرؤساء يعاملون العمال فى المصانع هكذا ، أو أن المديرين يعاملون الموظفين فى الادارات معاملة العبيد . هذه القسوة والوحشية وانعدام الانسانية لايمكن أن تكون مقصورة على السجون وحدها . لابد أنها تمتد الى كل مكان . ان السوط لا يختار الظهور التى يلهبها ولا الامكنة التى يضربها . انه يصيب بلذعته كل جزء من هذا الشعب . بعضنا يصرخ . وبعضنا لا يجرؤ على الصراخ . وغيرنا يهتف بحياة الضاربين !

الاجنبي الذى يزور بلادنا يعجب بالديكور ، لا يتصور أنها مناظر مرسومة على الورق ، تخفي حقائق بشعة ٠ لا أحد يفكر فى أن يرى ما خلف المناظر المسرحية المصنوعة المزوقة بأزهى الالوان ، لولا أعصار هزيمة ٥ يونيو لما سقطت بعض هذه المناظر ، ولما رأى الشعب الاهوال التى خلفها ٠

ان الذى يزور السجن مثلا يتفرج على فرقة موسيقى تعزف أعذب الالحان ، وسوف يدهش اذا عرف الحقيقة وهى أن المسجونين لا يصرح لهم بأن يسمعوا هذه الموسيقى الا اذا جاء زائر الى السجن! الزائر سوف يشهد مسرحا للعرائس ، ثم لن يصدق أن هذا المسرح لا يتفرج عليه المسجون ولا مرة واحدة فى السنة ٠ أنه مقام ليتفرج عليه الزائرون فقط لا غير ! الزائر سوف يرى حدائق غنـــاء ، وأحواشا واسعة ، وسوف يغمى عليه اذا اكتشف أن المسجونين محرم عليهم أن يضعوا أقدامهم فى هذه الحدائق ، أو أن يسيروا فى هذه الاحواش ! الزائر سوف يجد ممرات السجن وقد وضعوا حولها درابزين أنيقا من الحديد ٠٠ سوف يفجع عندما يعرف أن هذا الدرابزين هو سراير المسجونين ، وأنها نزعت منهم لتزين بها ممرات السجن ، بينما ألوف المسجونين ينامون على البلاط !

أنا أتصور أن هذا هو حالنا خارج السجن ٠ اشتراكية من نوع خاص تجعل الشعب يتضور جوعا ، وحفنة من أثرياء الاشتراكية يعيشون حياة أصحاب الملايين ٠ حرية من نوع خاص تجعـــل الشعب مكمما والصحافة مقيدة ومجلس الشعب ممنوعا من الكلام، بينما الحكام وحدهم لهم حرية الكلام !

عدالة من نوع خاص تجعل المجرمين يجلسون فى مقاعد القضاة، وتضع الابرياء فى قفص الاتهام ٠ أعياد نصر نحتفل بها ونعطل دور الحكومة والمدارس والمصانع ، بينما ثلث أرض الوطن يحتله جيش أصغر دولة فى العالم ٠

استقلال من نوع خاص ٠ السفير الروسى يتدخـــل فى تعيين الوزراء ٠ الخبراء الروس يحكمون الجيش المصرى ولا يستطيع ضابط مصرى أن يحصل على أجازة الا باذن الضابط الروسى ٠ ولا نستطيع أن نطلق مدفعا أو نحرك دبابة أو نطير طيارة الا بعد استئذان موسكو !

أنا أعتقد ان الشـــعب الآن يرى ما خلف الديكور الملون الزاهى البراق ، ولن يطيق الشعب والجيش هذا الهوان !

ان البلاد تعيش في قلق · لانها لا تعرف ماذا سيحدث لها غدا · هل اتفقت أمريكا والاتحاد السوفيتى على استمرار الوضع الراهن · أن يبقى الاحتلال الاسرائيلى كما هو ، ويبقى النفوذ الروسى كما هو ، ونعيش سنوات طويلة فى عصر لا حرب ولا سلام · وتأمل أمريكا من وراء هذا أن نيأس ونعقد صلحا مع اسرائيل ، ويأمل الاتحاد السوفيتى من وراء هذا أن نيأس ونعتنق الشيوعية ؟ انني لم أعد أصدق ماتكتبه الصحف لانني أعرف انها تعيش فى حصة املاء يومية !

والمسجونون هنا يعيشون في قلق · المســـجون يعيش فى أوامر متلاحقة وتعليمات مضادة ، وأوامر مختلفة · ما يسمح به اليوم يمنع غدا · وما يباع فى هذا الاسبوع يحرم في الاسبوع التالى · المفروض أن يعيش المسجون في قلق كباقي أفراد الشعب ، لا يعرف ماذا يأكل . ولا يعرف ماذا يشرب ، ولا يعرف كيف ينام · يحدث أن يكون نائما على السرير فى الصباح ، وفى العصر يسحبون منه السرير ، وفى المغرب يسحبون منه المرتبة ، وفى العشاء يكون نائما على الاسفلت !

يصرح لك اليوم بالذهاب الى مستشفى الســـجن لتحليل الدم ثم يصدر أمر بمنع ذهابك الى المستشـــفى لتحليل الدم ، ثم يصدر أمر ثالث بأن مفيش تحليل دم ·

ومن حسن الحظ أننى أضربت منذ دخولى الى الســـجن عن شرب الشاى · ان شرف الشاى في السجن محنة يتعرض لها المسجون ، الشاى الذى يباع للمسجون بارد،ويشبه لون العرقسوس ، ويشبه لون الخروب ، ويشبه لون التراب والطين ، ولكنه لا يشبه أبدا الشاى ! ويحاول المسجون أن يحصل على شاى يصنعه لنفسه · وهنا الطامة الكبرى · اذا ضبطوا المسجون ومعه الشاى فهذه جريمة كبرى ، واذا ضبطوا المسجون ومعه « التاوتاو » وهو وابور غاز اخترعه المسجونون فهذه جريمة أكبر ، ولكن المسجون لا يستغنى عن « التاوتاو » فهو لايستطيع أن يأكل طعامه باردا ، ولايستطيع أن يشرب الشاى دون أن يغليه · وفى كل أسبوع يهـــاجم الحراس الزنازين ويصـــادرون « التاوتاو » ويحطمونه بأقدامهم · وبعد ذلك بدقائق يحصل المسجون على «تاوتاو» جديد · والذى يدفع ثمن هذه الحماقة هو الدولة ،فان

التاوتاو من الصـــفيح الموجود في مخازن وورش الســـجن . وهكذا تتكلف الدولة آلاف الجنيهات كل شهر . لان اللوائح الغبية تمنع وجود تاوتاو . ولان المفروض أن المسجون يجب أن يأكل طعامه باردا ويشرب اللبن وكأنه الدندرمة !

حضر الى عنبرنا في ليمان طره مسجون سياسي جديد أنه الدكتور محمد حلمي عفيفي الطبيب بالاسكندرية . وهو محكوم عليه بالسجن عشر سنوات ، وتهمته الاشتراك مع ضـــباط في مؤامرة لقلب نظام الحكم .

وسألته كيف قلب نظام الحكم ؟

فقال ان كل ما حدث انه انتقد قيادة الجيش الموضوعة في السجن الآن !

قال أحد الزملاء : لابد أن يفرجوا عنك الآن بعد أن أصبحوا يقولون عنهم الآن ما كنت تقوله عنهم بالامس !

قلت ضاحكا : من حق الحكام فقط أن ينتقدوا بعضهم .. أما نحن الرعايا فليس من حقنـــا أن ننتقد أحدا ! ولهـــذا فأنا لا أعتقد انهم سيفرجون عن الدكتور حلمي عفيفي ، لان معنى الافراج عنه ان حكامنا أخطأوا في سجنه ، وحكامنا ـ لا سمح الله ـ لا يخطئون أبدا ولا يغلطون أبدا !

وروى لي الدكتور حلمي عفيفي انهم أرغموه في السجن الحربي على أن يأكل لحم قدمه الذي نهشوه بالسياط ! وخلع حذاءه فرأيت آثار التعذيب البشع ..

وقال الدكتور حلمي ان المعاملة في السجن الحربي أصبحت معقولة بعد طرد حمزة البسيوني مدير السجن السابق وسجنه . وأن باب الزنزانة يبقى مفتوحا حتى الساعة الحادية عشرة مساء ، بينما باب الزنزانة عندنا في ليمان طره يغلق في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وذكر أنه يسمح للمسجونين بالاحتفاظ بنقود معهم ، ويحضر كل يوم جندي ويسأل المسجون عمـــا يطلبه من مأكولات ويشـــتريه له من السوق ، وكل مسجون يحتفظ في زنزانته براديو ترانزستور وسخان كهربائي . وهذا شيء محرم عندنا في الليمان . والمسجون في السجن

الحربى يزوره الآن أهله مرة فى الاسبوع أو مرتين ، والزيارة تستمر حوالى الساعتين ٠

وكان قد قيل لنا فى تبرير المعاملة القاسية التى يلقاها المسجونون السياسيون فى ليمان طره ان وزير الداخلية مهتم باساءة معاملتنا اهتماما خاصا وانه يقول دائما لمساعديه « المسجون السياسى هو أخطر مجرم فى الدولة ويجب معاملته بكل شدة وقسوة وحزم » ٠

وقد حدث أن شكا المسجونون السياسيون فى الطابق الذى أنا فيه والذى يسمونه « ملحق مستشفى السجن » ـ شكوا من أن أبواب الزنزانة تغلق عليهم ٢٠ ساعة كل يوم ٠ وهذا شىء لا مثيل له فى أى مستشفى فى العالم حتى مستشفى الامراض العقلية ٠

وقال لى مقبل شاكر رئيس النيابة أنه أبلغ شكواهم الى النائب العام ، وان النائب العام اتصل بمدير مصلحة السجون فقال له المدير ان هذه أوامر الوزير شخصيا !

وقال النائب العام أنه سيتصل بشعراوى جمعة وزير الداخلية فى هذا الشأن ٠٠

وطبعا رفض شعراوى جمعة أن يلغى قراره أو يعدله ، لانه يتصور أنه سيبقى طول حياته وزيرا للداخلية يأمر وينهى ، ويستبد بالناس كما يهوى ويريد !

ولكنه لا يعرف ان الدنيا تدور ٠ وانها أشبه بصينية لونابارك تقف فوقها اليوم ، وتطيح بك غدا !

وهكذا ينفذون بيان ٣٠ مارس فى ليمان طره ؛

السبق الصحفى الاخير !

٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

عندما يصلك هذا الخطاب يكون قد مضى على فراقنا ثلاث سنوات كاملة ! نحن الذين كنا لا نفترق أبدا . واذا افترقنا كنا على لقاء مستمر بالتليفونات والبرقيات والرسائل . اننى لا أعرف كيف استطعنا أن نحتمل هذا الفراق الطويل ! كيف استطعنا أن نعيش مع هذا العذاب القاتل . ان الله أعطانا من الصبر ومن الاحتمال ومن الصمود ، ما جعلنا نستقبل هذه المحنة بايمان عجيب . اننى مازلت أذكر يوم ودعتك آخر مرة فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٥ . عندما أدرت ظهرك فى طريقك الى الطائرة . أحسست كأن الدنيا كلها أدارت ظهرها لى . كان حولى عشرات من أصدقائنا وزملائنا ، ولكننى أحسست فى تلك اللحظة أننى وحدى فى الحياة . كأن سكينا قطعت ما بينى وبين الغد ، كأن جدارا ثقيلا سقط وفرق بينى وبين الهواء والنور . كأن عصا سحرية شقت الارض وأقامت بينى وبينك بحرا واسعا . فأصبحت أنا فى عالم وأنت فى عالم آخر . يومها ذهلت لما أصابنى . لقد كان الاتفاق بيننا أننا سنلتقى بعد أسابيع . لقد حرصت أنت على أن تطلب الحضور الى القاهرة عدة مرات فى كل عام حتى لا يطول فراقنا . ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى نفترق فيها .

اننا سافرنا مئات المرات . ولكن هذه كانت المرة الاولى التى أحسست فيها بهذا الشعور العجيب . كأننى كنت أقرأ الغيب . كان الاحساس العجيب الذى يجمع التوأمين جعلنى أشعر بأن هذا الفراق سيكون مختلفا عن أى فراق آخر . وعندما كتبت وصفا لسفرك ، كان الذين يقرأون هذا الوصف يبكون . كانوا يقولون أنه أحسن ما كتبت فى حياتى . حتى الآن لا يزال الناس يذكرون الكلمة التى كتبتها فى

وداعك • ويحفظون بعض كلماتها • يرددون أغلب عباراتهـــا ، كأنها أغنية في وصف فراق حبيب • كأنها قصيدة شاعر يرثي فيها نفسه • انني بعد هذه السنوات الثلاث أتصور انني قمت بآخر سبق صحفي لي ، كأنني رثيت نفسي قبل أن أموت ، كتبت وصف جنازتي قبل أن أدخل النعش • كنت في أوقات كثيرة ، وأنا جالس في مكتبي ، أشعر برغبـة في أن أقوم بسبق صـحفي • أن أعد وصف موتي قبـل أن أموت • أن أكتب عناوين الخبر • حتى أوفر على المحررين مهمة البحث عن عنوان ، أن أكتب كلمة تلقى في حفلة التأبين ، فأكون أول ميت يتحدث الى الناس من قبره • وكثيرا من هذه الاوراق مزقتها ، وبقي بعضها في مكتبي ، ولكنني عندما كتبت الكلمة التي وصفت بها فراقنا كنت أشعر فعلا أنني وأنت سنفترق ، سنفترق لمدة طويلة جدا •

ان خطاباتك تخفف كثيرا عذاب الفراق • انها تسعدني • لون كان الامر بيدي لقرأتها كل يوم وكل ساعة ، ولكن التعليمات تقضي بأن أعيدها بعد قراءتها • ولهذا عندما أكتب اليك لا أستطيع أن أرد عليها خطابا خطابا ، لانها لا تكون معي عندما أبدأ في الكتابة اليك • ولكني أفرح بالخطاب عندما يطول ، واحزن عنـدما ينتهي ، فانني أتمنى لو كان الخطاب مكونا من ألف صـفحة ، فانني أجد لذة في أن أعيش معك كل دقيقة من حياتك ، أن أجلس مع أصدقائك ، أن أقرأ في كل كتاب تقرأ فيه ، أن أشهد معك برامج التليفزيون ومباريات الكرة • وانني أشعر كأن هذه الخطابات هي شريط وهمي يصلني بك • وعندما تتأخر الخطابات أتصور أننا نتحدث بغير كلام ونتخاطب بغير صوت• ان بين قلبي وقلبك خطا تليفونيا مستمرا ، يبقى مفتوحا طول الليل والنهار • لا تحسب فيه المحادثات بالدقائق ، وانما الاحاديث متصلة دائما • أكاد أسمع فيها نبضات قلبك ، وخلجات نفسك ، وأكاد أقرأ الافكار التي في رأسك • وأكذب عليك اذا قلت لك ان هذه الاتصالات الروحية تسعدني • انها تعـذبني لانني أحس منها بعـذابك ولوعتك وشقائك • لقد كان من أحلامي أن أدفن معك في قبر واحــد • كنت لا أريد أن أنفصل عنك حتى الموت • ولكن القدر شاء أن يفصلنا في الحياة ، نحن الذين كنا نأبى أن يفصلنا الموت • ان عملية تقسـيمنا كانت أشبه بتقسيم الذرة • فان الانفجار حطم حياتي وحطم حياتك ، وحطم أحلامنا التي كانت الدنيا لا تسعها • أنه أشبه بعملية فصـل

التوأمين السياميين اللذين ما كاد يفصلهما مشرط الجراح حتى مات الاثنان معا · وفي بعض الاوقات أشعر أنني مت . وانه لم يبق منا الا الارواح ، وان أرواحنا هي التي تتخاطب وتتناجي . فان فراقنا جعل كل واحد منا حائرا ، تائها ، محطما · انها تجربة لم يتعرض لها توأمان من قبلنا · أن يموتا وهما على قيد الحياة · أن يدفنا ولا تزال أنفاسهما تتردد · والذى نفعله الآن أشبه بعملية استحضار الارواح · نستخرج من الغيب أشباحا . ونتصور أننا نسمع أصواتنا . ونفهم كلماتها !

انني عندما أكتب اليك أشعر كأنني أكتب الى كل انسان أحبه · أكتب من الآخرة الى الدنيا ، من العدم الى الحياة . من الظلام الى النور · ولست أظن أن أهل الدنيا يستطيعون حديث الآخرة،عالمنا في السجن هو عالم تحت الارض ، جمود وخمود · جثث من الاحلام ، وجماجم من الاماني . وعظـــام داس عليها الزمن · نحن لا نرى الاشـــجار فوق الارض ، والنسيم يهز الاشجار وكأنها تغني · بل نحن نرى جذورها وهي تغوص تحت الارض وكأنها تدفن أو تبكي · ان رسائل المحبين تصبح زهورا توضع على القبور. وعندما يموت الانسان يزين قبره كله بالورود ، ثم تنقص أعداد الورود والزهور مع الايام ، وتتضاءل حتى تصبح زهرة واحدة . ثم تجف الزهرة الواحدة . فيبقى القبر عاريا ! ألا تذكر عندما كانت تذهب أمي الى مدافننا . فترى عدة قبور عارية نسيها الاحياء ، فتضع بيدها وردة على كل قبر منسي · ان المسجونين مثل هذه القبور · انني أرى لهفتهم وخيبة آمالهم وشـــحوبهم عندما يجيء من يحمل البريد . فيوزع خمسة خطابات أو ستة على مائة مسجون · انني أراهم أشـــبه بهذه القبور العارية في مدفن أسرتنا بالامام الشـــافعي ! كم تمنيت في تلك اللحظـــات أن أكتب الى كل مسجون محروم خطابا ، أن أختلق له حبيبة ، اذا لم تـكن له حبيبة تحبه . أن أصنع له من الوهم صديقا اذا كان فقد كل أصدقائه وخلانه . أن أخترع له أسرة اذا كانت أسرته تنكرت له . ولكن لا أستطيع أن أفعل ذلك . لانه مصرح لي أن أكتب خطابين اثنين كل شـــهر · انني أشعر بعذاب الآخرين · كأن دموعهم تسقط على وجهي · كأن نارهم تحرقني · كأن آلامهم تشفيني · انني أضيع في ضياعهم . وأجوع في حرمانهم . وأموت بين قبور أحلامهم . كم أتمنى أن يكون في قلبي نيل من الحب . حتى أستطيع أن أروى به كل عطاش · كم أتمنى أن يكون لدى أضـــعاف ما عندى من الصـــبر . لاوزعه على اليائسين

القانطين . كم أتمنى أن أقتسم أحلامى مع الذين ينامون في كابوس ويستيقظون فى كابوس ، لا يرون فى بسمة الغد الا قهقهة ساخرة بهم وبأحلامهم ! كل هؤلاء العرايا فيحاجة لان نغطيهم ببطانية من الامل. كل هؤلاء التائهين فى حاجة الى ايمان بالغد ينقذهم من حيرتهم . كل هذه الاشـــباح المحطمة فى حاجـــة الى الحب ، يحيي مواتهم ، ويضيء ظلامهم ، ويفتح طريق الرجاء أمام عيونهم .

ان ايمانى بالله يجعلنى أطير فى الخيال ولا أهوى الى الحقيقة . اننى لا أسأم الخيال مهما بدا وهما . كانت على حياتنا أوهاما ، فحولناها الى حقائق . ولم نيأس أبدا من رحمة الله.اذا تخلت عنا الدنيا عدونا وراءها . اذا لم تعد الينا.اذا تنكر لنا الحظ لم نغضب عليه ونلعنه، وانما لحقنا به وقدمنا أنفسنا اليه . اذا أساء صديق لنا لانحاسبه حساب الملكين ، بل نخلق له الاعذار والمبررات ونحاول أن نلوم أنفسنا على الاساءة التى أصابتنا . ان هذا الايمان هو الذى أبقى الربيع حيا فى خريفنا ، هو الذى ملأ حياتنا بالخير والحب والجمال .. وكل ما أرجوه من الله أن يبقى لنا هذا الايمان الى آخر يوم من أيام عمرنا .

اننى أشــكرك كثيرا على نصائحك بشأن العناية بصــحتى . ولكننى متضايق لان وزنى زاد ، برغم أن الاطباء يرون تخفيض هــذا الوزن ، بسبب مرض السكر ، وأننى أفكر في أن أزاول أى رياضة ، حتى يعود وزنى الى ماكان عليه ، وقد كنت سعيدا جدا بنقص وزنى ، وذلك تطبيقا لمبدأ ضرورة الاستفادة من الكوارث ، ولكن حتى هذه الفائدة لم أستطع أن أحافظ عليها . أن سبب زيادة وزنى هو عدم الحركة . اننى أسير ساعات طويلة على قدمى فى داخل الزنزانة ، أو أمام الممشى ، ولكن يبدو أن هذه الرياضة ليست كافية .

وفى الختام أقبلك . وأقول لك كل ثلاث سنوات وانت طيب .. والى اللقاء ..

خطابات المسجونين

١٠ مايو سنة ١٩٦٨

عزيزتى

السجين يفرح بكل خطاب يتلقاه · أرقب وجه الواحد منهم عندما يتلقى خطابا وقبل أن يفتحه تتغير قسمات وجهه من الحزن الى الهناء · وترتعش يداه وهو يفض الرسالة · وتلمع عيناه وهو يقرأها · أعجب أن بضع كلمات وبضعة سطور تصنع في روح المسجون كل هذا التغيير ·· الكلمة البسيطة تتحول فى أذن المسجون الى أغنية · النثر يصبح شعرا · العبارات تنقلب الى موسيقى وألحان · الورقة تستحيل الى امرأة ترقص وتمرح ، تضحك وتبكي ، تعود به الى بيته وتجمعه بأولاده · الورقة الصغيرة تكبر بين أصابع المسجون كأنها كتاب كثير الصفحات · السطر الواحد يصبح صفحة · اللفظ العادى يجد فيه المسجون بلاغة لا يحس بها الذين لم يعرفوا السجن ولم يذوقوه · المسجون في وحدته يضرب بسياط غير منظورة · لانراها وانما نحس بآلامها وهى تلهب أرواحنا · وتجيء هذه الخطابات لتمسح الجروح ، وكأن القدر الذى بيده هذا الكرباج يتوقف عن ضرباته والمسجون يقرأ خطاباته · المسجون فى وحدته أشبه بالمقعد المربوط فى مقاعد المعوقين · وتجيء هذه الخطابات وتفك أساره ، وتوقفه على قدميه ، وتروى روحه الذابلة بماء سحرى فتعيد اليها الحياة والجمال بضعة أيام ·· ثم ينضب الماء السحرى بعد أيام وتعود القيود والذبول ··أغانى الهجر وشعر البعاد والفراق يصبح لها فى أذن المسجون معان غير التى كانت لها وهو يعيش فى جنة الحرية · تماما كمنظر رغيف العيش · انه يعنى فى نظر الجائع شيئا مختلفا عما يعنى فى نظر الشبعان

وأنا أجد راحة فى كتابة الرسائل وتهريبها خارج السجن · الرسالة التى أكتبها تفك بعض سلاسلى وقيودى · تحول الآهة

الخرساء الى صرخة مسموعة أحسب أن أفواهنـــا المستغيثة لا يسمع أحد صوتها الا اذا كتبناها ٠أفكارنا المشلولة لاتتحرك الا على الورق ٠٠ انا عندما أكتب الى أصدقائي أشعر أنني أزرع أحلاما يحصدونها بخيـــالهم ٠ انني أتنفس فيهم ٠ عنـدما لا أكتب أحس أنني مكتوم الانفاس ٠٠ أختنق وأموت !

أقسى الآلام هي التي نكبتها ولانطلقها ٠ فأنا أحس في كل رسالة أنني أقول «آه» ٠ أحيانا أحاول أن أكتم الآهة في نفسي حتى لا أزعج من يحبونني وأحيانا أجد الالم قاسيا مبرحا فلا أستطيع الا ان أقول آه ! وأنا عندما أتلفت حولي وأرى المسجونين المقيدين في الاغلال ٠ أرى على شفاههم المحرومة أشلاء من قبلات مضت عليها سنوات طويلة لم تتكرر ٠٠ فبعد سنوات تتباعد القبلات وتقل الزيارات حتى تنعدم ٠ أرى في قسمات وجوههم جثثا من الاماني ٠ الاماني الحلوة تموت في الزنزانة ، فالاماني كالزهور في حاجة الى شمس وماء وهواء لتتفتح ٠ وفي الزنزانة لا تدخل الشمس ولا يدخـــل الهواء ولا يوجد الا ماء البول ! أرى في المسجونين حولي أشلاء سعادات ٠ ضحايا ٠ ضائعين ٠ تائهين ٠ مكبلين بالوحـــدة والقهر والذل والهوان ٠ وأمسك قلمي وأكتب فأحس أنني وجدت نفسي ٠ فأنا لا أكتب لاسعد الناس وانما لاسعد نفسي ٠ فالكتابة عندي هي نوع من الانانية ٠ في بعض الاحيان أحس أنني متعب فأمسك قلمي لاكتب فأستريح ، كأنني أضع رأسي على وسادة الاوهام ٠

زنزانتي لها نافذة صغيرة . والخطابات التي تصلني من أصـــدقائي وأحبائي هي نوافذ جديدة ٠ كلما كبر حجم الخطاب زادت مســـاحة الشباك ٠ كلما زاد عدد الخطابات ازداد عدد النوافذ التي أطل منها على الدنيا ٠ عندما أتسلم رسالة لا أشعر أنني كسيح ٠ أحس أنني أنطلق ٠ كل خطاب يصلني في السجن هو أشبه بزيارة لمسجون لا يزوره أحد ٠٠ زائر يبقى معه بالليل والنهار ٠

في بعض الاحيان أحس انني لست المسجون الوحيد في زنزانتي ٠ عواطفي مسجونة في روحي ٠ دموعي مسجونة في عيوني ٠ أفكاري مسجونة في رأسي ٠ أحلامي مســجونة في قيودي ٠ وعندما يصلني خطاب من الذين أحبهم أحس كأن مفتاح باب الزنزانة يطلق سراح كل هؤلاء المسجونين !

أرى المسجونين وهم يتلهفون على الاستفسار عن خطاباتهم ، كأنهم غرقى يبحثون عن قشة يتعلقون بهـــا · هذه الخطابات هي ضمادات يوقفون بها نزيف الدم من قلوبهم · هي النسمات تتسرب الى أرواحهم المخنوقة · هي شمس ربيع جميل تشرق فوق خريفهم المظلم ··

أحيانا أقرأ خطاباتهم الساذجة ·· تحوى مئات الاسماء · فيها جملة واحدة « فلان يسلم عليك ألف مليون سلام ، وفلانة تسلم عليك ألف مليون سلام » · لا شيء سوى هذا · ومع هذا يبدو على المسجون الامى وهو يســمع زميله يقرأ له خطابه كأنه تلقى فعـــلا آلاف الملايين من السلامات !

فى الخارج توجد تقاليد جميلة · هناك جمعيات لرعاية المسجونين تبحث عن كل مســـجون لا يكتب له أحـــد · تبحث عن أشـــخاص يراسلونه ، ويزورونه ، ويقدمون له الهدايا ، ويشـــعرونه أنه محل رعاية واهتمام · آلام الوحدة والنسيان والاهمال أشد وأقسى من آلام السرطان ··

أننا فى السجن لانكتب دائما بأقلامنا · أحيانا نكتب بدمائنا وأعصابنا · قد لا تكون كتاباتنا صرير أقلام ، وانما صوت السلاسل فى أيدينا وأرجلنا وأرواحنا · أحيانا نغضب على الذين نحبهم لانهم لم يكتبوا لنا ، ونقسو عليهم فى غضبنا فليعذرونا فان كتاباتنا ليست بأقلام الحبر فى أيدينا ولكن بأفواه البنادق التى تحرســـنا · نحن ننسى فى وحدتنا وفى سجننا ان الزنزانات التى نحن فيها أوسع كثيرا من الزنزانات التى سجنوا أنفسهم فيها · اذا كنا نشكو فراشنا لانه ليس وثيرا فهم لا يشكون مع أنهم ينامون كل ليلة على مسامير من الوحدة والحرمان واليأس والشـــقاء · انهم وهم يكتبون لنا بدموعهم يحاولون أن يبحثوا عن كلمات مفرحة راقصة يخفون بها هذه الدموع · الزهور التى يحملونها الينافي رسائلهم لنزينبها زنزاناتنا هى باقات زهور كانت موضوعة فوق قبور أحلامهم ، وغسلوا منها رائحة الموت لتحمل لنا عبير الحياة · كم رأيت أم مسجون تحرم نفسها من ضروريات للحياة لتجيء له بالسجائر ليدخنها · نحن لانشعر بكل تضحيات الذين يحبوننا لاننا مسجونون فى أقفاص أنانيتنا · أننا عندما أقرأ خطابات أهالى المسجونين السياسيين الى أولادهم أحس انني أسمع صوت بحة حزينة مخنوقة بالعبراتفي أنغام كلمات راقصة

أسمع أنينا أخرس فى ضوضاء ضحكات مغتصبة. أراهم يتحدثون عن الصبر والتجلد والشجاعة وقوة الاحتمال ، وأرى بين الكلمات قلوبا مكسورة ، وهم يرون بصيص الامل الذى صنعته أوهامهم يخبو ويموت ويتحول الى رماد .. اننى عندما أقرأ كلمات هـــذه الرسائل لا أقرأ حروفها ، بل أحاول أن أنفذ الى أعماقها . فأرى فيها أشباح اليأس الاسود والعذاب والقهر وهى تطل من عباراتهم الوردية. ابتساماتهم مخضبة بدموعهم . أحلامهم تمشى متعثرة فى سلاسل الحديد . خيالهم الواسع يصطدم بقفص الحقيقة الضيق فيختنق فيه . مهما يحاولوا أن يخفوا أحزانهم فان أنينهم يظهر بين الحروف ! أنا لست أعرف ما هى الحكمة فى أن تفتك الحكومة بأسرة المسجون السياسى وتطاردها . ترفت وتنقل وتحيل الى المعاش ! انها تخلق فى البلد طبقة منبوذين ، وهى لا تعلم أن هذا الاضطهاد المستمر لابد أن يؤدى الى الانفجار !

اننى مدين بتحمل شظف الحياة، فى السجن وقسوتها الى أمى! لقد عودتنى أمى أن أرضى بكل أنواع الحياة ، وأعود نفسى على قبولها . ومن أجل هذا نمت في أعظم القصور وفي أفخر فنادق العالم ثم نمت على الاسفلت ولم أشعر بهوان الانتقال من الفراش الوثير الى الاسفلت . وعرفت الملوك والرؤســاء والحكام ، وعرفت اللص والنشال وقاطع الطريق ، واختلط على الامر حينا فلم أعرف أيهم هو قاطع الطريق ! وتناولت طعامى فى أعظم مطاعم العالم ثم أكلت فى الســجن الفول المدمس المخلوط بالسوس والتراب ، وأسعدنى طبق الفول كما أسعدنى طبق « الفيزان » فى مطعم مكسيم بباريس !

أصبحت الآن فقط أفهم لماذا كانت أمى تصر على أن آكل كل طعام تقدمه لى . ترفض أن أقول لها اننى أحب هذا الصنف ولا أحب هذا الصنف . لقد جعلتنى أحب الفول المدمس وأفضله ألف مرة على الديك الرومى ..

لعلها كانت تقرأ الغيب ..

أحذية الطغاة فوق أعناقنا !

أول يونيو سنة ١٩٦٨

عزيزتى ..

لا أريد أن أثقل عليكم بالطلبات . أنا أعرف ان الحالة المالية ليست على ما يرام ، ولهذا أرجوك ألا ترسلى أى شيء الا بعد أن تتحسن الحالة المالية تماما . اننى آسف اذ أضعكم فى مثل هذه الازمات والمآزق . وأحب أن تصارحونى بكل شيء . ولا تتحملوا المتاعب وحدكم . أنا أستطيع أن أدبر نفسى هنا . وأن أرتب حياتى على أى صورة . الشيء الذى يهمنى وألح فيه ألا تربكوا أنفسكم أكثر مما ارتبكت حتى الآن . يظهر أن أحدا لا يتصور المتاعب التى يعيش فيها المسجون السياسى ، ولا المصاريف التى يضطر المسجون الى انفاقها . وقد رأيت أن أبدأ بالتوفير وأقتصد فى عدد السجائر التى أدخنها بل أقتصد فى كل شيء حتى تمر الازمة . وبعد أن تنتهى الازمة يعود كل شيء كما كان .

أحمد الله ان الناس فى داخل السجن يخـدموننى لله . لو كانوا عاملوننى كأى مسجون آخر لكانت مصيبة المصائب ! قطعة الثلج التى ثمنها قرشان فى الشارع تباع فى داخل السـجن بخمسين قرشا وأحيانا يصل ثمنها الى جنيه فى اليوم الواحد ! كل مرة يدخل الطعام الى مسجون في السجن يكلفه ذلك بين الخمسين قرشا والجنيه ! كل باب يقف عليه جمرك ،ولكى يمر الطعام علىهذه الابواب العديدة يجب أن يدفع المسجون علبة سجائر بلمونت على كل باب ، الذى يحمل الطعام يأخذ علبة سجائر ، والشاويش الذى يجيء مع الطعام يأخذ علبة سجائر ، والشاويش الذى يفتح بوابة العنبر يأخذ علبة سجائر ، والشاويش الذى يفتح الزنزانة ليدخل الطعام يأخذ علبة سجائر !

والقهوة ممنوعة · الرجل الذى يصنع لك القهوة يأخذ علبة سجائر ، لانه لو ضبط يصنع لك القهوة يوضع فى التأديب ، وتمنع عنه الشمس والهواء لمدة ستة أيام · والذى يسخن لك الطعام يأخذ علبة سجائر ، لان الولعة جريمة ، يعاقب عليها ، فهو يأخذ هذا المبلغ الكبير تعويضا له عن الخطر الذى يتعرض له بتسخين الطعام · وفى كل يوم يهاجم الحراس الزنزانات ويستولون على ما لدى المسجونين من غاز أو آلات لتسخين الطعام · ويلقون الغاز على الارض ، ويدوسون « التاوتاو » بأقدامهم !

وفى كل يوم يبدلون ويغيرون غرف المسجونين · وعندما يضطر المسجون الى الانتقال الى زنزانة جديدة ، عليه أن يدفع عدة علب سجائر يدهن بياض الجدران وينظف الزنزانة من الحشرات ، ويدفع علب سجائر أخرى ليركب النور الكهربائى . ويدفع علب سجائر ليدق الرفوف على جدران الزنزانة ! وتتكرر عمليات التغيير والتبديل والنقل فى الزنزانات . لا يكاد يستقر المسجون فى زنزانة حتى يصدر اليه أمر بالانتقال الى زنزانة أخرى . فاذا أراد أن يحتفظ بزنزانته يجب أن يدفع سجائر ليستقر فى هذه الزنزانة القديمة · ويجب أن يدفع المسجون علبتى سجائر للكهربائى شهريا . فاذا لم يدفع الجزية ، قطع الكهربائى السلك ، فانقطع النور . وبات المسجون فى ظلام ·· والكهربائى يجد دائما سببا فنيا لانقطاع النور ، لا تستطيع أن تكتشفه أكبر لجنة فنية كهربائية متخصصة فى استخراج الكهرباء من السد العالى !

والويل للمسجون الذى لا يدفع أتاوة للمسجون الذى يوزع الطعام · عدد السجائر التى يعطيها هى التى تفرق بين قطعة اللحم وقطعة العظم ! المسجون الذى لا يملك سجائر يموت جوعا . ويصاب بالسل من قلة الطعام · ولا يستطيع المسجون أن يشكو من وزير التموين المكلف بتوزيع الطعام · فهذا المسجون هو مندوب أركان حرب الليمان . وهو المكلف بأن يجىء له بأخبار المسجونين وأسرارهم ·· ومن أجل ذلك الهدف الاسمى يباح له أن يجعل المسجونين يموتون جوعا ، فى سبيل أن يعرف حضرة الضابط كل كلمة هايفة تحدث فى العنبر ! واذا غضب وزير التموين على مسجون حرمه من الطعام ، ثم أبلغ الضابط أنه يرتكب مخالفات . ويعاقب المسجون البرىء · ومن هنا يشترى المسجون نفسه بأن يدفع أتاوات يومية للمسجون الذى

يوزع الطعام ، أو يسكت عن السرقة اليوميـــة . والمغالطة فى توزيع الطعام • وهكذا يكون نصيب المسجون من الطعام نصيب اليتيم من مأدبة اللئام !

ويجيء الطعام في جرادل • ويستعملون هذه الجرادل أحيانا للبول ولا يهمهم اذا وضعوا الطعام فى جردل البول • ويصـــنعون الفول المدمس بالزيت • وما يكاد يصل جردل الفول المدمس الى العنبر حتى يجيء وزير تموين العنبر ، ويفرغ من الجردل كل ما فيه من زيت ، ويبيع الزيت للمسجونين القادرين . ويوزع على باقى المســـجونين المساكين التعساء الفول بغير زيت !

وينام المرضى على سراير ، فاذا لم يدفع المســـجون المريض علبة سجائر لرئيس الممرضين أو للممرض وجد نفسه نائما على الارض • ويجد الممرض دائما فتوى فنية قانونية طبية تقتضى سحب السرير من المسجون المريض الذى لم يدفع علبة السجائر •

ومن المناظر العجيبة ما يحدث عندما يموت أحـــد المسجونين فى السجن • لا يكاد يلفظ النفس الاخير ، حتى يستخرج الممرض تذكرة علاجه ، ويضيف اليها عشرات الادوية الغالية ، من كلور مايســـين وبنسلين وفيتامينات . وكلها موزعة ومقسمة بعناية على الايام التى كان المسجون فيها مريضا • ويبلغ مجموعها عادة حوالى ثلثمائة جنيه • • فلا تكاد تطلع على تذكرة علاج المسجون المتوفى حتى تبدى اعجابك بالاهتمام الشديد بالمسجونين المرضى ، فى حين ان الذى حدث فى الحقيقة هو أن أحدا لم يصرف للمسجون دواء واحدا بمليم واحد وهو على قيد الحياة ، وعندما مات قيدوا على حســـابه جميع الادوية الغالية التى سرقها الممرضـــون ، وبذلك يقيم الممرضـــون فرحا بدل المأتم للمسجون الفقيد ، فان وفاته السعيدة سوف تؤدى الى أن تصـــبح جميع دفاتر السجن سليمة ، والعهدة كامنة ، ولائحة المخازن منفذة حرفيا !

وحدث فى هذا الاسبوع أن تأخر بعض المرضى الذين ينامون على سراير فى عنبر واحد الذى أقيم فيه عن دفع الجزية ، وصـــدر قرار باخراجهم جميعا من المستشفى ، وأسرع خمسة منهم ودفعوا الجزية فأعيدت لهم السراير فى الحال ، وفى اليوم التالى بدأت المفاوضات مع

عدد آخر من الذين ذاقوا النوم على الارض ، فدفعوا الجزية ، فتقرر أن يناموا على سراير من جديد ·

ولايستطيع الاطباء أن يفعلوا شيئا ليواجهوا علي بابا والاربعين حرامي · الممرض الشاطر يربح أكثر من الجراح الممتاز · وهو أشبه بمأذون القرية الذي يستطيع بسهولة ، أن يحلل الحرام ويحرم الحلال ، ويجد من النصوص البلهاء والقواعد والسوابق ما يبرر علبة السجائر التى أخذها ، أو يعاقب من امتنعوا عن دفع الجزية !

وبعض الشاويشية يقاسمون المسجون فى كل شيء · بعض فقراء المسجونين يحملون جرادل بول المساجين وبرازهم من الزنزانات . ويتقاضون سجائر فى مقابل هذا العمل الشاق الذى يستدعى أن يصعدوا مئات الدرجات خلال أربعة أدوار ، وينزلوا أربعة أدوار عدة مرات فى اليوم · وكان المفروض أن يستفيد هذا المسجون المسحوق من السجائر التى يحصل عليها ليشترى ما يحتاجه من طعام · ولكن الشاويش الشاطر يقاسم هذا المسجون البائس فى السجائر القليلة التى يحصل عليها · فاذا لم يدفع الجزية ، حرمه من شرف خدمة الادوار ، وتركه فى زنزانته يتضور جوعا · وكلما اشتد الغلاء فى الخارج زاد بؤس المسجونين فى الداخل · فالشاويش يتقاضى عادة فرق زيادة الاسعار ، فاذا ارتفع سعر السكر ثلاثة قروش يجب أن يدفع المسجون الجزية ثلاثة قروش حتى يوازن السجان ميزانيته !

أعتقد ان الصورة الصغيرة التى نراها فى السجن هى مصغر الصورة الكبيرة لخارج السجن · نفس الفساد · نفس الظلم · نفس الاستغلال · نفس الفراعنة الصغار الذين يمتصون دم المسحوقين والضعفاء ويدوسون عليهم بأقدامهم ·

الطغيان الكبير هو أشبه بمصنع للاحذية يصنع أحذية صغيرة تدوس على رقاب الضعفاء !

عصفور فوق نافذتي

٥ يونيو سنة ١٩٦٨

أخي العزيز

رأيت عصفورا يبكي على نافذة زنزانتي · أنها أول مرة تبدو زقزقة العصافير كأنها دموع وبكاء · ترى هل أصبحت نافذة زنزانتي حائط مبكى جديدا للطيور تهرع اليه لتندب وتبكي وتصرخ وتصيح · ألم يكفني أن زنزانتي غرقى في دموع البائسين · تكاد تحترق من أشواقهم · تمتلىء بأحزانهم وأناتهم · كل المسجونين يجيئون الى زنزانتي ليبكوا فيها ، ليحملوا الى متاعبهم وآهاتهم وعذاباتهم كأنني أصبحت مخزنا لآلامهم · يفرغون عندي ما في قلوبهم من مآس · وما في عيونهم من دموع · وما في رؤوسهم من مصائب · يتركونني مع كل هذه العذابات وينصرفون كأنني مكلف أن أحمل على ظهري آلام البشر · كأنه لا يكفيني بلائي وعذابي وشقائي · وتعودت ألا أقفل قلبي أمام باك ، ولا أغلق أذني أمام صراخ مظلوم · انني أحاول أن أبيع الاماني للاشقياء ، وأبيع الاحلام لليائسين · أقبض دموعهم وأسلمهم أحلاما وآمالا وأماني عذابا ! أنا البنك المفلس الذي يقرض المأزومين · أنا المريض الذي يصف الدواء للمرضى والاطباء · وفي بعض الاحيان أخاف أن يضبطني هؤلاء الذين أبيعهم الاحلام ، ويكتشفوا أنني أبيع لهم الاوهام · أخشى أن يعلموا أن دوائي ليس ترياقا لبكائهم ، وانما هو ذوب دموعهم · أخشى أن يكتشفوا أنني أنصب عليهم وأحتال · وان شيكات الاحلام التي أعطيها لهم كلها بغير رصيد · ولكنهم يخرجون من زنزانتي سعداء ، كأنهم خلعوا عندي شقاءهم ، وارتدوا أثواب الاماني التي قدمتها اليهم · ومن حسن حظي أنهم لا ينظرون الى المرايا ، والا لعرفوا أنهم عراة !

ولكن ما الذى جاء بهذا العصفور الى نافذة زنزانتى ليبكى ؟ ولماذا يبكى ؟ وضحكت أنه اختار شباك زنزانتى ، دون نوافذ الدنيا كلها ، ليذرف دموعه عندى وازداد ضحكى ! فالعصفور الطليق يبكى ، وأنا المسجون أضحك ! ما أغرب الدنيا ٠٠ على شفتى الحر دمعة ، وفى وجه الاسير ابتسامة !! هل العصفور يخدعنى كما أخدعه ؟ هل يبكى ليعزينى ، كما أنا أضحك لاسرى عنه ؟ هل يشقيه منظرى مقيدا فى الاسر ، ويسعدنى منظره وهو منطلق فى حياة الاحرار ! ولكن ما يدرينى ان كان هذا العصفور حرا ٠ كم من الذين لا قيود فى أيديهم يشعرون بأغلال فى قلوبهم ، وبسلاسل فى أرواحهم ٠ لعل هذا العصفور يشعر ان أحدا يطارده ، والمطارد لا يشعر بالحرية ، أو لعل العصفور يخاف من بندقية تصطاده ، والخائف يفقد حريته ٠ ما أدرانى أنه ليس مسجونا مثلى قادما من سجن أو فى طريقه الى سجن ؟

وشعرت برغبة فى أن أتحدث الى العصفور ٠ ونحن المسجونين عندما تغلق علينا الابواب نشعر برغبة شديدة فى أن نتحدث ٠ نتحدث الى الجدران ٠ نتحدث الى القضبان ٠ نتحدث الى الباب المغلق ٠ نتحدث الى أنفسنا ٠ ثم نكتشف أثناء الحديث أننا تحولنا الى جدران وقضبان وسلاسل ٠ قد لا تكون فينا صلابتها ٠ ولكن فينا جمودها !

ولكن ماذا أقول للعصفور ٠ ان فى فمى ماء ساخنا ٠ النار المشتعلة فى نفسى تجعل لعابى يغلى ، فأقفل فمى ، حتى لا تخرج منه الحمم ، كما تخرج القذائف الساخنة من البركان ٠ فى فمى ماء الحنظل ، فى حلقى مرارة الظلم ، أنفاس ساخنة كلعنات المظلومين ٠ قلبى كالخرائب والاطلال فيه رائحة الهجر والترك والاهمال ٠ كل كلمة من فمى ستخرج كرصاص مدفع رشاش ، كغازات خانقة حارقة ، كقنابل النابالم ٠ فلأقفل فمى أيضا حتى لا يصاب العصفور المسكين ببعض الرشاش !

ورأيت العصفور يتطلع الى ٠ هل رآنى من قبل فأدهشه الفرق بين ما كنت وأصبحت ؟ ٠ أنه يتطلع الى شعر رأسى ٠ لعله يعد الشعرات البيضاء لعله تعب من عدها واحصائها ٠ فاذا تعب من الاحصاء ، فسوف يتعب أكثر ،اذا عرف ان كل شعرة بيضاء فى رأسى تمثل عذابا وتعذيبا ، تمثل ضربة سوط ، أو طعنة خنجر ٠ تمثل تهمة ظالمة ٠ أو

حملة غاشمة. تمثل خيانة صديق أو نكران جميل من شخص خدمته. تمثل ليالى لم أذق فيها النوم ، وأياما لم أذق فيها الطعام . العصفور يتطلع الى تجاعيد وجهي . هل استطاع الزمن أن يكتب على وجهى كل مأساتي ؟ أم أن الرقابة شطبت كثيرا من الخطوط ، لو أن الزمن حفر في وجهى كل ما رأيت لتحول وجهى كله الى خطوط وحفر وتجاعيد . العصفور يحملق فى عينى ، وكأنه يطل على قلبى . يبحث عن ذلك البريق الذى كان فى عينى فلا يجده . وما العيون الا مرايا . تنطبع عليها ما تراه . هى الاخرى تلمع وتنطفىء وتنير وتظلم ، ترتسم فيها مواكب الظافرين وطوابير المقهورين . لعل العصفور يطل في عينى ليرى أعماقى . ليرى مسيحا مصلوبا بلا خطيئة ، مشنوقا بلا جريمة ، معلقا على مقصلة بغير ذنب ، مسجونا يجر سلاسله وقيوده . يعيش فى بحر من الوحل والطين . فى عالم مقلوب . نحن فيه الصاعدون الى الحضيض . الهابطون الى القباب . الراكعون واقفين ، والواقفون راكعين ! عالم يمشى على رأسه ، ويفكر بقدميه . عالم الصامتين فى ضوضاء الخرس الذين يثرثرون . عالم من المنبوذين الحائرين ، الممزقين الملعونين ، المغلوبين فى غير معركة ، المدفونين على قيد الحياة !

هذا العصفور سيىء الحظ . جاء الى دكانى بعد مواعيد العمل . بعد أن أغلقت باب زنزانتى ، وانصرف الزبائن . منذ دقائق فقط كنت أبيع الامل بلا ثمن . وأبيع الاحلام بلا ثمن ، وأبيع الزهور بلا ثمن ، وأبيع الشمس بلا ثمن . كنت أضمد جراح زملائى المسجونين الذين يستنجدون بالصيدلية التى فتحتها فى قلبى أبيع مجانا بلسما لكل جرح ، ودواء لكل مرض . فهل بعت كل الادوية التى عندى ، ولم يبق عندى دواء يشفينى ؟ أم أن أدويتي ومراهمي أعجز من أن تشفى مرضى العضال ؟ غريب أن أخترع الادوية المنومة للناس وأبقى وحدى ساهرا وأن أضع كفى على رؤوسهم لاخفف حرارتها ، ولا أجد كفا تمسح جروح روحى . وأن أضع الضحكات فوق شفاههم ، ولا أجد بسمة أضعها فى قلبى الحزين . جراح قلوبهم أحدثتها شكة دبوس ، وجراح قلبى صنعتها طعنات خناجر . النزيف من الخارج يمكن أن يشفى ، ولكن النزيف من الداخل مستحيل الشفاء . ما أقسى أن تشرب القلق والارق وتفرز الاطمئنان والنوم . ما أقسى أن تعيش فى كهف وتفكر بعقلية القصور . أن تضع أصابعك فى آذانك

تسدها لتسمع ! أن تغلق عينيك لترى الحقيقة ! أن تدخل لسانك في فمك لتتكلم · ما أقسى أن توزع كئوس الاحلام على الشاربين وأنت أكثر منهم عطشا ، تسكرهم خمرك ، وتجعلك تفيق فى وقت أنت فى أشد الحاجة أن تخدر روحك حتى لا تشعر بما فيها من آلام

قلبى سجين بغير قضبان · مقيد دون سلاسل · أبوابه مغلقة · نوافذه موصدة· ظلامه دامس· بين وقت وآخر أشعر أنهم نزعوا قلبى وأخذوه الى غرف التعذيب ، وصلبوه ، وجلدوه ، وعذبوه ، وضربوه بالسياط · زاد عدد الجروح فى قلبى حتى أصبحت أتصور أن قلبى كله أصبح جرحا · ومع ذلك فان وظيفتى فى السجن أن أضمد جروح المسجونين ·

العصفور حسن الحظ لانه تأخر فى قدومه عندى ساعة · لولا ذلك لرأى صديقي السجين رقم واحـد · دخل زنزانتي وهو ممزق مقطع الاوصال · كأنه دخل زنزانتي على دفعات · كأنه قطع ممزقة وأعضاء متفرقة وأوصال قطعت بالسكين · وظيفتى أن أحاول أن أعيد هذه البقايا الى بشر جديد · لقد تزوج لمدة شهر ونصف شهر ثم زجوا به فى السجن · ومضى على فراقهما ثلاث سنوات · تكتب هى اليه كل يوم ، ويكتب هو اليها كل يوم · ثم مضى شهر ولم تكتب له خطابا واحدا · وجاء موعد الزيارة فلم تحضر · يا للخائنة ! انها لم تصمد لضربات الزمن · حنثت فى ايماناتها · زاده يأكله غيره · الوردة التى زرعها وتعهدها قطعها الغريب · أخذ الغريب الرحيق وترك له شوك العذاب · كان يتحدث وكأن لعنات الدنيا انصبت عليه · منبوذ · محطم · مغلوب · مقهور !

كنت أشعر فى قرارة نفسى أنه يظلم زوجته · يتصور أن الشهر ونصف الشهر زواجا تكفى المرأة زادا تعيش عليه ثلاث سنوات من العذاب · لو أن قبلاته قسمت على سنوات الفراق لما أصابها قبلة واحدة كل أسبوع · كم نقسو عندما نطلب من المحرومين أن يعيشوا سنوات على ذكرى دقائق شبعوا فيها ! نحن ننسى أن الالم يترك فينا أثرا أكثر مما تترك السعادة ·الفقير يذكر طوال حياته تفاصيل فقره وجوعه وحرمانه، بينما الغنى لايكاد يذكر ما استمتع به من مآدب شهية وحياة باذخة ! أردت أن أقول له يكفى هـــذه المرأة ان عاشت ثلاث سنوات شريدة طريدة مهجورة مهزومة ، تفكر طوال لياليها فى رجـل مسجون الى الابد · تحتضن الورق بدلا من اللحم · تحاول أن تخدع

نفسها بأن حرارة الانفاس يمكن أن تستغنى عنها بحرارة الكلمات ٠ الناس كالمعادن، بعضها لا يتحمل النار الا دقائق ثم ينصهر، وبعضها يصمد أياما ، وأقلها شهورا ، وأندرها ثلاث سنوات ! ثلاث سنوات انتظار أيها الظالم كم تريد منها أن تنتظر أكثر! ولكن لم أرض أن أفجع صاحبي بهذه الآراء ، بل قلت له ان الغائب حجته معه ، وانه لابد أن هناك من الاسباب الوجيهة الهامة ما جعلها تتوقف عن الكتابة ٠ الحب لايموت بالسكته القلبية٠ يموت بالشيخوخة عادة٠ غير معقول أن تكتب لك زوجتك خطابا كل يوم ثم تتوقف فجأة ٠ الذى يحدث دائما أن تبدأ وتكتب كل يومين ، ثم كل أسبوع ، ثم كل شهر ، ثم تنقطع عن الكتابة ٠ أنت تشكو من أنك حرمت من محاكمة عادلة٠لم يسمع أحد دفاعك ، كيف تجيء اليوم وتظــــلم زوجتك كما ظلموك ، وتحاكمها غيابيا ، وتحكم عليها بغير أن تسمع كلمة دفاع ؟ عليك أن تختلق لها الاعذار اذا لم تقدم لك الاعذار والمبررات ٠

ولكن صاحبي لم يستمع لنصحي ، وكتب الى زوجته خطابا مليئا بالاتهامات : انها غادرة كالزمان٠ خائنة كالايام٠ متقلبة كالاحداث جبارة كالحكام !

وجاء الرد منهـــا يقول « لم أكتب لك لأنني لا أملك ثمن طـابع البريد ٠ لم أزرك فى السجن لانني لا أملك أجر الركوب ٠ لولا مرضي لمشيت على قدمي ثلاث ساعات حتىأصل من بيتيالى سجنك ٠ انني أخفيت عنك عذابي حتى لا أزيد عذابك٠ بعت كل ما فى البيت لآكل وأكتب اليك ولازورك مرة كل شهر بقيت معى بضعة قروش، وكنت أفضل ألا أشترى رغيف الخبز لكى أشترى طابع البريد ٠ وأخفيت عنك عدة مرات أنني زرتك عدة مرات مشيا على الأقدام ٠ كنت أغادر بيتي فى عابدين فى الفجر فأصل الى ليمان طره عند الظهر ، واقف عنـد بوابة السجن أمسح حذائي ، وأجفف عرقي ، وأخفي تعبي تحت المكياج الذى استعرته من جارتي ، لكيلا ترى ما تحت البودرة من شقاء ٠ لم يبق جار لى لم أقترض منه ولا صديق لك لم يهرب مني ٠ ياحبيبي ! أن الذى خانك ليس قلبي ، وانما هو طابع البريد الذى لا أجد ثمنه » ٠

* * *

وخرج زميـــلي المسجون الاول ليدخـــل المسجون الثاني زنزانتي ، وقد كان له قبل أن يدخل الى السجنزوجة وعشيقة ٠ ما كادت تحكم

عليه المحكمة بالاشغال الشاقه المؤبدة حتى أنكرته الزوجة وتخلت عنه ، ووقفت العشيقة بجانبه ، كانت العاشقة تبيع نفسها كل ليلة لتوفر لعشيقها السجين السجائر التي يدخنها ، والاطعمة التي يأكلها ، والدواء الذى يحتاج اليه ٠٠

ولم يعجب الزوجة أن تصمد الغانيه وتنهار هي ، فأبلغت الزوجه سلطات الامن ضد العشيقة بأنها تقوم بنشاط سياسى منسبوه ٠ وزج بالعشيقة الى السجن ٠ وانقطع الطعام وانقطعت السجائر وانقطع الدواء ٠ وانهارت صحه المسجون العاشق المريض ، ونقل بين الحياة والموت الى مستشفى الحميات ٠ وهناك عرف ممرضه وأحبته وبدأت تقتطع من مرتبها البسيط ثمن سجائره وطعامه ودوائه ٠ وشفي العاشق وعاد الينا في الليمان من جديد ٠٠ وخرجت الغانية من سجنها ، وعادت تبيع نفسها من أجل أن تشترى الدواء للسجين المريض بأمراض أخرى غير الحمى ٠٠ ووبخ الزوجة ضميرها فقررت أن تعود وتقف الى جوار زوجها ووالد أولادها ٠ واستمرت الممرضة تحرم نفسها من ضرورات الحياة لترسل له كل شهر مبلغا على السجن !

وكان العاشق الدون جوان يكاتب الثلاث معا ٠ ويوهم كل واحدة منهن أنها الوحيدة التي وقفت بجواره في محنته ٠ واستطاع حمدى أن يقسم الزيارات على العاشقات الثلاث ، وأفهم كل واحدة منهن أن الزيارة أصبحت مرة واحدة كل ثلاثة شهور لا مرة واحدة كل شهر ٠٠ وصدقت العاشقات الساذجات ٠ ثم حدثت المفاجأة ، واكتشفت العاشقات الثلاث علاقة العاشق المسجون بهن جميعا ٠

وأسقط في يد العاشق وهرول حمدى الى زنزانتي يسألني ماذا يفعل ازاء هذه الكارثة التى حلت به ؟ عليه الآن أن يختار بين الثلاث ٠ هل يختار الغانية أو الممرضة أو زوجته السابقة أم أولاده؟

قلت له أن أى شحص غيرى ستسأله سيقول لك أن تختار أم أولادك ٠ ولكنني لا أقولها ٠ المرأة التى تخلت بالأمس سوف تتخلى عنك غدا ٠ أنها لا تقف بجوارك من أجلك ، وانما لتنتقم من كل امرأة أخرى وقفت الى جانبك ٠ وأحب أن تعلم انني لا أختار لنفسي وانما أختار لك ٠ وأعتقد أن الممرضة لن تنفعك ٠ أو على الاصح لن تنفعها،

واجبك أن تتركها لتعيش حياتها ، وهى فى حاجه الى هذه القروش التى ترسلها لك كل شهر · ولهذا فاننى أختار لك الغانية · لأنها ضحت من أجلك أكثر مما ضحت الزوجة والممرضة ، لأنها دخلت السجن بسببك · لأنها عادت اليك بعد خروجها من السجن ، وقد كان يكفيها أنها فعلت لك كل ما فعلت حتى سجنت من أجلك ·

ولست أعرف هل قبل حمدى نصيحتى أم لا ؟

وقال أحد زملائنا أن حمدى سيختار من تحول له مبلغا أكبر !

وضحك حمدى وقال أنه قرر أن يحاول الاحتفاظ بالثلاث معا !

وخبرتى به كدون جوان قدير تجعلنى أعتقد أنه سوف يستطيع ذلك !!

* * *

ثم دخل المسجون الثالث وقد تقوس ظهره ، يحمل همومه على كتفيه · وذكر أنه تزوج وقبض عليه وهو فى شهر العسل ، وتعرض لتعذيب لا يطيقه بشر ، واضطر أن يعترف كذبا على زوج شقيقة زوجته وعلى شقيق زوجته أنهم شركاؤه فى المؤامرة المزعومة!

وهاجمته أسرة زوجته لأنه أعترف على أولادها من وطأة التعذيب ، وبهذا خرب البيت كله ! وثارت أمه على أسرة عروسه ، وطردتها من البيت ، لأنها جاءت وجاء النحس معها · وأنه لولا شقيقها وزوج شقيقتها لما حكم على أبنها بالسجن المؤبد · وأرسلت الأم الى ولدها المسجون تقول له « أما أنا ···· وأما زوجتك » ·· وأرسلت الزوجة تقول له « أما أنا ···· واما أمك » ··

وجاء زميلى المسجون الثالث يسألنى ماذا يفعل ؟ هو يحب زوجته ويحب أمه · لا يريد أن يتخلى عن أمه ولا يريد أن يتخلى عن زوجته · وأنا بطبيعتى أقف بجوار الأم فى كل مشكلة دون أن أفكر · هذه نقطة ضعف فى · قلبى هو الذى يفكر فى أى مشكلة فيها أم ·

وقرأت خطاب الزوجة التعسة وهى تصف كيف أنها تعيش الآن فى بيت أمها فى جو عدائى لزوجها ، وهى ممزقة بين شقيقتها وبين

روجها • حائرة بين بيت عاشت فيه طوال عمرها ، وبيت عاشت فيه أياما • ثم هي فوجئت بجنين في بطنها • لا أحد يريده !والزوج المسكين لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا عن بيته ، ولا عن الجنين الذى فى بطن وزجته • وهو يرى بيته يتهدم ولا يستطيع أن يمد يده ليمنع المعاول التى تهدمه • ولقد نصحته أن يؤجل قراره • وقد يستطيع الزمن أن يمحو الكراهية من قلب أمه • قد يستطيع الجنين عندما يولد أن يجمع بين الأسرتين المتنافرتين • قد تشعر الزوجة أنها لا تستطيع أن تصبر أكثر مما صبرت وتطلب الطلاق • أو نصمد أمام الضربات فتستحق أن تقف بجوارها • الوقت هو الذى يصدر القرار ولست أنت •

أنظمة السجن فى بلادنا لا تحكم على المخطىء وحده • أنها تعاقب الأسرة كلها تتفنن فى تعذيبها وتمزيقها وتشريدها • نقطع العلاقة بين رب الأسرة وأفرادها . وتتركهم معلقين من أرجلهم فى الهواء • النظام الذى منع المسجونين السياسيين ثلاث سنوت من أن يكتبوا خطابا الى أفراد أسرهم ، أو يتلقوا منهم خطابات الا بطريق التهريب ! النظام الذى منع المسجونين السياسيين ثلاث سنوات من لقاء زوجاتهم وأولادهم •• النظام الذى يجعل المسجون يقابل أسرته لمدة دقائق وهو محشور فى قفص فيه عشرات المسجونين يتكلمون فى وقت واحد ! هذا النظام يحطم الأسر ، ويمزق العلاقات الانسانية ، ويشرد الأطفال الأبرياء ، يعهر الزوجات ويخرب البيوت فالحكم الذى يصدر لم يعد حكما ضد فرد واحد ، انما هو ضد الأسرة كلها • وهذا عودة الى شريعة الغاب أيام كانت تعذب القرية كلها بذنب فرد واحد من أفرادها !

وفجأة طار العصفور من نافذة زنزانتى •

لعل آرائى لم تعجبه ، لعله شعر أن هذه الآراء مسجونة مثلى ، مقيدة مثلى بالسلاسل والأغلال • أو لعله ضاق بالآهات والزفرات والعبرات فى زنزانتى فطار يبحث عن نافذة قوم أحرار !

البحث عن نوبتجى للدولة!

٢٥ يونيو ١٩٦٨

أخى العزيز

قلت لك أن العملة المستعملة فى السجن هى علبة السجاير البلمونت · وهى عملة صعبة مثل الدولار الأمريكى أو المارك الألمانى أو الفرنك السويسرى · وثمن علبة السجاير يرتفع وينخفض طبقا لبورصة خاصة · فهى تنخفض فى أيام فتح كانتين السجن وترتفع عند اغلاق الكانتين · وفى السجن بنوك · بعض المسجونين تخصصوا فى اقراض علب السجاير بالفايظ ، فهو يعطيك علبة سجاير اليوم ، ويأخذ بعد أسبوع أو أسبوعين علبة ونصف علبة أو علبتين · ويوجد فى السجن كما يوجد فى الحياة نصابون ، يقترضون السجائر من المسجون ، ولا يعيدون ما يقترضون ، وكلما علت مراكزهم فى حياتهم قبل السجن زادت عمليات النصب والاحتيال · والعجيب أن الفقراء والجهلاء والمحتاجين لاينصبون ،وانما الذين تخصصوا فى النصب مسجونون من أسرطيبة ومن القادرين · وكثيرا ما تشترى هنا علبة سجائر ، وبعد أن تفتحها لا تجد فيها سيجارة واحدة ، فقد حشيت العلبة ورقا وأغلقت بمهارة بحيث تخدع أى عين خبيرة · وحدث لى هذه الحادثة أخيرا · وعندما فوجئت بها أغرقت فى الضحك على خيبتى !

أمضيت أياما فى تعاسة لا حد لها · المسجون النوبتجى الذى ينظف زنزانتى ويحمل جردل البول ويجىء لى بجردل ماء الشرب نقلوه الى عنبر آخر لأنه رفض أن يكون جاسوسا على ! كان له عيوب كثيرة ، ولكننى تعودت عليه ، فأنا أكره التغيير والتبديل فى الذين يخدموننى ، وجربت مسجونين أخرين · وكان أحدهم قذرا ، حتى

عندما تراه يحمل جردل البول تتساءل من منهما جردل البول !
واذا حمل الطبق بين يديه أغمى عليك وعدلت عن تناول أى طعام ·
وعندما يدخل الزنزانة لينظفها يحمل اليها كميات لا حد لها من البق والذباب والصراصير والناموس حتى نحسبه جمعية الحشرات بنصها وفصها · وهو لايفهم أى شيء ، تطلب علبة السجائر فيجيء لك بالحذاء ، وتطلب علبة كبريت فيحضر لك صابونة ،وتطلب كوب ماء فيجيء لك بجردل البول · وكنت أتصور أن هذه القذارة نتيجة الحرمان ، وعندما أعطيته سجائر ليستحم وليشترى ملابس جديدة أخذها واشترى قطعة حشيش ! ورفض أن يقتنع بأن النظافة من الايمان ، وهو يعتبر أن الاستحمام وقاحة وقلة أدب لأنه يضطر الى خلع ملابسه أمام الناس والحمامات في السجن جماعية ، ولهذا فهو لا يستحم الا في الأعياد الرسمية !

واستقال النوبتجي احتجاجا على تدخلي بين البصله وقشرتها واصرارى على أنه لابد أن يستحم مرة كل يوم!وكان النوبتجي الثاني قاطع طريق . لايدخل الزنزانة الا ويخرج منها وقد سرق شيئا وهو لايفرق بين الرخيص والثمين · يسرق الجريدة · وهو لايقرأ ولايكتب ويسرق دواء السكر وهو ليس مريضا بالسكر · وفي خلال ٢٤ ساعة اكتشفت أنه سرق كل شيء في الزنزانة ولم يبق فيها سواى· ولما كنت نصحتني بأن أحرص على نفسى ، فقد رأيت أن استغنى عنه حتى لايسرقني أنا أيضا !

والنوبتجي الثالث كان يعمل في زاوية العميان · وهو يصطدم بكل شيء في الزنزانة . ولايكاد يدخل الزنزانة حتى يقلب كل ما فيها ، الكرسي يقع·الطبق يقع حتى السرير نفسه يقع أيضا·ولكى أتخلص من هذه « الواقعة السودة » تخلصت منه أيضا !

واذا بمسجون سياسي حاصل على شهادة كلية الآداب يعرض أن يقوم بخدمتي وخجلت أن يكون النوبتجي الذى يخدمني حامل شهادة عليا . ولكنه أصر على طلبه . ووجدته شابا متعلما ممتازا أمينا بجعلته سكرتيرى الخاص . واخترت فلاحا من الصعيد ليكون النوبتجي وهو قاتل ولكنه يخاف من خياله · الحكم عليه يقول أنه مجرم أثيم وحقيقته أنه مظلوم برىء · كان يعمل خادما عند عمدة برى . وأراد العمدة أن يتخلص من خصم له فأطلق عليه الرصاص

وقتله . واتفق مع نجيب على أن يعترف بأنه القاتل فى مقابل ان يدفع لاسرته ثلاثه جنيهات كل شهر . وقبـــل نجيب ان يحكم عليـه بالأشغال الشاقه المؤبدة لتأخذ أسرته ثلاثه جنيهات كل شهر .! وهو يتصور أنه عقد صفقة رابحه . أسرته تأكل بالجنيهات الثلاثة وهو يأكل مجانا في السجن ، وفى السجن تجد كثيرا من هذا النوع من المتبرعين بأنهم ارتكبوا جرائم لم يرتكبوها ، أو قتلوا أشخاصا لم يقتلوهم ولم يعرفوهم !

تنص لائحة السجن على أن المستشفى يصرف للمسجون المريض بالسكر ربع فرخة .. ولما كانت عين الحكومة بصيرة ويدها قصيرة ، فانها استبدلت بالفراخ البيض، وهى تصرف لنا الآن ١١ بيضة كل أسبوع .. وأفاجأ كل مرة بأن عشر بيضات فاسدة وبيضة واحدة طيبة ، ويقول المرض أن حظى من السماء ان وجدت بيضة جيدة من ١١ بيضة ، وأن غيرى من المسجونين غير المحظوظين لم يجدوا بيضة واحدة جيدة .' ويظهر أن السر فى ذلك أن البيض يصرف لنا بدل الفراخ ولهذا يحرص بائع البيض على أن يضع كتكوتا في كل بيضة !

وأنا أستطيع وأنا جالس في زنزانتى أن أعرف حالة الدولة فى الخارج .! الظلم الذى أراه هنا . الاستبداد . السرقة . الرشوة . استغلال النفوذ . المحسوبية . الرغبة في اذلال الناس . تحكم القوى فى الضعيف . الطلاء الخارجى الذى يخفى الخرائب الداخلية . النهب والتهليب . كل هذه صور مصغرة لما يحدث خارج السجن . أنا أرى بلدى فى داخل سجن ، أؤمن أن القيود هى التى تولد المخالفات . الأنظمة الدكتاتورية هى التى تقتل شخصيه الأفراد وتحولهم الى قطيع . لقد مضى الآن أكثر من عام على الهزيمة ولم يحدث فى مصر أى شىء يدل على أننا تقدمنا شبرا واحدا . لم نستطع أن نحرر شبرا واحدا من أرضنا المحتلة لم نستطع أن نحطم سلسلة واحدة ولاقيدا واحدا من الاغلال المقيد بها هذا الشعب . مازلنا نحارب بالكلام وبالشعارات . لم يحدث فى التاريخ أن دولة كبيرة قامت على الشتائم والسباب .. من يقرأ صحفنا يشعر أننا لم نتعلم شيئا ! مازالت الصحافة مكممة ، والرأى الآخر محجوبا عن الناس . مازلنا نحاول الانتصار بعقلية الهزيمة وأسلحة الهزيمة ورجال الهزيمة .!

أن الأنبـاء التى تجىء الينـا من خارج السجن عن حالة البلد مروعة · عملية بناء القوات المسلحة سوف تحتاج الى بضع سنوات · الروس يعتقدون أن استمرار حالة اللاحرب واللاسلم سوف يؤدى الى قيام حكم شيوعى في مصر ·الامريكان يعتقدون أنه لن تقوم لنا قائمة · وأن هزيمتنا أبدية ·· الدولة يهمها أن يدافع الجيش عنها . ثم بعد ذلك يدافع عن البلد ·· لا يهم أن العدو يحتل هذه المساحة الضخمة من أرض مصر ، مادام حكامنا يحتلون مقاعدهم ، الاذاعة تنشر انتصارات وهمية ومعارك خرافية · الشعب أصيب بأزمة عدم تصديق · عندما اكتشف الخديعة التى كان يعيش فيها أصبح لايصدق أى شىء ولايثق بأى شىء !

الدولة فى حاجة الى « نوبتجى » يتولى تنظيفها ·· يتولى القضاء على ما فيها من حشرات وصراصير وذباب ··

فلنفتح النوافذ والابواب ·· لتختفى كل الصراصير ··· والحشرات !

٢٧ يونيو سنة ١٩٦٨ ·

أخى العزيز :

انني متشوق لأن أقرأفي يوم من الايام كتاب هبوماكلين عن فاروق وأنا أوافق على وجهة نظره التى نقلتها عنه الصحف البريطانية التى لخصت الكتاب الجديد بأن الملك السابق كان ضعيفا جنسيا · وأن هذه كانت عقدة حياته · وكان الملك السابق بحكم نشأته بين خدمه المصريين والايطاليين يعتقد ما يعتقدون بأن قيمة الرجل فى فحولته وقوته جنسيا · وكان كل واحد منهم يعود من بيته الى القصر ويتفاخر أمام الأمير الصغير بالليلة الحمراء التى أمضاها بين ذراعى عشيقته أو زوجته ·

وكان الأمير الصغير يبهر بما يسمع ، ويحاول أن تكون له علاقات مع الكلفاوات من خادمات القصر فيفشل ·

وكان هذا الفشل ينغص عليه حياته ، وأصبح يحاول أن يعوض هذا النقص فيقوم باستعراضات كاذبة ، ليظهر أمام الناس أنه زئر نساء فتاك ، وأنه دون جوان لا مثيل له ، وأنه قاهر النساء الذى يستبدل كل ليلة امرأة جديدة ·· وكان يخترع القصص عن مغامرات غرامية لم تحدث ، وعن انتصارات مع نساء لم تحدث ·

وكان يتعمد ان يظهر فى المجتمعات العامة فى صحبة نساء جميلات ، ويتعمد ان يغازلهن أمام الموجودين . ويضحك معهن بصوت عال لافت للنظر ، ليوهم الناس أنهن عشيقاته ومحظياته، ثم يتعمد ان يظهر أمام الناس وكأنه يصحب الواحدة منهن الى بيتها ·

ولكن الذى يحدث عادة أن يودع الملك الدون جوان المرأة الفاتنة

أمام باب بيتها ، ولا يصعد ابدا الى مخدعها ! · ثم يعود ادراجه يحكى لخدمه واخصائه تفاصيل عن مغامراته وبطولاته فى مخادع النساء !؟

وكان خدمه الايطاليون يتظاهرون بأنهم يصدقونه ، ويتغامزون عليه فيما بينهم · فهم يعرفون أن مأســاته أنه أضعف كثيرا جدا من أى شاب فى عمره ·

وقد روى لى أحمد حسنين باشا الذى كان رائده ، ومن أقرب الناس اليه انه بعد أن تزوج الملك فاروق من الملكة فريدة كان يسمع من بعض قريبات الملكة ان الملك يخون عروسه كل ليلة ··

وكان حسنين يكذب هذه الاشاعات ، فكانت السيدات يقلن له ان الملك نفسه اعترف للملكة بهذه العلاقات بكل تفاصيلها !

وكان حسنين يقول أن أى زوج يخون زوجته لايذهب اليها كل ليلة ويعترف لها بخيـانته الزوجية ، بل هو يتعمد اخفاء هذه الخيانات ، ولكن الملك كان يدعى هذه العلاقات المزعومة ، ويؤلف هذه القصص المختلقة عن غرامياته ، ويرويها بكل تفاصيلها للملكة ليعتذر عن عدم قيامه بواجباته الزوجية ، وحتى لا تعرف الملكة فريدة أنه ضعيف فتعيره بهذا الضعف وتحتقره وهو يعتقد ان الرجـل المحترم هو الرجل الفحل ذو العلاقات الغرامية المتعددة ··

وقال لى حسنين باشا ان الملك كان يروج هذه الاشاعات الكاذبة عن صديقات الملكة ، فتصدق الملكة الصغيرة السن العديمة التجارب هذه الاكاذيب وتقطع علاقتها بصديقاتها ، وتصدر أوامر بمنـع دخولهن القصر ، وتتناثر الاقوال عن اتهامات الملكة لصديقاتها ، فيعجب الناس لان الملكة تظلم صديقاتها بلا دليل · بينما الملكة هى المظلومة لان زوجها الملك هو الذى يعترف لهـا بأنه ارتكب الخطيئة مع الاميرة فلانه أو النبيلة علانة !؟

وعندما تواترت هذه الاشاعات بين الناس وترددت ، وعندما كان يقول الناس ان الملك لم يترك زوجة كبير الا واغتصبها ، ولا توجد سيدة مجتمع الا وبينها وبين الملك علاقات غرامية كانت هذه الاخبار تسعده وكأنها أخبار فتوحات حربية وانتصارات سياسية ·

وقد حدثني كريم ثابت باشا مستشاره الصحفي وأقرب رجال حاشيته اليه انه ذات مرة وصله تقرير يقول فيه صاحبه ان الوفديين يشيعون في كل مكان انه زئر نساء وانه يستبدل عشيقاته كما يستبدل جواربه ، وأنه لا يشبع من النساء وأنه مثل جده الخديو اسماعيل لا يفرق بين الملكة والخادمة ..

وتصور كريم ان هذا التقرير سوف يزيد من عـــداوة الملك للوفديين ، وكان كريم يعمل على تقريبهم من القصر وانتظر كريم ثابت ان يثور الملك ، واذا بفاروق يقرأ التقرير وهو يهتز طربا ، ويهز رأسه فخرا ، ويعرض التقرير على خدمه مباهيا مزهوا ..

ثم قال كريم ان الملك التفت نحوه فجأة وقال :

ـــ تعرف يا كريم الوفديين دول ناس طيبين . ويجب ان ندخلهم في وزارة قومية !

وذكر كريم ان هذا التقرير الذى كتبه مفتش في الداخلية من أشد خصوم الوفد كان سببا مباشرا من أسباب ادخال الوفديين في وزارة حسين سرى الائتلافية بعد أن كان فاروق لا يطيق ذكر أسمائهم !

وهذه الرواية تفسر حرص الملك فاروق على أن يظهر دائما فى المنتديات العامة برفقة سيدات جميلات انيقات ، ولم يتحدث مرة واحدة ان قابل امرأة فى قصر عابدين أو قصر القبه أو قصر رأس التين أو قصر المنتزه ، وانمـــا يصحبها الى ملهى الاوبرج بشارع الهرم أو نادى السيارات أو نادى الصيد في القاهرة أو نادى الصيد في الاسكندرية .

ولقد عشق الملك نساء كثيرات واحب ، وتدله فى الحب ، ولكن ماذاع وشاع من أنه فارس مغوار فى ميدان الحب والغرام ينصب غالبا على الحب الافلاطونى الذى كان هو يشيعه فى كل مكان أنه حب دنس فاجر وأنه يرتكب الخطيئة كل يوم عدة مرات.وكان معه دائما شهود من خدمه الايطاليين يشهدون له شهادة الزور التى يحب ان يسمعها بأنه كازنوفا زمانه .. وفالنتينو عصره !

ومن الغريب ان زوجته الملكة فريدة صدقت أكاذيبه ، ونظرا لحداثة سنها تصرفت على ضوء هذه الاكاذيب،والاعترافات الخيالية. ولو كانت أكبر سنا لاكتشفت دوافعها ، وعرفت انها لا أساس لها من الصحة ، ولما أصرت على طلب الطلاق من الملك . هذا الطلاق الذى كان المسمار الاخير فى نعش الملكية فى مصر . ومما يستحق الذكر اننى كتبت سلسلة مقالات عن غراميات فاروق نشرتها فى الاخبار واخبار اليوم . وكتبت المعلومات التى عندى عن ضعف فاروق الجنسى ، وجاء الرقيب وشطب هذه الفقرات وقال لى :

ـ من مصلحة الثورة أن يقال ان الملك فاروق كان فاتن النساء. وكان رجلا فتاكا ، وفحــلا مغوارا . له كل ليلة محظيــة . وذلك حتى يكرهه الناس .

وعبثا حاولت اقناع الرقيب ان هناك أشياء كثيرة جدا تجعل الناس تكره الملك السابق غير فحولته وقوته الجنسية المزعومة .

التليفزيون القاتل!

٣٠ يونيو سنة ١٩٦٨ .

أخي العزيز ..

أعيش هنا قصص المسجونين . انها دوامة من العواطف البشرية قصص الذين يتحاورون بغير حوار . يتكلمون بغير شفاه . يصرخون بغير صوت ينزفون بغير ان يسقط منهم الدم . شخصيات تبحث عن مؤلف . ويوم يدخل السجن كاتب قصة لن يشكو من قلة موضوعات القصص والروايات . كل واحد من هؤلاء الالوف من المسجونين هو قصة . أعجب ما في القصة ان صاحبها لا يعرف كيف يرويها . فهو يحذف منها ويضيف اليها . يحذف منها ما يتصور انه يدينه . ويضيف ما يعتقد انه يبرئه . ولو روى القصة كما هي لكانت رائعة .

هذه قصة عبده المسجون معي .. ترك زوجته وثلاثة أطفال. كان يتلقى من زوجته كل اسبوع خطابا يفيض بالحب والشوق والحنين . كانت هذه الخطابات هي المناديل التي تجفف دموعه ، وهي المراهم التي تضمد جراحه ، وهي الشمعة الوحيدة التي بقيت مضيئة في ظلام حياته . كان ينتظر هذه الخطابات كأنه ينتظر لقاء حبيب . يعيش مع كل خطاب الى أن يصل اليه خطاب تال . يجمع الخطابات بعضها فوق بعض ، ويخفيها تحت رأسه ، وينام في زنزانته وهو يحلم بكلمات الخطابات الساذجة . التي تبدو في أذنيه أجمل وأروع وأبلغ ما سطر العشاق . وكانت زوجته وهيبة لا تعرف القراءة والكتابة ، ولكنها كانت تملي خطاباتها على صراف القرية وهو اعز أصدقائه . وكان الصراف الصديق يلبي رغبتها ويدون كلمات وهيبة الساذجة ويحولها الى جمل كالاغاني وعبارات كالموسيقى . وكان السجين عبده سعيدا بوفاء صديقه ، وبأنه يترك

أعماله الكثيرة ليكتب له ما تمليه وهيبة من لهفة وشوق وحنين لعبده . وكان عبده يصعد الجبل ، ويكسر الاحجار ، ويؤدي عقوبة الاشغال الشاقة ، فاذا انهكه العمل المضني سرح في خطابات وهيبة . واخرج آخر خطاب من جيبه ، وراح يتغفل الشاويش ويقرأ خطاب وهيبه وكأنه يجفف عرقه . كان الخطاب هو مياه كولونيا يرشها على وجهه ، فتبعث فيه النشاط ، وتنسيه قسوة حرارة الجبل وقسوة أحجار الجبل . كانت أشبه بالكمادات يضعها على تسلخات أصابعه التي جعلتها الفأس الغليظة تتحول الى شقوق . انه لا يندم لانه قتل ! ارتكب الجريمة من أجل وهيبة . هذه المرأة الوفية تساوي أن يقتل من أجلها كل سكان القرية . عاش سنوات يسمع أن في بيت العمدة تليفزيون . زوجة العمدة تجلس أمام التليفزيون طول الليل والنهار . ترى القاهرة وهي جالسة في أبو قرقاص . تسمع أم كلثوم وهي تغني في باريس . ترى المسرحيات وتشهد الافلام ، وتروى لزوجات الفلاحين الاعاجيب التي تراها على الشاشة . مرة واحدة دعت زوجة العمدة وهيبة لتشاهد التليفزيون . ومكثت وهيبة خمس سنوات كاملة تروى له وتعيد وتكرر ما رأته في التليفزيون . وتساءل عبده لماذا لايكون لدى المرأة التي يعبدها تليفزيون كتليفزيون زوجة العمدة . وهيبة أجمل ألف مرة من زوجة العمدة وأكثر منها نضارة وشبابا . وهو يحب وهيبة أكثر مما يحب العمدة زوجته . ولكن من أين يأتي بالمبلغ الكبير الذي يشترى به هذه الآلة السحرية . لقد قالوا له أن تليفزيون العمدة من النوع الفاخر . ثمنه ١٨٠ جنيها . لو وفر من أجره قرشا كل يوم لاشترى أحفاده التليفزيون ! وكيف يستطيع ان يوفر قرشا من أجره البسيط الزهيد ؟ أصبح التليفزيون شبحا يعكر عليه حياته .. يؤرقه عندما ينام . يزغده عندما يسرح . كل حياته تحولت الى حلم بالتليفزيون الذي يريد ان يهديه الى زوجته وهيبة . قبل أن يسمع عن هذه الآلة الملعونة كان يحلم بأن يمتلك قطعة أرض . وكان يحلم بأن يملك البيت الذي يقيم فيه . كل هذه الاحلام شحبت وتضاءلت واصبحت لا قيمة لها بجوار الحصول على التليفزيون . لو كان يملك أرضا لباعها واشتراه . ولكنه يعمل فلاحا أجيرا في أرض الحاج حسين تاجر الاصواف المقيم في البندر .

يابخت الحاج حسين . لابد أنه يملك تليفزيون هو الآخر باعتباره

من علية القوم · أليس هو يملك عشرين فدانا فى القريه ويملك عمارة فى البندر · ويملك محلا تجاريا فى القاهرة · ثلاث معجزات لامعجزة واحدة · أنه شخص فوق البشر ، والا لما ملك كل هذا · هو قادر على أن يشترى مائة تليفزيون لا تليفزيون واحدا · وعم حسنين رئيس الأنفار قال له أن الحاج حسين يغير التليفزيون كل عام · قال له أن التليفزيون له موضة كالملابس . والأثرياء يغيرون تليفزيوناتهم كما يغيرون ملابسهم · وجلس عبده يدرس ميزانيته · لو اختصر طعامه · لو بقى بجلابية واحدة · لو ضاعف ساعات عمله · فهل يستطيع أن يجىء بالمائة والثمانين جنيها ؟! ورمى القلم من يده · مهما اقتصد ! لو أنه بقى عشر سنوات جائعا لما حصل لوهيبة على تليفزيون ·

وسمع عبده أن الحاج مطاوع وكيل الحاج حسين صاحب الأرض قدم الى القرية ليحصل من المزارعين على الايجار · الحاج مطاوع هو رسول الاله الذى لا يرونه · يحمل اليهم كل عام كتبا مقدسه على شكل أيصالات بقيمة الايجار · أوراقا مقدسة لا تقبل المناقشة أو التأويل والتغيير · ويدفع الفلاحون صاغرين · وفى دقائق يحمل الحاج مطاوع مبلغا يزيد على المائتى جنيه ، ويركب حماره فى طريقه الى محطة البندر ليسلم المبلغ الى الاله صاحب الأرض ·

وتلفت عبده الى زوجته وهى نائمة ، فوجد وجهها الجميل الفاتن مقطبا · لابد أنها هى الآخرى حزينة لأنها لاتملك تليفزيون · ولمعت فى رأس عبده فكرة · لماذا لا ينتظر الحاج مطاوع بقرب المحطة ويطلق عليه الرصاص ويستولى على المائتى جنيه ويشترى التليفزيون لوهيبة · وشعر أن الرصاصة سوف تحل كل مشاكله وستحقق كل أحلامه · ستسهل الصعب · ستقرب البعيد · ستحدث المعجزة ويصبح المستحيل ممكننا · ستجعل هذا الوجه الجميل القانط اليائس المقطب مشرقا تملؤه السعادة ويرفرف عليه الهناء · وحمل عبده بندقيته وانتظر فى الظلام خلف عيدان القصب قدوم الحاج مطاوع وأطلق عليه رصاصة أردته قتيلا ، وأسرع اليه وانتزع محفظته وعاد بسرعة الى بيته ونام فى فراشه بجوار وهيبة · ولكنه لم ينم · جلس يحصى المبلغ المسروق فوجده ٢٢٥ جنيها يزيد ٤٥ جنيها على ثمن التليفزيون المطلوب · وقرر أن يشترى

ملابس جديدة لوهيبة لتزداد جمالا فوق جمالها . سيشترى لها قميص نوم شفافا كالذى رآته فى التليفزيون عند زوجة العمدة ، وكانت ترتديه نجمة السينما وملكة الاغراء . ستكون وهيبه أروع من نجمه السينما والاغراء .. وقام وحفر فى الأرض حفرة عميقة وأخفى فيها البندقيه ، وأخفى مع البندقيه المبلغ المسروق ، وذهب فى الصباح الى الحقل كالمعتاد ، وبدأ يعمل فى هدوء ، وسمع زملاءه الفلاحين يتحدثون عن مصرع الحاج مطاوع ، وأن الشرطه قبضت على القاتل ، وأنه اعترف ! وانتفض عبده ، وسأل عن اسم القاتل المقبوض عليه فعرف أنه جاره عواد !؟

وروى الفلاحون أن عواد تشاجر مع الشيخ مطاوع عندما طالبه بالايجار المتأخر فلم يدفع ، فهدده الحاج مطاوع بأنه سيطرده من الأرض التى عاش هو وأباؤه وأجداده يزرعونها ، وثار عواد على الحاج مطاوع وقال أنه سيقتله قبل أن يترك الأرض التى رواها بعرقه ودمه ودموعه . وبعد دقائق من هذا التهديد وجد الخفير جثة الحاج مطاوع ملقاة على الأرض . وأقبل ضابط النقطة والعمدة وضربوا عواد ضربا مبرحا حتى أعترف بأنه هدد الحاج مطاوع بالقتل ، وأنهالوا عليه بالسياط حتى تهاوى وأعترف بأنه القاتل !؟ ثم تقدم شهود من القرية يقولون انهم رأوا عواد وهو يطلق الرصاص على الحاج مطاوع ، وذهل عبده مما سمع ، انه واثق أن الرصاصة التي قتلت الشيخ مطاوع كانت من بندقيته هو . ولم يسمع رصاصة سواها . فكيف يكون القاتل سواه !؟ وأحس أن ضميره يعذبه ، وفكر فى أن يتقدم لوكيل النيابة ويعترف بأنه القاتل ، ثم تذكر تليفزيون وهيبة الذى سيشتريه لها . ووجد ضميره ينام من جديد ، ويستريح الى ما وصل اليه التحقيق . وجلس مع زملائه الفلاحين يشيد بعدالة وكيل النيابة المحقق وبذكاء ضابط النقطة ويلعن القاتل السفاح عواد .وشعر عبده أن الدنيا تبتسم له . لقد حصل على ٢٢٥ جنيها ، وليس هو القاتل فهو لم يرتكب جريمة لأن القانون والعدالة والتحقيق أثبتت أن القاتل سواه . ومع الوقت بدأ يصدق التحقيق ويكذب عينه. لعل رصاصته طاشت ، ورصاصة عواد هى التى أصابت القتيل . لابد أنه فى رهبة الموقف لم يسمع الرصاصة الاخرى . واطمأن أنه لم يقتل ولم يسرق . كل ما حدث أنه وجد كنزا فى جيب جثة

فأخذ الكنز وأخفاه · المهم أنه سيشترى التليفزيون ، ويسعد وهيبة ويحقق حلمها الطويل · وانتظر عبده حتى قدم عواد الى المحاكمة · وحكم عليه بالاعدام · ونفذ الحكم · وفي يوم التنفيذ ذهب واشترى التليفزيون · وعانقته وهيبة والدموع فى عينيها ، وروى لها فى فخر وزهو كيف قتل وسرق من أجلها · الحب الذى يلد أنبل المشاعر قد يخلق أخطر الجرائم ، قد يحول القديس الى شيطان · قبل أن يحب وهيبة جاع عبده · ولم يفكر فى أن يسرق ليشترى خبزاً · فضل أن يبيت جائعا ولا يلمس المال الحرام · عاش سنوات فى الحرمان والجوع والعدم والشقاء ، ولم يخطر بباله يوما أن يرتكب جريمة · ولكن حبه المبرح لوهيبة جعله يتحول الى لص وقاتل · هو لم يقتل رجلا واحدا من أجلها · بل قتل رجلين القتيل والمحكوم عليه بالاعدام ·· وعاش أياما قليلة سعيدة مع وهيبة أمام التليفزيون · ثم بدأ يقشعر بدنه عندما يسأل الناس كم دفع ثمنا للتليفزيون الذى اشتراه · كان يكذب عليهم ويقول أنه دفع ١٨٠ جنيها ، والواقع أنه دفع ١٨٠ جنيها وحيّاة رجلين··

وبدأ الفلاحون فى القرية يتحدثون عن قصة الثروة المفاجئة التى هبطت على عبده · وذات يوم وصل الى الشرطة خطاب من مجهول أن ثمن التليفزيون هو المبلغ الذى كان فى جيب الحاج مطاوع القتيل وتحركت النيابة وفتشت بيت عبده فوجدت فيه البندقية المدفونة فى التراب · وقال الطبيب الشرعى أن رصاصة البندقية هى التى قتلت الحاج مطاوع ··

وقبضت النيابة على عبده · وقدمته الى المحكمة بتهمة عجيبة . وهى أنه شريك عواد فى قتل الحاج مطاوع · لم يشأ رجال التحقيق أن يذكروا الحقيقة ، خجلوا من أن يعترفوا بأنهم أعدموا بريئا ، فغيروا وبدلوا فى وصف الجريمة ، وقدموا عبده بأنه شريك فى قتل الحاج مطاوع · صحيح أن عواد قتل الحاج مطاوع ، ولكن المؤكد أنه أعطى البندقية لعبده فأخفاها فى بيته ، وأعطاه نصف المبلغ المسروق ·· وأقسم عبده أنه لم يكن شريكا لعواد ، وأنه لم يتفق مع عواد على قتل الحاج مطاوع ، ولم يستطع أن يثبت مصدر المائتى جنيه ، وحكمت محكمة الجنايات عليه بالسجن عشر سنوات ··

واعتبر عبده هذا الحكم انتقام الله منه لأنه سكت عن ظلم برىء ، ولم يحزن لما أصابه ، فقد كان كل ما يهمه الا يصادر الحكم

التليفزيون . وفعلا صودرت البندقيه التى قتلت الحاج مطاوع . ولم يصادر التليفزيون الذى هو القاتل الحقيقى !

وكان عبده واثقا بأن التليفزيون سيذكر وهيبة به كلما فتحته فى الصباح والعصر والمساء . سوف يصبح التليفزيون صورته المعلقة فى البيت . صورة تتحرك وتتكلم وتقول أن عبده لايزال هنا . سوف تذكره وهيبة كلما سمعت فى التليفزيون أغنية حب ، كلما شهدت مسرحية غرام ، كلما رأت قميص نوم شفافا ترتديه بطلات الافلام .

وفى كل خطاب كان يرسله عبده من السجن الى زوجته فى القرية كان يسأل عنها وعن أولاده وعن التليفزيون . لقد أصبح التليفزيون أحد أفراد الاسرة . هو مندوب عندهم ورسول لديهم . هو صورته التى تعلقها وهيبة فى غرفة النوم .هو صوته الذى يملأ عليها البيت . لن تشعر وهيبة بالوحدة الا ساعات توقف الارسال . سوف يحدثها بالنيابة عنه . يناجيها . يسليها .وها هى ذى خطاباتها الأسبوعية أدلة حية على وفائها وحبها . أنها تذكر دائما التضحية التى قدمها من أجلها ليسعدها ويحقق أحلامها . لقد أمضى فى السجن ثلاث سنوات . وسوف يخرج بعد عامين فى عفو انتهاء العقوبة لمناسبة انتهاء نصف المدة . وسيعود الى زوجته الحبيبة . وسجلسان معا الى جوار التليفزيون يستمتعان ببرامجه وهما يتبادلان العناق والقبلات .

وذات يوم حضر الي السجن وكيل النيابة ليسمع أقوال عبده فى بلاغ تقدمت به أم عبده الى العمدة . تقول أم عبده فى بلاغها أن وهيبة زوجة عبده حملت وأنها فى شهرها الثامن وأن زوجها مسجون منذ ثلاث سنوات . ومن غير المعقول أن تحمل وهيبة ويبقى الجنين فى بطنها ثلاث سنوات .. وأن هذا يدل على أن وهيبة خانت زوجها . وطلبت تقديم زوجة ابنها الى المحاكمة بتهمة الزنا ..

وعرض وكيل النيابة الزوجة على الطبيب الشرعى فأثبت أنها حامل فى ثمانية شهور . والقانون يقول ان الزوجة لا تقدم الى المحاكمة بتهمة الزنا الا بموافقة زوجها ، ولهذا جاء وكيل النيابة ليعرف رأى عبده .

وتهاوى عبده وسقط على الأرض . أحس أن مطرقة هائلة سقطت

فوق راسه · لايمكن أن يكون هذ صحيحا · وزوجته الحبيبة تكتب اليه كل أسبوع لم تنقطع اسبوعا واحدا · تملأ خطاباتها بكل الحب والاخلاص والوفاء · آخر خطاب كتبته له منذ أسبوعين · لابد ان أمه تتجنى على وهيبة · تنتقم من الزوجة التي كانت سببا فى دخول ابنها السجن · لايمكن أن تكتب وهيبة كل عبارات الهوى والغزل والشوق وهى حامل من رجل آخر ·

وقال وكيل النيابة لعبده أن الزوجة اعترفت بأنها استدعت صراف القريه وصديق عبده لتملى عليه خطاباتها لزوجها ، وكافأته على ذلك بأن دعته ليتفرج معها على التليفزيون · وحدث عندما كانا يشاهدان منظرا غراميا على الشاشة أن لسعتهما حرارة المشهد ، ووجدت الصراف يحيطها بذراعه وراحا يكمـــلان ما لم تقله شاشة التليفزيون أو تجرؤ على البوح به ·

وأحس عبده بطعنة أكبر من الطعنة الأولى وأشد ايلاما · صديقه الصراف دون جميع أهل القرية هو الذى خانه · الرجل الذى تمليه وهيبة كل الخطـابات الغرامية التى تلقاها طوال هـذه السنوات الثلاث · اذن عبارات الغزل هذه لم تكن موجهة له · كانت موجهة الى الصراف · كانت محاضر أسبوعيه تدون فيها عبارات الهوى والغزل التى يتبادلها العاشقان الفاجران · فجأة تحولت الخطابات التى كانت مكمدات الى سكاكين · الخطـابات التى كانت منـاديل تجفف دموعه أصبحت أشواكا ومسامير ·عاد يسترجع العبارات التى كان يحفظها من رسائل وهيبة · أصبح لكل كلمة معنى آخر · ما أغرب القدر واقساه · الكلمة التى كانت تسكره أصبحت الآن تلسعه · الكلمة التي كانت تشفيه أصبحت تقتله · نفس العبارات التى كانت رحيقا من السعادة والهناء واللذة · أصبحت جرعة من المر والصاب والعذاب ·

واستعجله وكيل النيابة أن يبدى رأيه ، هل يطلب تقديم وهيبة الى المحكمة بتهمة الزنا ؟ ·

وشعر أن هذه الكلمة توقظه من غفوته · ماذا يقول ؟ لو قدمها بتهمة الزنا فسوف يزج بها فى السجن · سوف يشرد أولاده · يبقى أولاده طوال حياتهم مدموغين بتهمة أنهم أولاد المرأة الزانية · سوف يمشون فى طرقات القرية منكسى ال أس ، يدفعـــون ثمن جريمة لم يرتكبوها ، بل كانوا بعض ضحاياها ·

وزادت حيرته · هل ينتقم منها · لقد قتل رجلين من أجلها ولو أنه أودعها السجن فسيشرد أطفاله الصغار وسوف يبقى الصراف حيا يخدع زوجات باقى الفلاحين · وقال عبده بصوت يشبه رنين القدح المكسور : لا أريد أن أقدمها الى السجن أريد ان أقابلها هنا مرة واحدة ، وبعد ذلك سوف أطلقها ··

ودهش وكيل النيابة ان يظهر هذا المسجون المسحوق كل هذا التسامح فى لحظة لا يرتفع فيها ، الا صوت الرغبة فى الانتقام ·

وسأله وكيل النيابة : لماذا تشفق على المرأة التى لم تشفق عليك لماذا تحافظ على عرض امرأة لم تصن عرضك ؟ لماذا ترحم امرأة لم ترحمك ·

ولم يستطع عبده أن يجيب · أجابت عنه دمعة ساخنة سقطت على ورق محضر التحقيق الذى فتحه وكيل النيابة فعبثت بحروف بعض كلمات التحقيق ·

وعاد عبده الى فى العنبر يتعثر فى خطواته ، وعاد الى رسائل وهيبة وعشيقها يقرؤها من جديد ·

ووجدت فى عينيه لمعانا غريبا فقلت له : انك تريد أن تقابلها لتقتلها ·· تذكر أنك قتلت قبل ذلك اثنين ··

ووعدنى عبده وأقسم أنه لن يقتلها !

وجاءت وهيبة الى السجن ·· وطلبت مقابلة خاصة ·

وارتدى عبده أنظف ملابسه · وحلق ذقنه وكأنه يذهب الى حفلة زفافه ··

ودخلت وهيبة الى غرفة الضابط ، واذا بها تجد عبده يهش لها ويبش ، ويأخذها فى أحضانه ويضمها الى صدره وهو يقول :
ـ يا حبيبتى يا وهيبة ·· يا حبيبتى يا وهيبة ··

ثم مد أصابعه فجأة وقلع عينيها !

وأقبل حراس السجن على صراخ وهيبة ·· وقيدوه بالحديد وحملوه الى عنبر التأديب ··

وقابلته فى الطريق فوجدته يضحك ويقول :
ـ لن ترى وهيبة التليفزيون بعد الآن ·

الجبهة الوطنية فى الزنازين

٧ يوليو سنة ١٩٦٨ ٠

عزيزتى ٠٠٠

كل يوم تجىء من معتقل طرة أخبار جديدة ٠ فى كل يوم أسمع اسم معتقل جديد ٠ أشعر فى بعض الاحيـــان أن مصر كلها فى السجن ٠أبرز المحامين فى مصر مقبوض عليهم وموجودون فى معتقل مزرعة طره ٠ عندنا شوكت التونى المحامى وحماده الناحل المحامى والدكتور نور الدين رجائى المحامى والدكتور عبد المنعم الشرقاوى المحامى وعلى عبـد العظيم المحامى وعبـد الوهاب حسنى المحامى والأستاذ عيسى العيوطى المحاسب وغيرهم وغيرهم ٠٠

وفى المعتقل عدد من الشعراء منهم الشاعر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربية والشاعر السعودى عبد الله عبد الجبار والشاعر كامل أمين والشاعر محمد وجدى والشاعر الفلسطينى سليم اليعقوبى والشاعر محمد بدر الدين والشـاعر محمود شاوير ربيع والشاعر الماحى ٠٠ وبعض هؤلاء يهربون لى من المعتقل أشعارهم ، وهىأشعارتلعن الظالمين وتطالب بالحرية وتصف سوط الجلاد !

ومن بين القصائد التى وصلتنى قصيدة للشاعر محمود شاوير ربيع يصف فيها السجن الحربى والتعذيب فى ملحمة جاء فيها :

ياحمزة ياابن البسـيونى — أعـوانك يوما جلــدونى
كتبوا فى جسدى ملحمة — بسـياط الباغى المأفون
لا دين لهم ٠٠ ولسيدهم — والظلـم يعيش بلا دين !

وفى المعتقل عـــدد كبير من الوفديين ، وقد شاهد ليمان طره الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وعبد الفتــاح حسن وزير الشئون الاجتماعية السابق ، فقد حكم عليهما الدجوى بالأشغال الشــاقة المؤبدة فى مؤامرة ملفقة ٠٠ ومن الطريف أن عددا من الوفديين الذين اشتركوا فى جنازة النحاس باشا فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٥ قبض عليهم مساء يوم الجنازة ، ولايزالون فى السجن حتى اليوم بغير محاكمة ، ولم يثبت أنهم نظموا الجنازة ، ولكن الأمر صدر بالقبض عليهم وابقائهم فى السجن عقابا لهم على أن الشعب أقام جنازة شعبية للنحاس باشا !

وفى السجن عدد من الشيوعيين ٠٠ وعدد آخـــر من مختلف الاتجاهات يسمونه «النشاط المعادى» ٠٠٠ وهكذا فان مصر ممثلة خير تمثيل فى ليمان طره ! واذا رأت الحكومة أن تؤلف جبهة قومية لمواجهة الموقف فلن تتعب فى البحث عنها فهى موجودة فى زنازين الليمان !

وقد التقيت فى مستشفى الليمـــان بالنائب الوفدى الســـابق الاستاذ الدرملى فأخبرنى انه يوم أن فرضت الحراسة عليه كانت زوجته وأولاده فى قريته ببنى سويف ، وكان هو فى القــاهرة ٠ وجاءت قوة من البوليس الحربى واقتحمت داره فى القرية واستولت على كل ما لدى زوجته من نقــود ومجوهرات ٠ ثم رأى الضــابط خاتما فى يد زوجته وحاول أن يخلعه فقالت أن هذا خاتم زواجى فنهرها وقال أن الاوامر أن نجردك من كل شىء ! وحاول أن يجذب الخاتم الذهبى فلم يخرج من أصبعها ، فقال لها أمامك ثلاث دقائق أما أن تنتزعى الخاتم من أصبعك ، أو أقطع اصبعك وآخـــذه هو والخاتم !

وأخذت الزوجة المسكينة تجذب الخاتم ، حتى انتزعته مع بعض لحم أصبعها وقدمته له ملوثا بدمها !

ثم قال لهـــا الضـــابط : ان الامر يقضى بأن اقبض عليك أنت واطفالك ، وأن تغـــادروا القرية ٠٠٠ فجزعت الزوجـــة وقالت أن زوجها فى القاهرة ولا تعرف عنوانه هناك ولا تستطيع أن تترك بيتها

بغير اذنه . فجذبها الضابط ودفع الاطفال خارج البيت ، وأقفله بالشمع الاحمر . ثم وضعهم فى سيارة بوكس فورد حملتهم الى القاهرة · وتوقفت السيارة فى ميدان التوفيقية ، وطلب منها الضابط النزول هى والاطفال ··

وكانت الساعة الثانية صباحا ! ··

ومشت الزوجة هائمة فى الشوارع ، لانها لا تعرف اسم الفندق الذى يقيم به زوجها ··

ومشى خلفها الاطفال يبكون !

واستمروا يهيمون فى شوارع القاهرة الى أن أشرقت الشمس وهنا تذكرت الزوجة أن لها أقارب فى القاهرة ، فمشت على قدميها أكثر من ساعة ونصف حتى وصلت الى بيت أقاربها ··· ذلك لان الضابط الشهم لم يترك لها قرشا واحدا أجر الترام !

محاولة قتل مسجون سياسي

أخى العـــزيز ٠٠

١٤ يوليو سنة ١٩٦٨

بين المســجونين معنا مسجون اطلقنا عليه اسم «شــنبو» تيمنا بقصة أحمد رجب فى الاذاعة بعنوان « شنبو فى المصيدة » ٠ كان ضابطا فى القـوات المســلحة وعمل فى البوليس الحربى ، وأتهم بتهديد الراقصات فى الكباريهات فطرد من الخدمة ، وســافر الى اسرائيل وأدعى أنه عــالم مصرى فى الصــواريخ واحتفلوا به ثم اكتشفوا أمره فطردوه ، ولجأ الى الاردن ، وأدعى أن لديه تنظيما فى الجيش قادرا على عمل انقلاب ثم عرفوا أمره، فهرب الى بيروت وبلغت سذاجة مخابرات صلاح نصر أن صدقت ادعاءاته ، وتوهمت انه شخصية خطيرة فأرسلت عددا من ضباط وجنود المخابرات الى بيروت ، وخدروه بمادة مخدرة ، ثم شحنوه فى صندوق فى احدى سيارات السفارة المصرية الى القاهرة، وتكلفت هذه العملية الدولية حوالى مائة الف جنيه بينما لو كانت أعطت هذا الشاب مائة جنيه لعــاد الى القاهرة من تلقاء نفسه ٠ ولكن المثل الذى يقول « رزق الهبل على المجــانين » كان شــعار الدولة فى وقت من الاوقات ٠ المهم انه حكم على هذا الشاب وهو مختل القوى العقلية بالاشغال الشاقة المؤبدة !

والغريب فى عقلية هذا الشــاب انه يؤمن بأن « التلفيق » هو أســاس الملك ! وأن كل كبار رجال الدولة وصــلوا الى مناصبهم بالتلفيق ، ويعتقد أن عمل المخابرات هو التلفيق ، ولهذا لا عمل له فى السجن الا تلفيق التهم والاكاذيب حتى يعتقد الجميع أنه من رجال المخابرات !

والغريب أيضا أن هذا المجنون عاقل فى أمر واحد ، وهو يعتقد

أن الدولة تريد تعذيب المسجونين السياسيين ، وأن تنكد عليهم الحياة ، وأن تجعل حياتهم لا تطاق فى زنازينهم ، ولهذا فهو يقوم بهذه المهمة خير قيام بالنيابة عن الدولة !

حدث مرة أن جاء النوبتجى الذى يتولى بريد المسجونين ،جاء يوزع الخطابات على المسجونين السياسيين وفوجئت بهذا الضابط المسجون يقول لى : سأذهب الان لاقدم بلاغا ضد موزع البريد لانه يتاجر فى الحشيش !

وسألته : هل يتاجر فى الحشيش ؟

قال ببساطة : لا ·· ولكنه سلم خطابات المسجونين المدنيين اليهم قبل أن يسلمنى خطابى ·· والمفروض أن المسجون العسكرى أعلى مقاما من المسجون المدنى !

وفعلا قدم البلاغ الكاذب ضد المسجون البرىء !

وقامت الدنيا وقعدت · وحفظ البلاغ بعد أن عرف المسئولون فى السجن أن الذى قدم البلاغ هو مدير عام التلفيق !

وكثرت اعتداءاته على الضباط والاطباء والمسجونين فتقرر وضعه بعيدا عنا فى سجن التأديب ! ولكن ولاة الامور أعادوه ليعيش معنا ، لانهم علموا أنه يعكنن علينا الحياة ، فأثروا أن يبقى ليستمر فى مهمته ويقوم بها خير قيام ·

ثم حدث أن رأى أحد المسجونين السياسيين فى المستشفى وهاجمه بآلة حادة فى أنفه ، وقال لزملائه أنه فعل ذلك لانه علم أن كل من يقتل مسجونا سياسيا يصدر له قرار جمهورى بالعفو عنه على الفور ·

ثم حدث أن قدم بلاغا يقول اننى أنا وعددا من المسجونين السياسيين وضابط العنبر اقتحمنا زنزانته وقيدناه وان الضابط قام بحرق ظهره بالسجائر المشتعلة ، والغريب أن وزارة الداخلية تصورت ان الهضيبى الذى يبلغ من العمر ٧٥ سنة وأنا وعمرى ٥٤ سنة وغيرى من المسجونين السياسيين نهاجم شابا قوى العضلات ونقوم بتعذيبه ، واذا بمصلحة السجون ترسل وكيل المصلحة للتحقيق معنا ، وهى تعلم طبعا أن البلاغ كاذب ، ولكن التعليمات العليا هى جعل حياة المسجونين السياسيين لا تطاق !

واذا بأحد المسجونين العاديين الذى يجاوره فى زنزانته يعترف

بأن شنبو أعطاه خمس علب سجائر ليطفىء السجائر فى ظهـره حتى يدعى أن ضابط السجن هو الذى قام بتعذيبه ! وجاء كبير الاطباء ٠ واثبت أن كل الاصابات فى شنبو مفتعلة !

ولكنى أصررت على أن يجرى تحقيق بمعرفة النيابة فى هذا البلاغ الكاذب ، وقلت أنه لو ثبت ان المسجونين السياسيين فعلوا فى « شنبو » ما يدعيه فهذا دليل على أنهم جميعا مجانين ويجب احالتنا كلنا الى مستشفى المجاذيب ٠ واذا ثبت ان شنبو كاذب فيجب احالته الى مستشفى المجاذيب ٠ واذا لم تفعل ادارة السجن شيئا فيجب أن تحال الادارة الى مستشفى المجاذيب ٠

ولكن ادارة السجن لم تستطع ان تفعل شيئا !؟

كل ما حدث أن مدير السجن قال لنا أنه مجنون !

ومادام هو مجنونا فلماذا تبقونه مع المسجونين السياسيين فى طابق واحد !؟ قالوا أنها الاوامر !

وكان أغرب ما فعلوه انهم وضعوه بجوار المسجون السياسى الذى حاول أن يقتله قبل ذلك ، ثم نقلوه الى زنزانة أمامه ، بعد أن أحتج على وضع القاتل بجوار القتيل !؟

ثم حدث أن فوجىء المسجونون السياسيون بصـدور أمر بأن يوضع معنا فى نفس الطابق المخصص للسياسيين مجرم قتل أحد أصدقائه ليسرق منه خمسة وعشرين قرشا ومزق جثتـه الى قطع صغيرة وأحرقها ، وحكم عليه بالسجن المؤبد !

ودهش المسجونون السياسيون لهذا التصرف الغريب ٠٠ وقالت الادارة فى تبرير هذا التصرف أنه مجرم كثير الشكاوى والاتهامات ، وأنهم وضعوه معنا حتى يمتنع عن الشكوى من ادارة السجن ! ولكن هذه الاجابة أثارت ريبة المسجونين السياسيين وشكوكهم ٠٠ وأرادوا أن يحتجوا على هذا فقلت أن احتجاجنا لن يفيـد أحـدا سوى الذى أصدر هذا القرار المجرم ٠ اذا كان هو مدير مصلحة السجون فسيرقى وكيلا للداخلية ، واذا كان وكيـل الداخلية فسيرقونه وزيرا للداخلية فاذا كان وزيرا للداخلية فسوف يرقونه رئيسا للوزراء لانه نكد الحياة على المسجونين السياسيين ٠

وبدأ المسجون القاتل يقوم بمهمته المكلف بها ٠ فى كل مساء

عندما يهدأ كل شيء في العنبر يصعد على نافذة زنزانته ويصيح :
ـ أيها المسجونون السياسيون ! يا كلاب ! يا خونه يا أعداء الوطن
ثم يوجه اليهم شتائم وسبابا وكلمات قذرة لا تكتب !

وكنت اتحمل هذه الشتائم كل ليلة ، وأقول لزملائى أنه لابد ان يتعب في يوم من الايام ويكف عن الشتائم . او انه سيتوقف عن الشتائم عندما يكتشف أنهم لم يدفعوا له الثمن المطلوب وهو الافراج عنه . وكانوا يثورون عليه ، وكنت أقول لهم أن الذنب ليس ذنبه ، وانما ذنب الذين ظلمونا ووضعونا في هذا المكان . واذا كنت سامحت الذين حكموا على ظلما . فلماذا لا أسامح الذى يشتمنى ظلما ؟

وبعد أيام ذهلنا عندما سمعنا المسئولين في السجن يقولون في أذاعة السجن أن هذا المسجون ـ المسجون الذى يشتمنا كل ليلة ـ هو المسجون النموذجي في الليمان !

ولم أصدق أذنى عندما سمعت هذا الكلام في اذاعة السجن . واذا بادارة السجن تقوم بعمل شريط لهذه الخطبة العصماء ، وتقوم باذاعة الشريط كل يوم . وكأنه آخر أغنية من أغانى أم كلثوم !

وأعتقد المسجون القاتل أن هذا النطق الملكى هو أمر له بان يضاعف شتائمه وسبابه ضد المسجونين السياسيين !

وثار المسجونون العاديون على التعذيب اليومى .

وأرسل لنا مأمور العنبر رسولا يقول لنا أن علينا أن نعطى المسجون القاتل سجائر وطعاما حتى يكف عن سبنا !

وشكرنا الضابط على نصيحته « الغالية » . وقلنا له أن الشتائم أرخص كثيرا من السجائر في السجن ، وما لدينا منها لا يكاد يكفينا . وأننا اذا فتحنا هذا الباب فلن ننتهى . وأننا لانقبل أن ندفع للمسجون القاتل الجزية التى كانت تدفعها الدول الصغرى للدول الكبرى !

وتضاعفت شتائم المسجون القاتل أكثر وأكثر .

ولم تحتمل أعصاب أحد المسجونين السياسيين ، وهو الضابط البحرى أحمد لطفى ، الذى كان ياورا للرئيس محمد نجيب في أول الثورة ، فرد على المسجون بعنف .

وتدخل الضباط وصالحوا الاثنين . واعتذر المسجون القاتل للسجين أحمد لطفى وقبل رأسه ·

وعندما قص على أحمد لطفى ماحدث قلتله: انني لا أطمئن الىهذا الصلح وأتوقع غدرا !

وكانت الاخبار تجيء الى المسجونين السياسيين بأن « شنبو » يحرض هذا المسجون القاتل على أن يذبحنى بسكين ، ويؤكد له أن قتل المسجون السياسى خدمة عظيمة للدولة . وأن من يفعل هذا سينال عفوا شاملا . وأن بعض الوزراء الحاليين لم يصلوا الى مناصبهم فى الوزارة لا لشيء الا لانهم قتلوا بأيديهم مسـجونين سياسيين !

وأقترح أحمد لطفى على المسجونين السياسيين . بطيبه قلبه ، أن ندعو السجين القـاتل ليشاركنا طعـامنا . ونعطيه سجائر . باستمرار ، وبذلك ننزع السم الذى فى أنيابه ، ونعالج الحقد الذى يملأ قلبه ·

ورفض المسجونون السياسيون اقتراح احمد لطفى ·
وأصر أحمد لطفى الطيب القلب على أن يتولى هو وحده تنفيذ اقتراحه . على الرغم من سوء حالته المالية ·

وفى صباح اليوم التالى كان أحمد لطفى يتمشى معى أمام الزنزانة ، ثم تركته لاتناول طعام أفطـارى فى زنزانتى · واذا بى أسمع صراخا · وتركت طعامى وأسرعت الى خارج زنزانتى ، فوجدت المسجون القاتل ينقض على أحمد لطفى ويحاول ذبحه بسكين !

فقد جاء السجين القاتل وحيا زميلنا أحمد لطفى قائلا له : صباح الخير ··

ورد أحمد لطفى : صباح النور ·

ومضى أحمد فى طريقه ، واذا بالمسجون القاتل يخرج من جيبه سكينا كبيرا ، ويهاجم أحمد لطفى من الخلف ، ويطعنه طعنات متوالية ، ويسقط أحمد لطفى على الارض ، ويبرك السجين القاتل فوقه يحاول أن يذبحه بالسكين .

ووجدت دما يغطى مساحة طولها متر وعرضها متر من أرض الردهة الخارجية لزنزانتى · وتجمع المسجونون والسجانون حول

المجرم . وانتزعوا منه السكين . وهو يصر على الاجهاز على أحمد لطفى ذبحا .. احمد لطفى الذى كان يصر من بضع ساعات على أن يقتسم طعامه وسجائره مع الذى يريد ان يذبحه !

ورأيت جثتى مكان جثة احمد لطفى ! كان المفروض أن تكون هذه الطعنات فى أنا ، لولا أننى دخلت زنزانتى قبل الحادث ببضع ثوان .. ولولا ذلك لاصبت بعدد من الطعنات . وشاركت أحمد لطفى فى المذبحة !

وكان من حسن الحظ أن بين المسجونين السياسيين طبيبا نابغة هو الدكتور محمد حلمى عفيفى ، المحكوم عليه بالسجن عشر سنوات ، وأسرع يحاول وقف النزيف .. واذا به يكتشف أن طعنة السكين العميقة تبعد عن القلب بنصف سم . ولولا هذا النصف سنتى لمات هذا الشاب المسكين .

ونقل أحمد لطفى الى مستشفى السجن حيث أسعف بالعلاج .
وتصادف أن كان هذا اليوم ، هو أول يوم فى أيام أجازة مدير الليمان فى الاسكندرية . وفوجئت بمحاولة للتستر على الحادث !

فقد اتجه رأى بعض الضباط الذين يهمهم رضاء ولاة الامور الى كلفتة الموضوع .

أن مايهم بعض رجال الشرطة عندنا حينما يقع حادث أن يتخلصوا من المسئولية ، حتى لا يمسهم التحقيق من قريب أو بعيد ، والا يخصم من عسكرى أهمل فى واجبه . هذا هو المهم .. أما حياة المعتدى عليه نفسه ، وجريمة المجرم الذى شرع فى قتل أحد زملائه فهى مسألة ثانوية جدا . تجىء بعد أن تتخلص الوزارة من المسئولية وتتخلص المصلحة من المسئولية ويتخلص الضباط والصولات والباشجاويش والعساكر من المسئولية . حياة المسجون السياسى لا تساوى خصم يوم من مرتب عسكرى !

ولهذا بدأت المحاولة تتجه الى «لم المسألة» ، لتصغير الشروع فى قتل انسان الى خناقة عادية . وتضاءل السكين الى موسى حلاقة ــ وتضاءلت الجروح القاتلة الى جروح سطحية لا تستدعى علاجا أكثر

من ٢٠ يوما · ومادامت الجروح لا تحتاج لعلاج أكثر من ٢٠ يوما فلا داعى لابلاغ النيابه ·

وذهب الضابط ليسمع أقوال احمد لطفى الجريح ، ورفض أحمد أن يتكلم ويصر على انه لن يتكلم الا أمام النيابه العامه · وبذلت محاولات متعددة معه ، واضطر المسكين وهو فى حاله اعياء وضعف نتيجه النزف الشديد أن يعدل عن التمسك بحضور النيابة · ولم أستطع أن أسكت ، وأنا أرى هذا التزوير يرتكب أمامى · كان بحر الدم لا يزال كما هو أمام زنزانتى ينادينى بأنه لابد أن أتحرك وأفعل شيئا !

قلت : أننى لايمكن ان أسكت على الجريمه الجديدة ، المراد بها طمس الجريمة القديمة ، وأصررت أن أقابل مدير الليمان بالنيابة وقلت لهم اننى أعتبر أن القاتل الحقيقى هو وزير الداخليه · ومصلحة السجون هى شريكة للقاتل . لانها هى التى أمرت ان يقيم هذا القاتل مع المسجونين السياسيين . وشجعته على ان يسب المسجونين السياسيين كل ليلة ، وحرضته عندما أثنت عليه ادارة السجن فى اذاعتها بعد أن شتمنا وقالت أنه سجين نموذجى ·

وزارة الداخلية هى التى أعدت الجريمة واشتركت فيها عندما وضعت مجرما قاتلا بين المسجونين السياسيين ·

أنها هى التى أبقت المسجون القاتل فى الطابق الذى نقيم فيه وأعتبرته مسجونا سياسيا . بعد أن أمر طبيب السجن الدكتور أحمد كمال باخراجه من هذا الطابق قبل الحادث بثمان وأربعين ساعة ، واعطى هذا الامر كتابة . فلم تنفذ تأشيرة الطبيب المسئول·

ان وزارة الداخلية هى التى احضرت المسجون « شنبو » الذى حاول أن يقتل أحد المسجونين السياسيين ، ووضعته فى الزنزانة المجاورة للمسجون الذى حاول شنبو أن يقتله قبل ذلك بأسبوعين · كل هــذا يثبت أن وزير الداخلية شريك فى حادث الشروع فى القتل ··

ورجانى بعض الضباط أن اهدأ ، وأكدوا أن الادارة ستتصرف فورا ·· فقلت أننى مستعد أن اهدأ بشرط أن تكتبوا تعهدا بالمحافظة على حياة المسجونين السياسيين ·· أننى أخشى أن يتحول التحقيق

من : «لماذا قتلت المسجون السياسى» الى « لماذا فشلت فى قتل هذا المسجون السياسى » ··كل شىء أمامى يدل على أن الدولة متلبسة فى جريمة الشروع فى قتل مسجون سياسى ! ·· والدولة لها سوابق فى هذا الموضوع ·

وبدأ التحقيق فاذا به يسفر عن أشياء خطيرة · شهد عدد من المسجونين أنهم رأوا هذه السكين مع شنبو قبل الحادث بيوم · وشهد مسجونون آخرون بأنهم رأوا شنبو يسلم السكين للقاتل فى ليلة ارتكاب الحادث · كما شهد مسجونون غيرهم بأنهم سمعوا شنبو يقول للقاتل : شد حيلك يا سعادة البيه :! وخلص عليهم ·· وأنا تحت أمرك !

ووضع المسجون القاتل فى مبنى التأديب . كما وضع المسجون شنبو فى نفس المبنى ·

ولكن وزارة الداخلية منعت السجين من ابلاغ النيابة ·

واستطعنا أن نهرب برقية الى النائب العام بأمضاء احمد لطفى نطلب فيها التحقيق وارسال رئيس النيابة الى السجن :!

ولا أعرف ماذا سيحدث ؟

هل سيمنع وزير الداخليه رئيس النيابة من الذهاب الى السجن ؟

هل سيخرج القاتل من التأديب ويعود الى عنبرنا يشتم المسجونين السياسيين من جديد ويحاول ذبحهم من جديد :!

هل سيعاقب القاتل لانه فشل فى قتل المسجون السياسى · مسكين هذا القاتل الفاشل ·· ربما لو نجح فى قتل زميلنا أحمد لطفى لاصبح وزيرا :!

الغريب ·· الغريب أن الكلمة المجنونة التى قالها شنبو عن الذين قتلوا مسجونين سياسيين وأصبحوا وزراء ·· هى حقيقة تاريخية :!

وفى يوم من الايام سوف تتكشف كثير من الاسرار التى مازالت وراء الستار :!

كلنا شركاء فى الجريمة

٢٠ يوليو سنة ١٩٦٨ .

أخي العـــزيز ...

اليوم تنتهى السنة الثالثة لى فى الســـجن ، وغدا تبدأ السنة الرابعة .

احمد الله كثيرا على انه أعطانى كل هذا الايمان والصبر والاحتمال! عندما انظر خلفى أشعر بدهشة كيف استطعت آن احتمل كل ما أحتملت من ظلم وتعذيب وسجن وتنكيل .

الله يعطى عندما يأخذ ، وقد أعطانى من الايمان والصبر والاحتمال ما يذهل جميع المسجونين والحراس والضباط .. وما يذهلنى أنا أيضا !

ترى كم سنة أخرى سوف أستطيع أن أحتملهـا !؟ لا أعرف . ولكننى مصمم على آن استمر أقاوم . بقائى حيا هو نوع من المقاومة. فعلوا كل شيء بالمسجونين السياسيين ليقضوا عليهم . فلما عجزوا دفنونا أحياء ! وهم يتوهمون انهم انتهوا منا ولن تقوم لنا قائمة ، وأنا أقول لزملائى أن بقاءنا أحياء هو مظاهرة يومية بسقوط الطغاة ، فيجب أن نبقى أحياء لكيلا ينقص عدد المشـتركين فى المظاهرة ! وفى كل يوم يجيء لنا مسجون سياسى جديد . فالقضايا لا تنتهى والتلفيقات لا تنتهى . وأنا أشبه الحكومة والشعب الآن بالقصة التى كان يرويها عمر بن الخطاب وملخصها أنه رأى امرأة جالسة مع أولادها وأمامها نار مشتعلة عليهـا قدر مغطاة وأطفالها حولهـــا ينتظرون ، وكشف عمـر الغطاء عن القدر فوجد ماء ولم يجــد طعـاما .. وسألهـا عن السبب .. فقالت الام أنهـا تغلى المـاء حتى توهم الاطفال أنه طعام فيصبرون على الجـــوع ! والحكومة توهم الشعب انها تستعد للحرب فى أى لحظة .. ولا يوجد عندنا عمر بن الخطاب ليكشف عن غطاء القدر !

انتقلت من الزنزانة التى كنت بها فى الجهة القبلية الى زنزانة أخرى بالجهة البحرية تماما كما كانت الحكومة تنتقل فى الصيف من القاهرة الى مصيفها فى الاسكندرية·كان الحر لا يطاق فى زنزانتى· حمو النيل ملأ كل جسمى حتى كنت أشبه بالمريض بالحصبة ! عجزت المراهم والبودرة عن القضاء عليه · كنت استيقظ فى منتصف الليل فاجد سريرى تحول الى بركة سباحة من العرق ، فاضطر الى تغيير الملاءة وتغيير ملابسى ، وتتكرر المأساة وفى بعض الليالى أحس أننى أكاد أختنق · وكنت انتظر بفارغ الصبر فتح باب الزنزانة فى الصباح لاخرج الى الردهة الخارجية واستنشق نسمة هواء · ومن الغريب اننى أمضيت صيفية قبل هذا العام فى نفس الزنزانة ولم أشعر بهذه الحرارة وهذا الاختناق · ولا أعرف هل السبب هو تقدم السن أو تأخر الصحة ·· أو هو سوء الجو فعلا · وأخيرا وافق طبيب السجن على انتقالى الى زنزانة فى الجهة البحرية ، ووافق مأمور السجن ، ووافق مدير السجن ، ووافق مدير المصلحة ، ووافق مدير المباحث العامة ، ووافق وزير الداخلية !

وكان الامر يقتضى أن أقوم بعملية تنظيف واسعه النطاق ، كما تفعل الحكومة الجديدة عندما تحل مكان الحكومة القديمة ! وكان الجو فى الزنزانة الجديدة يختلف عن الجو فى الزنزانة القديمة كانت زنزانتى الاولى تطل على زنزانات أخرى · السجن ورائى وأمامى ! أما نوافذ زنزانتى الجديدة فهى ترى الشارع من بعيد· أستطيع لاول مرة منذ ثلاث سنوات أن أرى المارة فى الشوارع ، أن أرى مترو حلوان ، أشهد السيارات والدراجات وعربات الكارو ·

أرى من بعيد آنسة ترتدى المينى جيب وبجوارها سيدة ترتدى الملاية اللف ! شعرت كأننى أطل على الحياة من جديد · ثلاث سنوات لا أرى الناس الطلقاء ! رأيت رجلا حافيا يرتدى جلابية · حسدته على حفائه وهو يمشى فى أرض الحرية · ما قيمة حذائى وأنا أدوس به على أرض السجن ! هذا الرجل ينتقل من رصيف الى رصيف ، وأنا لا أستطيع أن أنتقل مترا الا بعد أن أستأذن ! هذا الرجل يمشى وحده · وأنا لا أستطيع أن أسير الا وأمامى حارس وخلفى رقيب ! وتمنيت أن أعيش الى اليوم الذى أستطيع أن أمشى فيه على أرض الحرية حتى ولو كنت حافى القدمين !

ثم سألت نفسي ما يدريني أن هذا الرجل لابس الجلابية حر ؟
هل كل الذين خارج السجون أحرار ؟
ما أكثر أشكال الزنازين التي يجد فيها الناس انفسهم •
ربما كان بعضها أضيق من زنزانتي ! ما بال خطوات الرجل متعثرة • الرجل الحر يكون واثقا من نفسه وخطواته ثابتة !
أيكون مقيدا بقيود غير منظورة لا أراها من بعيد •
هل يكون كل هؤلاء المارين في الشـــارع أمامي سجناء من أنواع مختلفة ؟!

بعضهم سجناء الاستبداد • وبعضهم سـجناء الهزيمة • وبعضهم سجناء الخوف • الناس لم تعد هي الناس التي كنت أعرفها • على وجوهها كآبة غريبة • كل واحد منهم أشبه بجيش مهزوم أو شعب مقهور • كأن تعاسة الأمة كلها حلت في كل رجل وكل امرأة • لا أرى في الشارع المرح الذي كنت أراه في الشوارع في السنوات الخالية • وجوه مكفهرة • قسمات واجمه • نظرات حزينة • لا أحد يضحك • زاد عدد الناس في الشارع • تضاعفت أحزانهم ومآسيهم وخيبـة آمالهم وأقفلت نافذتي بورق كارتون • وتحسرت على نافذة زنزانتي الاخرى التي تطل على زنازين السجن !

الشعب كله مسجون •• كله محكوم عليه بالسجن المؤبد والاشغال الشاقة المؤبدة • ليس فينا أحد بريء ! كلنا شركاء في الجريمة •• كلنا اشتركنا في صنع السلاسل التي قيدنا بها • في صنع السوط الذي ألهب ظهورنا • في صنع الصنم الذي حكم علينا بالاستعباد !
جريمتنا كانت كبيرة ، ولهذا كان عقابنا هائلا !

واستطعت أن أرقد في فراشي دون أن أحس لأول مرة بمطر العرق ينهمر على وجهي وجسمي كله ، ولم أغير الملاءات ولا ملابسي الداخلية ولا الخارجية • وفوجئت أثنـاء الليل بزائرتين غير منتظرتين • وهما بقتان • ظهرت البقة الاولى على النـافذة والبقة الثانيـة على الباب • وهكذا أصبحت محاصرا من جميع الجهات • شـــعرت أنني أواجه كارثتين في وقت واحد • لو كان من الممكن فتح باب الزنزانة في الليل لهرولت الى زنزانتي القديمة مفضلا الحر القـاتل على حشرة البق • وأمضيت الليل كله في قتل البق • اكتشفت أن البقتين اللتين رأيتهما أولا كانتا عبارة عن وفد رسـمي أرسـلته جيوش البق الموجودة في الزنزانة لترحب بمقدمي السعيد !

وما أن انتهيت من القضاء على البق، حتى فوجئت بجيش من النمل. نعم جيش . لا نملة ولا خمس نملات ولا عشر ولا مائة . انما هى كتائب وألوية وفرق !

وأعلنت الحرب على النمل ، ثم فوجئت بزحف جيش آخر من الناموس والذباب. ورحت أقاومه بالفليت وجميع المبيدات الحشرية .. واحترت فى الصباح بين أن أعود الى الحر الملعون فى زنزانتى القديمة أو أن أبقى مع الحشرات فى زنزانتى الجديدة . وفضلت أن أبقى فى الزنزانة الجديدة لأستطيع أن أطل على الطريق فأرى وجوه المارة . وأتخيل أن هذا الأب سيلتقى بعد دقائق مع أولاده . وهذا الولد سيجتمع بعد وقت قصير مع أمه. وأغبط الناس الذين يستطيعون أن يروا أهلهم واحباءهم واصدقاءهم مرة كل يوم وكل ساعة . كل المتاعب تهون مع الحرية . وأسمع من بعيد نبض الشارع . الشارع يتحرك . يتكلم . يرقص . يضحك . فيه حركة وفيه حياة . وأتلفت الى الزنازين فاذا بها أشبه بالقبور . صامتة . خرساء . حزينة . مقبضة فيها طعم الموت ورائحته ورهبته .

لقد جاء المخرج حلمى رفلة الى السجن ليصور فيلما للتليفزيون . ماكاد يرانى بملابس السجن حتى انهار وبكى .. ودعوته الى الصعود من الطابق الاول الى الطابق الرابع لأتحدث اليه .. ووضع قدمه على درجات السلم وكأنه يضع قدمه على سلم المشنقة . وما كاد يصعد درجتين من السلم حتى تراجع رعبا وعاد أدراجه !

واكتفيت بأن أتحدث الى حلمى رفلة بالاشارة! وفهمت أن الحكومة اشترطت لعرض فيلم معبودة الجماهير الذى ألفته ، ومثله عبد الحليم حافظ وشادية أن يحذف اسمى من الفيلم .

وقال حلمى رفلة انه يخشى لو حذف اسمى أن أرفع عليه قضية وأطالبه بتعويض عشرة آلاف جنيه لأنه حذف اسم المؤلف.. واشترط أن تصدر الدولة أمرا كتابيا برفع اسم المؤلف من الفيلم !

وسلمته الدولة الأمر الكتابى .. متصورة أنها أخفت الى الابد اسمى من الدنيا والآخرة !

المساكين لا يعرفون أن ليس فى يد انسان أن يملك الى الابد الدنيا والآخرة !

فان الله لن يتخلى عن المظلومين حتى لو كانوا ظلموا بقرار جمهورى

يسقط الظلم!

٢١ يوليو سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

احتفلت منذ بضعة شهور بمرور ألف ليلة وليلة فى السجن. مضى على الآن ألف ليلة وليلة وفوقها ثلاثة أشهر فى السجن . ولم أتنبه الى الموعد الا بعد أن فات الميعاد ، وفى يوم الاحتفال حدثت أشياء لا تخطر على البال . أحد المسجونين معنا فى العنبر أشعل فى نفسه النار ، ومات محترقا على طريقة كهنة البوذيين فى فيتنام . كان منظرا يفتت الأكباد أن ترى رجلا تحول الى كومة من رماد . هو مسجون محكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة . أمضى فى السجن ١٤ عاما ، وبقى له عام واحد ليخرج بالعفو عن المسجونين الذين أمضوا نصف المدة وكانوا حسنى السير والسلوك . شعر المسكين أنه مظلوم ومضطهد .. احتمل ١٤ عاما من السجن . ولم يستطع أن يحتمل سنة واحدة من الظلم .

جريمته أنه وجد « البرش » الذى ينام عليه فى الزنزانة ممزقا ، ووجد زملاءه الثلاثين معه فى زنزانة واحدة ينامون على أبراش مهترئة ينفذ اليها من بلاط الزنزانة البرد القارص والروماتيزم الملعون . وطالب المسكين بأبراش سليمة فلم يستمع أحد لطلبه . وفتح مخزن الأبراش . وأخذ منه ثلاثين برشا جديدة وزعها على زملائه في الزنزانة الذين يكاد يفتك بهم البرد . وجرى تحقيق كيف يجرؤ هذا المسجون الوقح على أن يدخل الغرفة المقدسة بدون اذن . كيف يجرؤ على أن يوزع الأبراش الجديدة وينقذ زملاءه من الموت والسل ! وأمرت مصلحة السجون بعقابه بوضعه فى زنزانة فى الطابق الأسفل فى عنبرنا

أشبه بالجب · طولها متر ونصف وعرضها متر · لا تدخلهـا الشمس ولا الهواء ، وليس فيها نور كهربائى · واعترض المسجون المسكين على هذا الحكم الجائر · وقيل له أن حكم مصلحة السجون هو حكم نهائى لايقبل الاستئناف أو النقض والابرام· هوحكم الهى· وقال المسجون للضابط أنه لا يستطيع الحياة فى هذا الجب ، وسوف يقتل نفسه ، لعله بهذه الطريقة يستطيع أن ينبه الغافلين ويوقظ النائمين ، ويوصل صوته ميتا الى آذان الذين أبوا أن يسمعوا صوته حيا ، وضحك الضابط والحراس ساخرين بهذا التهديد ·

بعضهم لم يصدق أنه جاد فيما يقول ، وبعضهم صدق ولم يهتم بما سوف يحدث ·· ماذا لو أن عدد المسجونين نقص منه مسجون واحد من بضعة آلاف ··

وجاء المسجون بأناء فيه غاز . وسكبه على نفسه ، وأشعل النار · كانت زنزانته مغلقة ، وسمعنا صراخا من المسجونين . ودخانا يتصاعد ورائحة اللحم المشوى ·

وأسرع الحارس بفتح باب الزنزانة وحاول أطفاء النار ، وحمل المسجونون بقايا جثة زميلهم الى مستشفى السجن . وهرول الاطباء يحاولون انقاذه . وسألوه لماذا انتحر ؟ فقال انه انتحر لأن مصلحة السجون هى التى قتلته باجراءاتها الظالمة وأسلم الروح ! وبدأت عملية توضيب شهود الزور · الضابط يلقن العساكر ما يقولون ، والعساكر يلقنون المسجونين ما يقولون ، وهكذا تم طبخ محضر التحقيق ·

وتحول السجن كله الى مأتم · كل واحد منا يجلس منكس الرأس فى زنزانته وكأنه يشيع جنازة · هذا المسجون مات من أجل كل واحد منا · فى أى بلد آخر كان وزير الداخلية ينتقل فورا الى السجن · كانت الصحف تنشر النبأ فى الصفحة الاولى · كان هذا الحادث كفيلا بأن يثار فى البرلمان ويطالب بتأليف لجنة برلمانية للتحقيق عن الحالة فى السجون · شىء من هذا لم يحدث · أحسست أن بعض الحراس فقدوا فى عملهم فى السجن كل ذرة من الانسانية · كانوا سوف يتأثرون لو أن الذى قتل هو كلب مدير السجن أو قطة المأمور ، أو بطة من عهدة البط الذى يتولى السجن تربيته فى الليمان ! عدد

قليل من الضباط والحراس أبدى تأثره وحزنه وألمه لهـذا الحادث البشع . وأخشى عليهم أن ينقلوا من مناصبهم عقابا لهم على هـذه الانسانية المخالفة للوائح والاوامر والتعليمات !..

وفى نفس اليوم ألقى مسجون نفسه فى عنبرآخر من الطابق الرابع فمات على الفور . لأنه عوقب فى السجن على جريمة لم يرتكبها . وقدمت أسرته بلاغا للنيابة تقول انها تشك فى أسباب مقتله . وبدأت النيابة التحقيق . ولا أعتقد أن التحقيق سوف يؤدى الى أى شىء لأن فرقة شهود الزور بدأت تستعد للادلاء بأقوالها فى التحقيق !

وقبل ذلك بيومين سقطت مادة حارقة على اثنين منالمسجونين الذين يعملون فى مصنع الصابون بالليمان . فاحترقا وماتا على الفور .
ولم يكلف أحد نفسه بأن يحقق ليعلم بأن الاشتراطات الصحية غير متوافرة فى المصنع .

ومن المفارقات الغريبة أنه لو وقع هذا الحادث فى أى مصنع خارج السجن لدفع المصنع تعويضا لأسرة المقتولين ، ما عدا الليمان . فان لوائح السجن تقول ان مصلحة السجون غير مسئولة عن الذين يقتلون فى أثناء عملهم كمسجونين فى الليمان !

اننى أقرأ فى الصحف الانجليزية كل يوم مقالات وتحقيقات عن السجون والاهتمام بها والبحث عن شكاوى المسجونين ، ومما يؤسف له أن الصحف المصرية ممنوعة من التحدث فى هـذا الموضوع الا اذا كان الحديث عن عبقرية مدير مصلحة السجون وابداء الاعجاب بالزيتون والصابون اللذين تصنعهما السجون وتهديهما الى بعض الصحفيين !

من رأيى أنه لا يمكن اصلاح السجون الا اذا أصبح مدير مصلحة السجون هو أحد مستشارى محكمة الاستئناف ، ينتدب لهذا العمل ، باعتبار أن المصلحة تنفذ الحكم الذى أصدره القضاء . ومن رأيى أن يكون مدير السجن هوأحدالقضاة .. بل اننى أعترضعلى أن تكون السجون تابعة لوزارة الداخلية ، بلأرى أن تكون تابعة لوزارةالعدل، وأن يكون الحراس من المشرفين الاجتماعيين ، وأن تكون مهمة الجنود مقصورة على حراسة الاسوار من الخارج . ان الذى يجب أن يعلمه

الناس أن مدير مصلحة السجون في عهود الاستبداد هو طرطور ! وأن ضابطا برتبة ملازم أول فى المباحث العامة يستطيع أن يعطى الأوامر الى سيادة اللواء مدير المصلحة !

وأن المباحث العامة هى التى تحكم السجون التى يوجد فيها مسجونون سياسيون ، حتى أنه في بعض السجون لا يمكن نقل مسجون سياسى من زنزانة الى زنزانة أخرى الا بعد استئذان ضابط صغير فى المباحث العامة . وهكذا لا تنتهى سيطرة وزارة الداخلية على المسجون السياسى بالحكم عليه ، بل يبقى طوال فترة سجنه تحت رحمة وزير الداخلية . يستبد به ويتعنت معه ويضيق عليه الخناق كما يهوى ويشاء !

السجون فى بلادنا بأنظمتها الحالية هى جرائم يومية ترتكب بقرار وزارى !

ومن سخرية القدر أن وزير الداخلية الذى أصدر لائحة السجون الظالمة التى تطبق الآن على المسجونين هو عباس رضوان ، وهو الآن مسجون فى السجن تطبق عليه نفس اللائحة غير الانسانية التى أقرها .

وحياة المسجون الفقير فى السجن هى جزء من الجحيم .. علبة السجائر البلمونت هى جواز المرور لدخول الجنة . يجب أن يدفع المسجون سجائر ليفتح الحارس له باب الزنزانة فى موعده . والا فان السجان ينسى أن يفتح الباب ! ويجب أن يدفع المسجون سجائر للسجان لكيلا يغلق عليه باب الزنزانة قبل موعده . ويجب أن يدفع سجائر للكهربائى لكى تضاء زنزانته بالنور . فاذا لم يدفع لعب الكهربائى فى الاسلاك وانطفأ النور . ويجب أن يدفع سجائر للممرض لكى يعرضه على الطبيب . ويجب أن يدفع سجائر لرئيس الممرضين ليصرف له دواء . ويجب أن يدفع لمن يحمل له الطعام ليتسلم نصيبه كاملا . والا لأعطاه قطعا من العظم أو طبقا من الفول مخلوطا بالسوس والطين ! ويجب أن يدفع لمن يأتى له بخطابه والا فانه يخفيه . ويجب أن يدفع لمن سيتسلم الخطاب الذى يرسله الى أهله . ويجب أن يدفع للنوبتجى ليحمل جردل البول ويفرغه ، ويجب أن يدفع سجائر للحلاق الذى يحلق لحيته ، والا أصبحت له لحية مهيبة ! ويجب أن يدفع سجائر لحارس الليل حتى لا يدق على باب زنزانته كل خمس دقائق

ليسأله هل هو نائم أم متيقظ ؟ ويجب أن يدفع سجائر ليحتفظ بالبرش الذى ينام عليه ·

وحدث فى هذا الاسبوع أن بعض المسجونين المعدمين وجدوا أن حياتهم فى السجن لا تطاق بغير سجائر · وأهلهم لا يستطيعون أن يرسلوا لهم نقودا لشراء سجائر · وضاقت الدنيا بهم · وسرق بعض المسجونين سجائر من زملائهم ، فجاءوا بالمتهمين ومدوهم · وراحوا يضربونهم ضربا مبرحا · كان صوت صراخهم يمزق قلبى ويحطم أعصابى · هذه الطريقة الوحشية فى سجوننا يجب أن تتوقف ومن الغريب أن ولاة الامور يعتبرون هذه القسوة دليلا على الحزم ، وهذه الوحشية دليلا على القوة ، ان صوت الكرابيج لا يرتفع الا اذا صمت صوت الشعب · وأنا أعتقد أن سبب انتشار الضرب فى السجون وفى أقسام الشرطة ، وفى غرف التحقيق سببه هو الحكم الفردى · الحاكم الفرد عادة ينعزل عن العالم · ونحن عندما نكون وحدنا نخاف · وهذا الخوف هو الذى يجعل الحاكم يقسو ويشتد ويضرب بالكرباج !

★★★

أرجو أن تعذرنى اذا وجدت خطابى مقبضا · هذا شعور طبيعى بالنسبة لنوع الحياة التى أعيشها فى السجن · عندما تتحطم جميع الجسور بينك وبين العالم · عندما تتمزق جميع العلاقات · عندما تنهدم كل الاحلام · عندما يرثيك الناس وأنت على قيد الحياة · عندما تصبح الاعلام مماسح تنظف فيها أحذية الحكام · عندما ترفع أحذية الظالمين كالرايات ! عندما يصبح كوب الماء البارد الذى تشربه فى الصيف الحار مشكلة عويصة تستدعى التفكير والتدبير والمغامرة · عندما تشرب فنجان القهوة وكأنك تسرق البنك الاهلى · عندما تصبح أطول رحلة تقطعها فى حياتك هى نزولك من الطابق الرابع فى السجن الى الطابق الأول · عندما تزورك أسرتك مرة كل شهر لبعض دقائق · عندما تعرف أن عليك أن تنافق السجان الذى يسجنك ، وتسترضيه بدلا من أن تلعنه ، وتطيع أوامره بدلا من أن تثور عليه · عندما تصبح حياتك كلها هى الطعام الذى تأكله ، عندما تشعر أن الذين رفعتهم فوق رأسك داسوك بالاقدام · والذين دافعت عنهم اتهموك · والذين

أحببتهم كرهوك، والذين أنقذتهم من الهزيمة ألقوا بك الى هاوية العار. عندما يحدث للانسان كل هذا يفقد القدرة على الرؤية . يفقد القدرة على الحكم على الاشـياء . ومع ذلك فانني أحاول دائما أن أخرج رأسي من الوحل الذى أغوص فيه . أرفع رأسي لأرى الدنيا كما هي !

المظالم التي أراها حولى تجعلنى أشعر بالعجز من هولها ومن كثرتها يف يمكن انصاف كل هؤلاء المظلومين ؟ هذه ليست مهمة فرد بل هي واجب شعب . المظالم في بلادنا تراكمت فوق بعضها البعض حتى أصبح الظلم هو القاعدة والعدل هو الاستثناء !

لا يوجد في الدنيا كلها بلد تدفع فيه رشوة لتنال حقك . المفروض أن من يدفع الرشوة يدفعها لكى يحصل على أكثر من حقه . وعنـدنا أصبحت الرشوة كورقة التمغة يجب أن تلصق بكل طلب !

ولا أوافق الذين يقولون أن القيم الاخلاقية انهارت في بلادنا نتيجة الهزيمة، بل انني أرى العكس، فان الهزيمة نتيجة انهيار القيم الاخلاقية.

ولقد كان الرئيس جمـال عبد الناصر يقول لى فى أول الثـورة « لا أريد فراعنة يستبدون ولا أريد أرانب يخافون » !

ولكنه تحول الى فرعون ، وحكم الفرد لا يكتفى بفرعون واحد ، بل يتفرع منه فراعين . فنحن نجد أن في كل ركن من أركان بلادنا فرعونا أو نصف فرعون أو ربع فرعون وأصبحنا كلنا أرانب !

وفي رأيي أن الطغيان هو الذى يحطم القيم العالية ، وينشر الاخلاق الفاسدة ينشر الجبن والكذب والنفاق والانانية والقسوة والغـدر والملق والحسد والحقد . فهذه صفات الظلام ومواليد الظالمين !

وأعتقد أن الشورى أى الديموقراطية سوف تعيد لنا بعض مافقدناه في الظلام ، كالشهامة والفروسية والصدق والشجاعة والحب والصراحة والقناعة ..

وسوف يحدث هذا عندما لا يبقى في مصر فراعنة يستبدون ..

وعندئذ سوف تختفى الأرانب ..

لأن الأرانب هى ظل فرعون !

هذا الكتاب

كيف يستطيع الكاتب أن ينتصر على القيود ، ويحطم الحصار المضروب ، ويعمى العيون المتلصصة ، ويتغفل الرقباء ، وينتصر على القيود والأغلال ...

هذه خطابات سرية كتبها مصطفى أمين فى السنة الثالثة من سجنه ، فيهـا زفرات المسجون وصرخات المظلوم وأنين المدفونين فى القبور . ليست قصته وحده ، وانما هى قصة المسجونين معه . لقد كان صحفيا داخل السجن كما كان صحفيـا خارج السجن . يتعقب الأحـداث يجرى خلف الأخبار . يحقق ما يجـرى خلف الأسوار ، يتتبع تطورات ما يجرى فى البلد من وراء ستار !

الصحفى لا يستطيع الا ان يكون صحفيا ، حتى وهو مقيد بالسلاسل فالقلم فى يده قادر أن يحطم به السلاسل والأغلال ، وقادر أن يقفز فوق أسوار السجن وقلاع الطغيان ، وقادر أن يهزم الحراس الذين يسدون المنافذ ويحرسون الأبواب !

من يصدق ان ألوف الرسائل استطاعت أن تتسلل هاربة من البوابات الحديدية وكردونات الحرس والمدافع المصوبة والبنادق والرشاشات ... من يصدق أن كل الأوامر الصارمة بمنع الورق والقلم عن المسجون السياسى فشلت فى أن تقف سـدا أمام الكلمة الحرة عندما تريد ان تقتحم القلاع ! قيمة هذه الرسائل ان فيها رائحة القيود وطعم الأغلال وصوت السلاسل .

انها ليست استغاثات مقهورين وانما هى لعنات مظلومين . ليست استرحامات وتوسلات من راكعين على الأرض ، وانما هى اصرار وايمان وصمود وتصميم على مواجهة الطغـاة .

استطاع مصطفى أمين ان يدخل كل زنزانة مسجون سـياسى . أن يسمع من شهود التاريخ الأحياء قصص المذابح والجرائم والتعذيب والجبروت والطغيان .. روى له الأستاذ حسـن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين وجاره فى الزنزانة قصته مع الكلاب التى عاش معها والتى كانت تشاركه طعامه وتقفز فوقه وهو يؤدى الصـلاة !

« سنة ثالثة سجن » هى قصة مصر المسجونة بين القيود والأغلال .

احمد يحيى

* كتب السلسلة الأولى *

الكتاب	المولف
- عودة الوعى .	توفيق الحكيم .
- خريف الغضب .	محمد حسنين هيكل.
- سنة ثالثة سجن .	مصطفى أمين .
- الملك فاروق وعلاقته بألمانيا النازية .	وجيه عتيق .
- أعجب الرحلات فى التاريخ.	أنيس منصور .
- مواقف.	أنيس منصور .
- قوة الخفاء .	أنيس منصور .
- المختار من القصص العالمية .	مكتبة الاسرة بمصر .
- الرعاية الطبية والتأهيليلة من منظور الخدمة الاجتماعية .	عميد معهد الأسكندرية " أبراهيم عبد الهادى " .
- كتاب تاريخ موجز لزمن "من الأنفجار الكبير الى الثقوب السوداء "	ستيفن هوكنج .

اذا لم تجد هذه الكتب موجودة فى منتدى الكتب الذى حصلت منه على هذا الكتاب ، كل ما تفعله ارسل رسالة تحتوى فقط على اسم الكتاب على هذا العنوان theknowledge_walls@yahoo.com وسيصلك الكتاب اول ما نرى الرسالة .